جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

السيدة زبيدة
ودورها السياسي والعمراني

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج

بحث الطالبة

ملك محمد محمد الخياط

١٤٠١ - ١٤٠٢هـ
١٩٨١ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الانبيـــاء والمرسلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليـــه وعلى من اتبعه الى يوم الدين .

اقول ولله الحمد اولا واخيرا ان هارون الرشيد هو الخليفـــة العباسي الذائع الصيت ، والذى بلغت شهرته حدا لم يبلغه احد قبله ولا بعده من ملوك المسلمين ، والذى اقترنت باسمه عظمة الدولـــة العباسية وعاصمتها بغداد . وهو الخليفة الذى قيل فى وصفه (وصفهم) انـــه سيد ملوك بني العباس بلا منازع، والذى بلغ من الشهرة فى الملك هيبة السلطان ، وتأمين الحدود والثغور ، مالم يبلغه احد قبله ولا بعـــده عرفه الشرق حتى الصين ، وعرفه الغرب حتى فرنسا واشادا بسيرتـــه وبعظمة دولته ، وبما بلغته من رقي وحضارة(١) .

وقد تولى هارون الرشيد الخلافة يوم الجمعة الموافق ١٢ ربيـــع الاول سنة ١٧٠ هـ وله من العمر اثنتان وعشرين سنة . ويعتبر عهـــده عصرا ذهبيا للدولة العباسية لاستقرار اوضاع البلاد الداخليـــة الـــى

---

(١) شوقي ابو خليل : هارون الرشيد (ص٧) .
حسن احمد محمود واحمد الشريف : العالم الاسلامي (ص١٣٥) .

حد كبير، ولازدهار الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعمرانية في البلاد ، اذ اصبحت بغداد في عهده القبلة التي تهفو اليهـا قلوب العلماء والمتعلمين ، يقصدونها ليدرسوا فيها على ايـدى كبار العلماء والمحدثين والفقهاء والنحويين والادباء اضافة الـى الاطباء والمهندسين . وكان الرشيد يغدق الكثير من العطايـا والهبات على هؤلاء العلماء ، كما كان يكن لهم كل احترام وتقديـر فعلى سبيل المثال لم يكن يترفع عن صب الماء على ايدى عالم ضريـر اجلالا للعلم الذى يحمله (١) . ومن اقواله المشهورة فى ذلك قوله دائما انه يقبح بالسلطان ان لايكون عالما (٢) .

ولهذا كان الرشيد دائم الاجتماع بهم فى مجالسه الخاصة

---

(١) انظر :
ابن طباطبا : الفخرى فى الاداب السلطانية (ص ١٩٤) ،
عبد الملك العصامي : سمط النجوم العوالى (٣ : ٢٧٧) ،
الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد (١٤ : ٨) ،
عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيد (١ : ٢٤٠) ،
عمر ابو النصر : الهوى والشباب والحضارة (ص ٢٣٠) ،
منصور فهمى : الرشيد كزعيم من زعماء الحضارة الاسلامية ، مجلة الهلال (جـ١٠ من المجلد الثامن والاربعين ص ١٠٩٦-١٠٩٧)
(٢) عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (١ : ٢٣٧) .

التي تعقد في قصره ، او في حلقات د روسهم في المساجد يستمع اليهم ويناقشهم فيما يذ كرونه ، وان استعصى عليه معرفة امر من الامور لم يكن يخجل من سؤالهم عنه (1) .

كما قيل عن الرشيد : انه لولا مشاغل الملك ، واعباء الخلافة لكاد ان يكون شاعرا واديبا ، وتعد توقيعاته وخطبه ووصاياه نموذجا لهذا القول (٢) .

ولم يقتصر اهتمام الرشيد على العلم والادب فقط ، وانما اهتم ايضا بالنواحي العمرانية في البلاد ، من انشاء القصور الفخمة والاسواق والجوامع والحمامات والبنايات العامة التي تكلفت مئات الالاف من الدنانير ، اضافة الى بناء الجسور والسدود والترع والقنوات .

كما اهتم ايضا بالدفاع عن الحدود الاسلامية مع البيزنطيين سواء بتحصين العواصم والثغور ، او ببناء الحصون اوبقيادة الحملات

---

(١) انظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (١٤ : ٩) .
(٢) لمزيد من التفاصيل انظر :
ابن عبد ربه : العقد الفريد (٢ : ٣٧١) ،
عبد الجبار الجومرد ؛ المرجع السابق (١ : ٢٤٢ - ٢٤٣) ،
عبد العزيز البشري : هارون الرشيد الاديب ، مجلة الهلال العدد العاشر من المجلد الثامن والاربعين (ص ١١٥٠ - ١١٥١) .

العسكرية التي تخرج لتأديبهم اذا ما استدعى الامر[1].

كما كان الرشيد دائم الانفاق على رجال العلم والمشايخ والادباء والمنتجعين اليه حتى انه ليقال انه كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر هذا بالاضافةالى صدقاته للفقراء والمساكين ، والتي تقدر بحوالى الف درهم في اليوم . هذا الى جانب العناية بالاماكن المقدسة وتوفير الراحة للحجاج في رحلتهم اليها ، وفى اثناءتواجدهم فيها بتوفير المياه والمساكن لهم حيثما حلوا واقاموا . كذلك انفاقه على ركب الحج ، الذى كان يخرج فيه من بغداد الى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ويصحبه فيه مجموعة كبيرة من الفقهاء وابنائهم ، حيث كان يقدر عددهم بحوالى مائة شخص . واذا صادف ولم يقم باداء فريضة

---

(١) انظر في هذا الصدد :
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٣٧٤-٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠)
ابن الاثير: الكامل فى التاريخ (٥ : ٦٣-٦٥) خليفة بن خياط
تاريخ خليفة بن خياط (ص ٤٣٨ - ٤٤٧) ،
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (٢ : ١٠٢ ، ١٣٣) ،
عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (١ : ٩٥-٩٦-٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٦) . عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الاول (١ : ١٧٥ - ١٧٦-١٧٧) . حسن احمد محمود وابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى (ص١٦٠-١٦١) ، احمد شلبى موسوعةالتاريخ الاسلامى (٣ : ٢٦١) ، عمر ابو النصر: الهوى والشباب والحضارة فى عهد الرشيد (ص ٢٢-٢٣) .

الحج لعام من الاعوام ارسل على نفقته الخاصة ثلثمائة رجـــــل لاداء الفريضة .

هذا ويقدر عدد الحجات التى قام الرشيد بها تسع حجات فى سنوات ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ١٨٨هـ .

ويقال انه كان يحج عاما ويغزو عاما . كما كان يلبس قلنسوة مكتوبا عليها غاز وحاج ، وفى هذا المعنى يقول الشاعر ابو المعالى الكلابـى هذه الابيات :

فمن يطلب لقارك او يرده   فبالحرمين او اقصى الثغور (١)

وقد ساعد الرشيد على القيام بهذه الاعمال العظيمـــة والانفاق عليها ، توفر موارد بيت مال المسلمين ، التى بلغت فى عهده حوالى اثنين وسبعين مليون دينار ، عدا الضرائب العينية التى كـــان يأخذها من غلات الاراضى من ثمار وحبوب وغير ذلك . ويقال فى هـــذا الصدد ان الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر الى السحابة المــارة

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥١٠) ، ابن كثير : البداية والنهاية (١٠ : ٢١٤) ، الاربلى : خلاصة الذهب المسبـــوك (ص ١١٠) ، الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة العباسيـــة (ص ١٣٦ - ١٣٧) .

ويقول :" اذهبي حيث شئت فان خراجك يأتيني"[1] .

من اجل هذا كانت ايام الرشيد افضل الايام في الدولة العباسية ، ولهذا لا نغالي اذا قلنا في ايام الرشيد ماقاله السيوطي ان ايام الرشيد كلها خير وكأنها من حسنها اعراس[2] .

هذا الخليفة الذي قيل فيه ، وفي عهده كل هذا القول تميز عهده ايضا بظهور النزاع بين العرب والفرس على الحكم والسلطة من خلال مبايعة محمد الامين سنة ١٧٥ هـ بولاية العهد دون اخيه الاكبر عبد الله المأمون ، ثم في مبايعة عبد الله المأمون في سنة ١٨٢ هـ بولاية العهد بعد اخيه محمد الامين ، واخيرا في نكبة البرامكة وفي احداث الفتنة بين الامين وعبد الله المأمون .

وبارتقاء الرشيد الخلافة ازداد نفوذ الفرس عن ذى قبل اذ وصلت الاسرة البرمكية الى ذروة النفوذ ، والقوة في عهده ، واصبحت هي المسيطرة على مقاليد الامور في البلاد ، وعملت جاهدة في ابعاد العرب عن كل المناصب الهامة .

وتميز عهد الرشيد ايضا بظهور زوجته السيدة زبيدة

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى (٣ : ٢٧) ، عبد الجبار الجومرد المرجع السابق (٢ : ٣٥٧ - ٣٥٨) ، حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي (٢ : ٦٢ ، ٣٠٤) .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء (ص ٤٥٦) .

ـ ام جعفر ـ والسيدة زبيدة ـ موضوع بحثي هذا ـ هي احدى شهيرات النساء في التاريخ الاسلامي ، والتي لعبت دورا كبيرا في تسيير الاحداث السياسية في الدولة العباسية نظرا للمكانة العالية التي كانت لها لدى بني العباس عامة ، والرشيد خاصة . فهي حفيدة المنصور وابنة ولده جعفر ، وجعفر هذا كان يحظى بمحبة كبيرة من المنصور ، وقد توفي في حياة والده . وكان المنصور كثير التدليل لزبيدة ، دون سائر ابنائه واحفاده . فالاسم الذي اشتهرت به على مر العصور والتاريخ وهو زبيدة ، انما هو اسم التدليل الذي كان يناديها به المنصور عندما كان يلاعبها ويقول لها : انما انت زبيدة لبياضها ونضرة بشرتها (١) .

وعندما توفي المنصور انتقلت العناية بزبيدة ورعايتها الى عمها المهدي ، الذي كان يكن لها الكثير من الحب ، ويعاملها معاملة الابنة ، وقد انفق الكثير الكثير من المال في حفل زفافها الى ابنه هارون الرشيد .

وقد حظيت السيدة زبيدة بمحبة كبيرة من الرشيد ، حتى انه

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٧١) ، ابن العمراني الانباء في تاريخ الخلفاء (ص ٨٩) .

ليقال : انها كانت تعدل عنده كرسي الخلافة نفسه[1] .

وفي هذه المنزلة الكبيرة ، التي كانت لها في نفس الرشيد استطاعت السيدة زبيدة ان تنال ولاية العهد لابنها ووحيدها محمد الامين ، والذى بذلت في سبيل ايصاله الى ولاية العهد ، ثم الخلافة الشيء الكثير من المال والجهد .

ولا ننسى ان نكبة البرامكة ، وان كانت نتيجة اسباب عديدة انما كانت بايعاز من السيدة زبيدة التي آلمها وحز في نفسها مناصرة جعفر بن يحيى خاصة ، والبرامكة عامة للمأمون دون ابنها محمد الامين ، هذا الابن الوحيد الذى ضحت في سبيله بالغالي والنفيس والذى بقيت معه تسانده وتناصره عندما تخلى عنه الاصدقاء والانصار في حربه مع اخيه عبد الله المأمون ، تعرضت في سبيله الى الكثير من الذل والهوان من قبل الثائرين في بغداد من جهة وجيوش عبد الله المأمون من جهة اخرى[2] .

كما استطاعت السيدة زبيدة بما كان لها من ثراء وتقوى

---

(١) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٤٢٤) ، الجهشيارى : الوزراء والحكام (ص ١٧٠) .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٣٦) .

وورع ان تقوم بخدمة الاسلام والمسلمين بقيامها بالكثير من الاعمال العمرانية ، وعلى رأسها ايصال المياه الى اهالى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، وتوفير المياه للحجاج فى درب الحج العراقى من الكوفة الى مكة المكرمة والقيام باعمال عمرانية اخرى هامة فى كثير من المدن في الدولة العباسية .

وموضوع البحث الذى نحن بصدده هو الدور السياسى والعمرانى الذى قامت بهالسيدة زبيدة في الدولةالعباسية .

ومن الطبيعىانه يجب علينا ان نمهد لموضوع بحثنا هذا بنبذة عن سيرة حياة هذهالسيدة الكريمة ، صاحبة هذا الدور الكبير الذى زادفى شهرتها ، وخلد اسمها الى يومنا هذا .

وقد قسمت موضوع البحث الى ثلاثةابواب :

الباب الاول : وقد خصصته لذكر سيرة السيدة زبيدة ،فتكلمت فيه عن مولدها ،وزواجها من هارون الرشيد ، ومكارم الاخلاق التى - تحلت بها كالكرم ، وحسن التصرف ورجاحة العقل وحب العلم والمعرفة مع ذكر بعض الامثلة لكل هذه الصفات والمزايا . كما تحدثت فى هذا الباب عن منزلة السيدة زبيدة لدى الرشيد ، وكيف استطاعت ان تستفيد من هذه المنزلة في تحقيق اهدافها وامانيها ، وكذلك عن امومة السيدة زبيدة وكيف كان لهذه الامومة اكبر الاثر فى دفعها لاخذ ولايةالعهد لابنها محمدالامين ، ثم فى النهاية اشرت الى

تقواها وورعها واختتمت الباب الاول بوفاتها .

اما الباب الثاني فقد خصصته للدور السياسي الذى لعبته السيدة زبيدة وفيه تناولت الحديث عن نقطتين هامتين : الاولى تتناول البرامكة وموقف السيدة زبيدة منهم ، وفيها تكلمت بصورة موجزة عن اصل هذه الاسرة واهم زعمائها ، واسباب نكبتهم ، ثم موقف السيدة العدائي منهم ، واسباب عدائها لهذه الاسرةالتي سيطرت على حكم الدولة لفترة من الزمن . كما تكلمت في هذه النقطة ايضا عن الفضل بن الربيع ، المنافس الخطير للاسرة البرمكية واليد اليمنى للسيدة زبيدة .

واما النقطة الثانية فشملت الفتنة بين الامين والمأمون وفيها تعرضت لاسباب الفتنة ومراحلها وموقف السيدة زبيدة من احداث هذه الفتنة بين الاخوين .

اما الباب الثالث فيتناول دراسة شاملة للدور العمراني الذى قامت به لسيدة زبيدة وهو يبحث في ثلاث نقاط : النقطة الاولى درب زبيدة ، وهو الدرب المعروف بدرب الحج العراقي من الكوفة الى مكة المكرمة . وفي دراسة هذا الدرب تطرق البحث لوصف الطريق وعدد المنازل فيه ، والاصلاحات التي قام بها الخلفاء والامراء ، وكبار رجال ونساء الدولةالعباسية ، ثم الاعمال التي قامت بها السيدة زبيدة في هذا الدرب ، من بناء المصانع

وقنوات المياه والمساجد والقصور ، مع وصف بعض هذه المواقع استنادا الى ماجاء في المسح الاثرى الذى قامت به بعثة مديرية الاثار بالمملكة العربية السعودية لهذا الدرب والذى نشر فى حوليتها (اطلال) بالعدد الاول والثانى والثالث .

واما النقطة الثانية فاهتمت بمشروع ماء عين زبيدة ، وفيها تناولت بالدراسة مشكلة المياه في مكة منذ العصر الجاهلي وحتى الوقت الحاضر ، والاعمال المختلفة التى قام بها خلفاء وامراء المسلمين كل بدوره من اجل توفير المياه لاهالى مكة والحجاج ، واخيرا عمل السيدة زبيدة فى ايصال المياه من وادى النعمان وحنين الى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، والصعوبات والمشاكل التى واجهت هذا العمل وكيف تم تذليلها .

اما النقطة الثالثة والاخيرة في هذا الباب فكانت عن اعمال البر الاخرى التى قامت بها السيدة زبيدة والتى تمثلت فى بناء المساجد والدور والاربطة ، فى عدد كبير من المدن الاسلامية وقد شملت الدراسة بشكل خاص الاعمال التى قامت بها فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والطائف ، وبغداد ، والثغر الشامى ، وطرطوس وخراسان .

واخيرا اختتم البحث بذكر اهم النتائج التى توصلت اليها من دراستى للدور السياسى والعمرانى للسيدة زبيدة موضوع البحث .

٧٨ ح

اهم المصادر والمراجع

واما اهم المصادر التي قامت عليها الدراسة في استخراج المادة العلمية للرسالة فقد كانت قسمين :

مصادر تتعلق بالجانب السياسي من الرسالة ، واخرى تتعلق بالجانب الحضاري والعمراني منها .

واما المصادر السياسية فقد كانت كثيرة ومتعددة ، ونأتي في مقدمتها المصادر التالية :

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . وهو كتاب قيم شامل غني بالمعلومات السياسية القريبة العهد من الاحداث لذلك فهو مصدر امين في هذا الشأن . وقد كان الاعتماد عليه كبيرا في استخراج المادة العلمية السياسية للموضوع الا ان الاستفادة منه في الجانب العمراني كانت قليلة اذ ان الطبري لم يتوسع في هذا الجانب .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، وهو كتاب شامل غني بالمادة التاريخية ، ويعتبر امتدادا لكتاب الطبري وان زاد عليه في ذكر بعض الاحداث ، وبعض الاعمال العمرانية للخلفاء والسلاطين .

(٣) ابن قتيبة الدينوري : كتاب المعارف ، وكتاب الامامة

السياسة وهما من المصادر التاريخية الهامة التي تتميزبالاحاطة الشاملة باهم الاحداث والحقائق التاريخية وعرضها دون ايجاز او اسهاب .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، وطريقة المسعودى تتصف بانه يورد اهم الاهداث في عهد كل خليفة ، وابرز الشخصيات في عهده، مع اعطاء صورة عن كل شخصية مر ذكرها في الاحداث، اضافة الى ذكره بعض الاعمال العمرانية التي قامت بها كل شخصية من الشخصيات، وخاصة السيدة زبيدة التي ذكر لها اعمالا لم يذكرها لها غيره من المؤرخين .

(٥) ويشارك ابو الفدا الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية المسعودى هذه الصفة من حيث غزارة المادة التاريخية والترجمة لكل شخصية من الشخصيات الهامة التي يرد ذكرها في الاحداث .

(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر . وهو كتاب تاريخي شامل تتفق اهميته مع كتاب الطبرى وابن الاثير من حيث غزارة المادة التاريخية وترتيبها ، وان كان يزيد عليها في التعليق على الاحداث، وتحليلها ، كما في نكبة البرامكة .

(٧) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، واليعقوبى وان كان متشيعا للعلويين الا انه يورد الحقائق التاريخية بطريقة متسلسلة

وصحيحة ، وفي بعض الاحيان يعلق على الاحداث من وجهة نظره الخاصة .

اما المصادر التي تتعلق بالناحية الحضارية والعمرانية فهي متعددة ، ويأتي على رأس هذه المصادر ـ فيما يختص بدرب زبيدة ـ :

(١) كتاب الامام ابو اسحاق الحربي المتوفي سنة ٢٨٥هـ (المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . فالكتاب يحتوى على تفاصيل كثيرة وقيمة ، عن هذا الدرب وتفرعاته ، ومسافاته التي تتسم بالدقة والامانة . وقد اثبتت الدراسات الاثرية التي قام بها الدكتور سعد الراشد وعمليات المسح الاثرى لدرب زبيدة التي قامت بها بعثة مديرية الاثار بالمملكة العربية السعودية والمنشورة في مجلة (اطلال) صحة هذا الرأى(١) .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان . وهو كتاب قيم في عدة اجزاء ومرتب حسب الحروف الهجائية للمواضع ، وقد افاد الموضوع في تفسير اسماء بعض المواضع وفي تحديد اماكنها .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب . وهو كتاب جامع في وصف جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ووصف اهم دروب الحج فيها ويتميز كتاب الهمداني بالدقة والامانة في ذكره لمراحل الطريق

---

(١) انظر فيما بعد الباب الثالث (درب زبيدة) .

من الكوفة الى مكة المكرمة ، وهو يتفق في هذا مع الامـــام ابو اسحاق الحربى .

(٤) ابن جبير : الرحلة (تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفـار) وفيها يتحدث ابن جبير عن رحلته الشهيرة الى بلاد الحجاز مع وصفه حالةالحجاز السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة فضلا عن الوصف الشامل لدرب الحج العراقى من مكة الـى الكوفة ، مع ذكر مافي هذا الدرب من آبار وبرك ، ومصانع وقصور تنسب الى السيدة زبيدة .

(٥) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار . وفي رحلته هذه يتحدث ابن بطوطة عن الاماكن التي زارهـا مع اهتمامه بشرح عادات وتقاليد السكان فى كل منطقة زارهـا وبوصف الدروب التي سلكها .

والذى يهمنا من كتابه هذا وصفه لطريق الحج من مكة الـى الكوفة والذى سلكه في رحلته . وهو في وصفه لمراحل هـذا الطريق ومنازله يتفق مع ابن جبير ، كما يتفق معه ايضا فىنسبة كل مافي هذا الدرب من منشآت الى السيدة زبيدة .

(٦) الازرقى : اخبار مكة وماجاء فيها من الاثار ، وهو من اهـم مصادر تاريخ مكة المكرمة ، فهو موسوعة تحوى كل مايتعلق بهـا من احداث ، ودور ومساجد ، وعيون وآبار ، ومايتعلق بعمـارة

المسجد الحرام حتى سنة وفاته .

(٧) الفاسى : كتابه الاول " شفاء الغرام باخبار البلد الحرام" . وكتابه الثانى "العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين" . وهما من الكتب الهامة التى تتحدث عن تاريخ مكة ، وكل مايتعلق بها وبالمسجد الحرام والمشاعر المقدسة وبالمنشآت التى توجد فيها ، من دور وقصور وآبار المياه والعيون وغيرها .

(٨) ابن ظهيره : الجامع اللطيف فى فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف . وهو ايضا من اهم مصادر تاريخ مكة .

(٩) الجزيرى : درر الفوائد المنظمة فى اخبار الحج وطريق مكة المعظمة . وهو من الكتب التى تتحدث عن اخبار الحج وماكان يحدث فى كل موسم من احداث هامة ، اضافة الى ذكر المحمل واهم الطرق التى يسلكها الحجاج الى مكة المكرمة .

(١٠) السمهودى : وفاءالوفاء باخبار دار المصطفى . ويتحدث فيه عن كل مايتعلق بالمدينة المنورة ، والمسجد النبوى الشريف والقصور والدور ، والحصون التى بها والاقاليم المجاورة لها وهو بذلك يعتبر موسوعة فى تاريخ المدينة المنورة .

(١١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ويعتبر ايضا موسوعة فى تاريخ بغداد ، حيث يصف مدينة السلام ، ومايحيط بها من الاقاليم المختلفة وصفا كاملا مع ترجمة كاملة لكل شخصية

من الشخصيات الهامة التي وجدت بها .

وفي ختام هذا العرض لاهم المصادر يجب الا نغفل الاشارة الى بعض المراجع الهامة التي اعتمد عليها الموضوع وهي :

(١) عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيد ، وهو من اهم واوثق الكتب التي تناولت بالدراسة تاريخ هذا الخليفة العباسي العظيم .

(٢) شاكر مصطفى : دولة بني العباس . وفيه يتحدث الكاتب عن الدولة العباسية وكيفية قيامها وخلفائها والاحداث التي مرت بها مع العناية بالتحليل والشرح لاهم هذه الاحداث .

(٣) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول . وهو بجانب دراسته لتاريخ العصر العباسي الاول يهتم ايضا بابراز الجوانب الحضارية في هذا العصر .

ومن المراجع التي اهتمت بالجوانب العمرانية :

(١) كتاب عبد الله محمد صالح الزواوي وعنوانه " بغية الراغبين وقرة عين اهل البلد الامين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة ام الامين" . وهذا الكتاب يتناول تاريخ عين زبيدة والاصلاحات التي اجريت عليها منذ نشأتها وحتى عام ١٣٣٠ هـ .

(٢) سعد الراشد : اطروحته عن درب زبيدة ، ومقالاته المتعددة عن هذا الدرب والمنشورة في مجلة الدارة ، وفي مجلة كلية

الاداب جامعة الرياض وفي مجلة اطلال والتي يجد القارئ ثبتا بها في قائمة المصادر والمراجع في نهاية الرسالة . واهمية كتابات سعد الراشد تأتي في انه في بحوثه هذه عن درب زبيدة يجمع بين الجانب التاريخي والبحث الاثري .

(٣) كما كانت الفائدة كبيرة من المسح الاثري لدرب زبيدة الذي قامت به بعثة مديرية الاثار بالمملكة العربية السعودية والتي نشرتها في مجلة (اطلال) في العدد الاول والثاني والثالث . فمن خلال هذا البحث وماتم مسحه حتى الان من درب زبيدة وبمقارنته بالمادة التاريخية التي استخرجت من المصادر التاريخية عن هذا الدرب تحققنا من صحة المعلومات التي جاءت بها .

(٤) ولا يفوتنا ان نشير الى اهمية كتاب مؤرخ الجزيرة العربية حمد الجاسر (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) الذي يقع في عدة اجزاء ومرتب على حروف المعجم .
وكذلك كتاب عاتق بن غيث البلادي (معجم معالم الحجاز) وهو في عدة اجزاء ، ومرتب ايضا على حروف المعجم . وهذا الكتاب خاص باقليم الحجاز وقد جاءت الافادة منه في تحديد بعض المواضع وفي معرفة اسمائها في القديم وفي الوقت الحاضر . وكتابه الثاني (معالم مكة التاريخية والاثرية)

والذى يتحدث فيه عن اشهر الاماكن والمواضع فى مكة المكرمة من جبال ووديان ، وعيون وآبار . والبلادى يعتبر بحق موسوعة في تاريخ وجغرافية بلاد الحجاز .

ومن اهم المراجع التى تم الاعتماد عليها ايضا كتاب ابن بلهيد (صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار) وهو فى عدة اجزاء ومرتب حسب الحروف الابجدية . وفيه يتحدث ابن بلهيد عن الاماكن ذات الشهرة التاريخية فى الجزيرة العربية ، منذ القدم وحتى الوقت الحاضر مع استشهاده ببعض ابيات من الشعر التى قيلت فى هذه المواضع والاماكن .

هذا بالاضافة الى الكثير من المصادر والمراجع التى تم الاستعانة بها فى هذا البحث ولا يتسع المجال لذكرها هنا ، ويجدها القارىء الكريم مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع .

وفى الختام لحسب ان اتقدم بالشكر الجزيل الى استاذى الفاضل الدكتور احمد الدراج للجهود القيمة التي بذلها ومساعدته التي قدمها وتوجيهاته التى كان لها الاثر الاكبر فى اخراج بحثي هذا على الصورة التى هى عليه . فله مني ومن كل طالب علم الشكر والتقدير والعرفان بالجميل .

كما ارجو ان يكون موضوع رسالتى هذا قد جاء على قدر من العلم ودرجة من الفائدة ليكون فيه العون لكل باحث فى هذا المجال

واسأل الله ان يثيبني عليه ان احسنت، ويمنحني اجر المجتهـــد ان اخطأت . فهو ولينا في الدنيا والاخرة ، و هو نعم المولى ونعـــــم النصــــــير ..

ملك الخياط

الباب الأول

سيرة السيدة زبيدة

- نشأتها - وزواجها من هارون الرشيد.
- كرمها.
- حبها للعلم.
- حسن تصرفها ورجاحة عقلها
- منزلتها لدى الرشيد.
- أمومتها.
- تقواها وورعها.
- وفاتها.

نشأتها وزواجها من الرشيد .

ولدت هذه السيدة الجليلة في بيت شرف وسلطان ومجد ، فابوها هو جعفر الابن الثاني للمنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الخليفة العباسي الذائع الصيت [١] .

ولدت في قصر ابيها المعروف بقصر حرب في الموصل في سنة ١٤٥ هـ [٢] . وسميت امة العزيز وقيل ام العزيز [٣] .

الا انها اشتهرت بلقب زبيدة ، وسبب ذلك ان جدها المنصور كان يلاعبها ، ويراقصها وهي صغيرة ويقول : انما انت زبيدة لبياضها ونضرتها ، فغلبت هذه التسمية عليها واصبحت لا تعرف الا بها [٤] . كما

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٤٠) .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ٢٠) ، عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيد (١ : ١٠٠) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٧١) ، زينب العاملي : الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص ٢١٥) .

(٤) ابن كثير : المصدر السابق (٩ : ٢٧١) ، ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص ٨٩) ، الاصبهاني : الاغاني المجلد ٣ ، (٩ : ٩٧) ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٢ : ٢١٣) ، خير الدين الزركلي : الاعلام (٣ : ٧٣) .

كانت تكنى ايضا باسم ام الواحد وام جعفر ولقب ام جعفر هو الذى اشتهرت به لدى كثير من المؤرخين[1]. كما ان بعض المؤرخين حينما يذكرونها كانوا يدعونها باسم امة الواحد[2].

وقد زفت زبيدة الى هارون الرشيد فى سنة ١٦٥هـ فى خلافة ابيه المهدى ببغداد ، فى دار محمد بن سليمان تلك الدار التى صارت الى العباسة ثم الى المعتصم بالله[3]، والتى يطلق عليها سويقة العباسة[4].

وتعد حفلة زفافها من الحفلات الشهيرة فى التاريخ ، من حيث البذخ والاسراف فقد استعد الخليفة المهدى لحفل زواج زبيدة على ابنه هارون كما لم يستعد لامرأة قبلها من الالة وصناديق الجواهر والحلى والتيجان والاكاليل ، وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة كما اعطاها بدنة عبدة ابنة عبد الله بن يزيد بن معاوية زوجة هشام بن عبد الملك ، تلك البدنة التى لم ير مثلها فى الاسلام ، ولا مثل الدر الذى كان فيها ففى ظهرها وصدرها خطان من الياقوت الاحمر وباقيها من الدر الذى ليس له مثيل[5].

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد (٥ : ١١٧) ، ابن قتيبة الدينورى المعارف (ص ١٦٥) ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٧ ، ٤٦) ، مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسى (ص ٤٤) .

(٢) مؤلف مجهول : العيون والحدائق (ص ٣٢٠) .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٤٠) ، ابن الاثير الكامل فى التاريخ (٥ : ١٣١) ، ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٢٢) .

(٤) الفقيه الهمدانى : بغداد مدينة السلام (ص ٥٦) ، الاربلى =

وباقيها من الدر الذى ليس له مثيل[1] .

كما ان الرشيد لم يكن اقل من ابيه (اى المهدى) احتفاء بزبيدة فقد اقام لها وليمة عرس، لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى انواع الطعام والحلوى التى قدمت فيها ، ويقال ان الحطب الذى احرقه لاعداد الطعام والحلوى حمل اليهم على خمسمائة بغل[2] . ويقدر المؤرخون تكاليف هذه الولية بحوالى خمسة وخمسين الف درهم[3] .

هذا بالاضافة الى الهبات والعطايا التى منحها الرشيد للعامة والخاصة من دنانير الذهب ودراهم الفضة ، ونوافج المسك وقطع العنبر والوشى المنسوجة .

ويصف لنا الشابشتى كل هذا فى كتابه الديارات حيث يقول " ودخل بها الرشيد فى المحرم سنة خمس وستين ومائة فى قصره المعروف بالخلد ، وحشر الناس فى الافاق وخرق فيه من الاموال الامر العظيم ، فكانت الدنانير تجعل فى جامات فضة ، والدراهم فى جامات ذهب ، ونوافج المسك وجماجم العنبر والغالية فى بواطس

= الذهب المسبوك (ص ١٠٧) ، عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيد (١ : ١٠٢) ، خير الدين الزركلى : الاعلام (٣ : ٧٣) .

(١) الشابشتى : الديارات (ص ١٥٦) .

(٢) عمر ابو النصر : الهوى والشباب والحضارة فى عهد الرشيد (ص ٣١) .

(٣) حسن احمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى (ص ٢٢) .

زجاج ، ويفرق ذلك على الناس، ويخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة واوقد بين يديه تلك الليلة شمع العنبر في اتوار الذهب، واحضر نساء بني هاشم وكان يدفع الى كل واحدة منهن كيسا فيه دنانير وكيسا فيه دراهم، وصينية كبيرة من الفضة فيها طيب، ويخلع عليها خلعة وشي مثقل ، فلم يرفي الاسلام مثلها . وبلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة سوى ماانفقه الرشيد من ماله خمسين الف الف درهم .

وقد امر الرشيد ان تجلي زبيدة في درع من الدر لم يقدر احد على تقييمه بثمن ، وغالى في تزيينها بالحلى حتى عجزت عن المشي لكثرة ماكان عليها من الجوهر) (١) .

وفي الحقيقة ان هذه التكاليف والنفقات التي انفقت في حفل زواج السيدة زبيدة لم تكن بالشيء الكثير، نظرا للمنزلة التي كانت لها في قلب الرشيد ، والتي يقال عنها في بعض الروايات انها كانت تساوي وتعادل عنده كرسي الخلافة نفسه .

وفي هذا الصدد يقول الطبري : (كان هارون قد طاب نفسا بالخلع فقال له يحيي بن برمك لاتفعل ، فقال : اليس يترك لي الهني والمري ، فهما يسعانني واعيش مع ابنة عمي وكان هارون يجد بام جعفر وجدا شديدا) (٢) .

---

(١) الشابستي : الديارات (ص١٥٧) ، عمر ابو النصر : الهوى والشباب والحضارة في عصر الرشيد (ص٣١) .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٢٤) ، عبد الجبار الجومرد هارون الرشيد (١ : ١٢٦) .

ويروى لنا الجهشيارى ايضا نفس هذه القصة فيقول : (ان الرشيد كان يحب زوجته زبيدة ويجد بها وجدا شديدا ، وانه لما عرض عليه الهادى ان يقطعه اقطاعا كبيرا على ان يخلع نفسه عن ولاية العهد قبل ذلك العرض ، وقال : اذا نزلت على الهنى والمرىء ، وخلوت بابنة عمى فما اريد شيئا) [(١)] .

وقد حظيت زبيدة بهذه المنزلة العظيمة عند الرشيد لما حباها الله به من مزايا وصفات خَلْقية وخُلقية نادرة قلما تمتعت بها واحدة غيرها من نساء الخلفاء والامراء .

وكانت زبيدة تعد من جميلات عصرها [(٢)] ، واضافة الى هذا الجمال كانت تمتلك الذكاء الخارق والرأى السديد ، وحسن التصرف ، وطلاوة اللسان والعلم الواسع . فضلا عن اشتهارها بالكرم والمروءة والغيرة الشديدة على الرشيد . كل هذه الصفات الخلقية والخلقية جعلتها فى المنزلة التى لا يتقدمها احد فيها لدى الرشيد ، ومكنتها فيما بعد من ان تسيطر على مقاليد الامور وتسيرها الى ما فيه مصلحتها ، كما حدث فى تولية العهد لابنها الامين ، وفى نكبة البرامكة وغيرها من الاعمال الهامة .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب (ص ١٧٠) ، احمد شلبى : فى قصور الخلفاء العباسيين (ص ٤٥) .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٧١) ، الخطيب البغدادى تاريخ بغداد (١٤ : ٤٣٣) ، الاصفهانى : الاغانى ، مجلد ٣ (٩ : ٩٧) .

كرمهـــا .

تمتعت السيدة زبيدة - كما عرفنا - بكثير من الصفات والسجايا بعضها فطرى ، والبعض الاخر مكتسب كالكرم والجود وحب العلم والمعرفة وسداد الرأى وحسن التصرف ورجاحة العقل .

وقد ساعد على نمو هذه الصفات الجو الذى عاشت وترعرعت فيه فمثلا صفة الكرم التى اشتهرت بها انما هى صفة فطرية ساعد على نموها وازديادها الثروات والموارد المالية التى كانت بين يديها ، فهى كما نعلم حفيدة المنصور المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، وزوجة الرشيد ، ذلك الخليفة الذى بلغت الدولة فى عصره ذروة الرخاء الاقتصادى ، والازدهار الاجتماعى ، فقد كان الرشيد يقول للسحابة حينما يراها : اذهبى حيثما شئت فان خراجك سيأتينى .(١)

وزاد مكانتها سموا وقدرها علوا انها اصبحت فيما بعد اما للخليفة محمد الامين ، كما ان اولاد زوجها اصبحوا من الخلفاء كالمأمون والمعتصم . هذا الجو بلا شك ساعد على تنمية هذه الصفات

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى (٣ : ١٧٠) ، حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي (٢ : ٦٢ ، ٣٠٤) ، ابراهيم احمد العدوى : التاريخ الاسلامى آفاقه السياسية وابعاده الحضارية (ص ٢٩٥) .

التي وهبها اللهايـاها ، وساعد على ان تصبح زبيدة سيدة زمانها في الكرم والجود والمروءة . وغدت مضرب المثل . وروى الكثير الكثير من القصص والاخبار عن كرمها مع العلماء والشعراء والفقهاء والاطباء وغيرهم (١) .

فقد استأثر الشعراء والادباء بالكثير من عطف ورعاية السيدة زبيدة وكان على رأس هؤلاء الشعراء ابو العتاهية الشاعر الذائع الصيت فقد خصصت له السيدة زبيدة مكافأة مالية ترسلها اليه كل عام تضرب فيه الدراهم والدنانير .

ويروى لنا ابن طيفور في كتابه (بغداد) قصة هذه المكافأة فيقول : (كان المأمون يبعث الى ام جعفر في كل سنة من ضرب السنة مالا ودنانير ودراهم فكانت تصل ابا العتاهية ، وذات مرة جاء ابو العتاهية الى مسلم بن سعدان كاتب ام جعفر ، وانا قاعد اكتب بين يديه وكنت لا ازال غلاما فاعطاه رقعة ، وسأله ان يدفعها الى لا وصلها الى ام جعفر ، فاخذت الرقعة فادخلتها الى ام جعفر فقرأتها ، فاذا فيها :

زعموا الي ان في ضرب السنة … جدداً بيضاء وصفراً حسنة
سككا قد احدثت لم ارها … مثل ماكنت ارى كل سنة

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء (١ : ٤٤٠) .

وكان صرد الخادم يتولى تفرقة صلة المأمون لها من هذه الدراهم والدنانير الجدد ، فامرت باحضار صرد فقالت له : لم لم تعط ابا العتاهية صلته من الدنانير والدراهم ؟ فقال : لم تبلغه النوبة قالت فعجلها له . فاعطاني مائة دينار والفي درهم ، خرجت بها في صرتين حتى دفعتها الى مسلم بن سعدان ، فدفعها اليه .(١)

هذا اضافة الى الهبات والعطايا التى كانت تدفعها اليه عندما كان ينشدها قصيدة من قصائده فى مدح الامين . فقد وهبت له عشرة آلاف درهم عندما انشدها قصيدته التى يقول فى مطلعها :

ياعمود الاسلام خير عمود	والذى صيغ فى حياء وجود
والذى فيه مايسلى ذوى	الاحزان عن كل هلك مفقود (٢)

وقد وهبت له ايضا عشرين الف درهم ، عندما طلبت اليه ان يقول على لسانها ابياتا يستعطف بها الخليفة المأمون بعد مقتل ابنها محمد الامين .(٣)

---

(١) ابن طيفور : بغداد (ص ١٦٣ - ١٦٤) ، عمر رضا كحالة : اعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام (٢ : ٢٣) ، زينب العاملى: الدر المنثور (ص ٢١٨) .

(٢) الاصبهانى : الاغانى ، المجلد ٧ (٢١ : ١١) .

(٣) انظر فيما بعد .

كما قال من كرمها ايضا الشاعر مروان بن ابى حفصة الذى انشدها هذه الابيات عندما انجبت ابنها محمدا الامين :

لله درك ياعقيلة جعفـــر ماذا ولدت في العلا والسؤدد
ان الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبـين محمـد

فلما سمعت ذلك امرت ان يحشي فمه دررا ، وقد قدرت هـــذه الدرر بحوالي عشرة آلاف دينار (١).

وحينما بويع الامين بولاية العهد قال سلم الخاسر ابياتا فــى مدحه ، فامرت السيدة زبيدة ان يحشي فم سلم الخاسر جوهرا قـــدرت قيمته بحوالي عشرين الف دينار، وهذه الابيات هي :

قل للمنازل بالكثيب الاعفـر اسقيت غادية السحاب الممطر
قد بايع الثقلان مهدى الهدى لمحمد بن زبيدة بنـة جعفـر (٢)

---

(١) ابن عبدربه : العقد الفريد (١ : ٣١٣-٣١٤) ، ابن خلكـــان وفيات الاعيان (٢ : ٣١٥ -٣١٦) ، وردت فيه هذين البيتين على هذا النحو :
لله درك ياعقيلة جعفر ماذا ولدت في الندى والسؤدد
(٢) انظر بقية الابيات في السيوطي : تاريخ الخلفاء (ص ٤٦٣) .

ويحكي انه وقع بين الرشيد وزبيدة خلاف، فنظم فيه داود بن رزين مولى قيس ابياتا قال فيها :

زمن طيب ويوم مطير هذه روضة وهذا غدير

انما ام جعفر جنة الخلد ورضاها والسخط منها السعير

فلما سمعت ام جعفر بهذه الابيات ارسلت اليه في الحال مائة الف دينار، ثم اضعاف ذلك المبلغ فيما بعد (١).

وكانت دار ام جعفر مركزا يتجمع فيها الشعراء والادباء والمغنين ينشدون فيها اشعارهم واغانيهم ويذكر عمرو بن بانة قصة عن تجمع هؤلاء الشعراء والمغنين في دار ام جعفر، فيقول : كنا في دار ام جعفر جماعة من الشعراء والمغنين، فخرجت جارية لها وكمها مملوء دراهم فقالت ايكم القائل :

من ذا يعيرك عينه تبكي بها ارأيت عينا للبكاء تعار

فاومىء الى العباس بن الاحنف، فنثرت الدراهم في حجره فنفطها، فلقطها الفراشون . ثم دخلت ومعها ثلاثة من الفراشين على عنق كل فراش بدرة فيها دراهم فمضوا بها الى منزل العباس بن الاحنف (٢).

---

(١) انظر بقية الابيات في ابن خلكان : وفيات الاعيان (٢ : ٣١٥)+ .
(٢) الاصبهاني : الاغاني، المجلد الثالث(٩ : ٢٢-٢٣) .

كما اعطت المنصور النمرى الفي دينار لقوله شعرا يحبب فيه بغداد الى الرشيد .

ماذا ببغداد من طيب الافانين
ومن منارة للدنيا وللدين
تجي الرياح بها المرضى اذا انسحت
وجوشت بين اغصان الرياحين (١)

وهناك حكاية طريفة حدثت بين الشاعر النصيب، وبين السيدة زبيدة ام جعفر، اذ ان ابن ابي سعيد النصيب لما حجت ام جعفر لقيها فارتجل شعرا :

سيستبشر البيت الحرام وزمزم   بام ولي العهد زين المواسم
ويعلم من وافي المحصب انها   ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم

الى آخر هذه الابيات .

فامرت له بعشرة آلاف درهم، وفرس فاعطيه بلا سرج ، فتلقاها لما رحلت وقال :

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، المجلد الاول (ص ٥١ - ٥٢) .

لقد سادت زبيدة كل حـي ... و ميت ماخلا الملك الهماما
تقي وسماحة وخلوص مجـد ... اذا الانساب اخلصت الكراما
اذا نزلت منازلها قريش ... نزلت الانف منها والسناما
بلغت في المفاخر كل فخـر ... وجاوزت الكلام فلا كلاما
واعطيت اللهى لكن طرفـي ... يريد السرج منكم واللجاما

فامرت له بسرج ولجام.(١)

كما امتد كرمها ايضا الى المغنين ، حيث اعطت ابن جامع مائة الف درهم لانشاده مغنيا :

فارعدت رعدة ولا برقت ... لكنها انشأت لنا خلقه(٢)

كما نال القاضي ورجل الفتوى ابو يوسف من كرمها الشيء الكثير يقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب :" وقد كانت ام جعفر كتبت مسألة الى ابى يوسف تستفتيه فيها ، فافتاها بما وافق مرادها ، على حسب ما اوجبته الشريعة عنده ، وقاده اجتهاده اليه ، فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق من فضة ، في كل حق لون من الطيب ، وجام ذهب فيه دراهم

---

(١) الاصبهاني : الاغاني ، المجلد ٧ (٢٠ ١٢٢١-٣٢-٣٢) .
(٢) انظر بقية الابيات في الاصبهاني : الاغاني ، المجلد ٨ (٦ : ١٧٤) . عمر رضا كحالة : اعلام النساء (٢ : ٢٤ - ٢٥) .

وجام فضة فيه دنانير، وغلمان ، وتخوت من ثياب وحمار وبغل [1] .

كما نال الطبيب الشهير جبرائيل بن بختيشوع الرعاية والاهتمام من قبل السيدة زبيدة التي عينت له راتبا شهريا يقدر بحوالي خمسون الف درهم [2] .

ولقد امتد كرم ام جعفر فشمل كل من يحتاج اليها من الشعراء والمغنين والقضاة وغيرهم من عامة الشعب [3] .

وفي الحقيقة ان كرم أم جعفر وبرها لم يقتصرعلى العامة فقط وانما امتد ليشمل الخاصة ايضا .

فمثلا لما علمت ام جعفر بشغف الرشيد بدنانير تلك الجارية الصفراء ارسلت الى اعمامه تخبرهم بالخبر،فلما تبين لاعمام الرشيد حقيقة مشاعره ، وانه لم يكن يحبها ، وانما هو معجب بغنائها ، بعثت اليه عشر جوار منهن مارية ام المعتصم، ومراجل ام المأمون ، ونادرة ام صالح [4] .

ولما تزوج الخليفة المأمون ببوران بنت الحسن اهدت اليها

---

(١) المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٣٤٠) ، الخطيب البغدادى تاريخ بغداد (١٤ : ٢٥٢) .
(٢) القفطي : تاريخ الحكماء (ص ١٣٢ - ١٣٣) .
(٣) على سبيل المثال انظر الاصفهاني : الاغاني ، مجلد ٥ (١٤ : ٤٩-٥٠) .
(٤) الاصبهاني : المصدر السابق ، المجلد ٦ (١٦ : ١٣١-١٣٢) .

ام جعفر البدنة الاموية ، او البدلة الاموية[1] .

وقد انفقت زبيدة على زفاف بوران حوالى خمسة وثلاثين الف الف الى سبعة وثلاثين الف الف درهم كما اهدتها فم الصلح تلك الضيعة الشهيرة[2] .

ولم يقتصر كرمها على مكن سبق ذكرهم من الخاصة والعامة حيث كانت تعيش في بغداد ، وانما شمل ايضا فقراء الحرمين الذين كانت تجود عليهم بكثير من الهبات والعطايا[3] .

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٧ : ١٧٨) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ٢٠ - ٢١١) ، ابن الساعي : نساء الخلفاء (ص ٦٧) ، ابن طيفور : بغداد (ص ١١٤) ، مصطفى جواد المرجع السابق (ص ٥٥) .

(٢) فم الصلح نهر كبير فوق واسط ، ياقوت : معجم البلدان (٤ : ٢٧٦) .

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة (ص ٢٢٦) .

حبها للعلـــم .

احبت السيدة زبيدة الاحسان فتحلت بالجود والكرم . واحبت العلم والمعرفة فقربت اليها العماء والادباء، وكانت كلما حيرها امر من علـــم او ادب سألت من حولها من المتخصصين فيه .

فيحكي انها احضرت الاصمعي وقالت له : ان امير المؤمنيــــن استدعاني وقال : هلمي يا ام نهر، فما معنى ذلك ؟ فقال لها : ان جعفر في اللغة هو النهر الصغير، وانت ام جعفر (١) .

كما كان لها مائة جارية يحفظن القرآن الكريم، وكان يسمع لهـــن في القصر دوى كدوى النحل من كثرة القراءة (٢) .

كما تمتعت السيدة زبيدة بمعرفة تامة للشعر وضروبه المختلفـــة فحدث ان وقع خلاف بينها وبين الرشيد في بيت من الشعر يقول :

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فكان الرشيد يقول : (يحيين) وزبيدة تقول (يجنن) فتراهنا علـــى ذلك بالفي دينار، ودعوا مسرورا الخادم، واعطياه الدنانير علـــى ان يخرج فيسأل افضل من ببغداد من اهل العلم، فان صوب المسئـــول قول الرشيد اعطاه الفه، وان صوب قول زبيدة اعطاه الفها، فخرج مســـرور

---

(١) ابن خلكان : المصدر السابق (٢ : ٣١٥) .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٧٦) .

يطلب من يفتيه في ذلك، فدل على الكسائي الذى صوب الكلمتين فاعطاه مسرور الالفين.(١)

وانشد رجل زبيدة شعرا قال فيه :

ازبيدة ابنة جعفر   طوبى لزائرك المثاب
تعطايه من رجليك ما   تعطي الاكف من الرغاب

فوثب اليه الخدم يضربونه، فمنعتهم من ذلك وقالت : اراد خيرا واخطأ، وهو احب الينا ممن اراد بنا شرا فاطاب، وانما اراد ان يقول على قول الشاعر : شمالك اجود من يمين غيرك، وقفاك احسن من وجه غيرك. فظن انه اذا ذكر الرجلين انه ابلغ من المدح اعطوه ما امل وعرفوه ماجهل، وامرت له بجائزة. فقال ابو نواس : لقد ورد عليها شيء لو ورد على العباس بن المطلب ماكان عنده من الحلم والاحتمال وتسهيل الامر اكثر مما كان عند هذه المرأة، وهي من بنات ابنائه، ولكن الله اعلم حيث يجعل رسالته.(٢)

ولما تولى محمد الامين الخلافة انشده ابو العتاهية شعرا قال فيه :

---

(١) شوقي ابو خليل : هارون الرشيد (ص ٢٤).
(٢) القيرواني : زهرة الاداب وثمرة الالباب (ص ٣٤٩).

يابن عم النبي خير البريــــة		انما انت رحمة للرعيــــة
يا امام الهدى الامين المصفى		بلباب الخلافة الهاشمية

الى آخر هذه الابيات التي وردت في الاغاني . ولما سمعت ام جعفر هذه الابيات، لم تعجبها واخبرت ابا العتاهية بذلك عندما حضر الى دارها فغضب ابو العتاهية عندما سمع بهذا وقال : انما انشدت امير المؤمنين مايستملح ، اولست انا القائل فيه :

ياعمود الاسلام خير عمـود		والذى صيغ من حياء وجود
والذى فيه مايسلى ذوى		الاحزان عن كل هالك مفقود

فقالت له : الان وفيت المديح حقه ، وامرت له بجائزة (١) .

وحدث بينها وبين احد عمالها قصة تدل على سعة علمها واطلاعها على اللغة . فقد كتبت على ظهر كتاب ورد اليها من احد عمالها (ان اصلح كتابك ، والا صرفناك عن عملك) . فتأمله ذلك العامل ، فلم يظهر له فيه شيء ، فعرضه على بعض اخوانه ، فرأى فيه دعاء عليها اذ قال العامل في كتابه (وادام كرامتك) ، فقال له : انها تخيلت انك دعوت عليها ، فان كرامة النساء دفنهن فغير القول ، واعاد الكتاب اليها فقبلته (٢) .

---

(١) الاصبهاني : الاغاني ، المجلد ٧ (٢١ : ١١) .
(٢) عمر رضا كحالة : اعلام النساء (٢ : ٢٦) .

ولما ماتت فطيم زوج الامين، وام ولده موسى جزع عليها جزعا شديدا فبلغ ام جعفر الخبر، فذهبت اليه وقالت له هذه الابيات :

نفسي فداؤك لا يذهب بك اللهـــف
ففي بقائك مما قد مضى خلـــف
عوضت موسى فهانت كل مرزئـــه
فما بعد موسى على مفقوده اسف (١)

وقالت زبيدة في رثاء الامين ابياتا من الشعر مطلعها :
اودى بالفك من لم يترك الناســـا
فامنح فؤادك عن مقتولك الياســـا
لما رأيت المنايا قد قصدت لــــه
اصبن منه سواد القلب والراســـا
فبت متكئا ارعى النجـــوم لــــه
اخال سنة من الليـــل قرطاســـا
الى آخر هذه الابيات (٢).

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ١٠٦) ، المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٣٩٣) ، ذكر المسعودى اسم هذه الزوجة فظم .
ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد (٥ : ١١٨) البيت على هذا النحو
نفسي فداؤك لا يذهب بك التلف .

(٢) المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٤١٤-٤١٥) .

كما تعد نصيحتها لقائد الجيش الخارج لقتال المأمون علي بن عيسى بن ماهان مثالا على حسن وجزيل كلامها فهي تقول : ياعلي ان امير المؤمنين وان كان ولدي فاليه تناهت شفقتي ، وعليه تكامل حذري ، فاني على عبد الله المأمون منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه واذى . وانما ابني ملك نافس اخاه في سلطانه ، وغاره على مافي يده والكريم يأكل لحمه ويميته غيره ، فاعرف لعبد الله حق والده واخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست نظيره ، ولا تقسره اقتسار العبيد ، ولا ترهقه بقيد ولا غل ، ولا تمنع عنه جارية ولا خادما ، ولا تعنف عليه في السير ولا تساوه في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه وان شتمك فاحتمل منه ، وان سفه عليك فلا ترادده[1] .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ١٦) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ١٤٣) .

حسن تصرفها ورجاحة عقلها .

وفضلا عن ذلك فالسيدة زبيدة من النساء العاقلات ذوات الرأي السليم والتصرف الحسن . فانها رغم المأساة الاليمة التي مرت بها في مقتل ابنها ووحيدها محمد الامين ، ونهب قصورها واموالها ومجوهراتها (١) لم تخرج عن طورها ، وانما اعتبرت كل تلك الامور قضاء من الله وقدرا يجب الصبر عليه واحتساب الاجر فيه .

حتى عندما حرضها البعض على الخروج لقتال المأمون ، والاخذ بثأر ابنها ، فانها لم تنسق الى تحريضهم ، وانما اجابتهم بقولها : " ماللنساء وطلب الثأر ، ومنازلة الابطال" (٢) .

وكل مافعلته انها امرت بثيابها فسودت ، ولبست مسحا من شعر ودعت ابا العتاهية وامرته ان يقول ابياتا على لسانها يرثي بها الامين ويخاطب فيها الخليفة المأمون ، فقال :

---

(١) من امثلة ذلك العقد المعروف بالشفاء والذي انتهب اثناء الفتنة بين الامين والمأمون (ابن عذاري ـ البيان المغرب (٢ : ٢٩٢) ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة (١ : ٢١) ، عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (ص ٢٢٩) ، احمد ابن ابراهيم الشعراوي : الامويون امراء الاندلس الاول (ص ٢٩٧) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس (ص ١٣٩ ـ ١٤٠) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٤١٥) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ٢٦٨) .

لخير امام قام من خير عنصر | وافضل سام فوق اعواد منبر
لوارث علم الاولين وفهمهم | وللملك المأمون من ام جعفر
كتبت وعين مستهل دموعها | اليك ابن عمي من جفوني ومحجري (١)

ولما قدم المأمون بغداد دخلت عليه ام جعفر وقالت : " اهنيك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل ان اراك ، ولئن كنت قد فقدت ابنا خليفة لقد عوضت ابنا خليفة لم الده ، وما خسر من اعتاضى مثلك ، ولا ثكلت ام ملأت يدها منك ، وانا اسأل الله اجرا على ما اخذ وامتاعا بما عوض" (٢) .

ولما احست زبيدة جفاء من المأمون ، ارسلت الى ابى العتاهية تخبره بذلك ، وتأمره ان ينشد فيه ابياتا يستعطفه فيها ، فكانت هذه الابيات :

الا ان ريب الدهر يدني ويبعد | ويونسها الالاف طورا ويفقد
اصابت لريب الدهر مني يدى يدى | فسلمت للاقدار والله احمد
وقلت لريب الدهر ان ذهبت يد | فقد بقيت والحمد لله لي يد
اذ ابقى المأمون لي فالرشيد لي | ولي جعفر لم يفقد او محمد (٣)

---

(١) انظر بقية الابيات في الطبري : تاريخ الرسل (٧ : ٩٩) ، زينب العاملي : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص ٢١٦) .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان (٢ : ٣١٦) ، ابن عبد ربه : العقد الفريد (٢ : ٢٧٤) .
(٣) الاصبهاني : الاغاني : المجلد ٧ (٢١ : ١٢) وانظر ايضا نص الابيات كما اوردها ابن خلكان في وفيات الاعيان (٢ : ٣١٦) ، ابن عبد ربه العقد الفريد (٣ : ٢٦١ - ٢٦٢) .

ويحدثنا هارون بن مخارق بقصة هذه الابيات فيقول : " حدثني ابي قال : ناهوت لام جعفر جفوة من المأمون ، فبعثت الي بابيات وامرتني ان اغنيها امام المأمون واسنت لي جائزة ففعلت ، فسألني المأمون عن الخبر فعرفته ، فبكي ورق لها . وقام من وقته فدخل عليها واكب عليها وقبلت يديه وقال لها : يا اماه ماجفوتك تعمدا ، ولكني شغلت عنك بمالا يمكن اغفاله . . فقالت : يا امير المؤمنين اذا احسن رأيك لم يوحشني شغلك ، واتم يومه عندها (١) .

واذا مارجعنا الى الوراء قليلا ، اي الى فترة الخلاف بين الامين والمأمون وجدنا ان ام جعفر ظلت كما عرفناها دائما ذات الرأى الحسن والتصرف السليم . فعلى الرغم من حبها الشديد لابنها الامين وعطفها عليه ، ووقوفها الى جانبه ، الا انه لم يغب عن ذهنها ان ابنها هو الذي ابتدأ بالخطأ ، ولذلك امرت قائد الجيش الخارج لقتال المأمون علي بن عيسى بن ماهان بان يترفق بالمأمون ويعامله بالحسنى اذا ما انتصر عليه (٢) .

كما تظهر لنا رجاحة عقل ام جعفر وحسن تصرفها من هذه المحادثة بينها وبين الرشيد بشأن كاتبها سعدان . فقد قال لها الرشيد : قد تهتك كاتبك سعدان فاعزليه . قالت : وبأي شيء تهتك ؟ قال : بالمرافق والوشاوى حتى قال فيه الشاعر :

---

(١) زينب العاملي : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص ٢١٧) .
(٢) انظر هذه الوصية (ص ٣٨) من هذه الرسالة .

صب في قنديل سعـــدا | ن مع التسليم زيتهـــا
وقناديل بنيــــه | قبل ان تحفى الكميتـــا

فقالت له : وقد قال الشاعر في كاتبك ابى صالح يحيى بـــن عبد الرحمن اشنع من هذا . فقال لها الرشيد : وماقال ؟ قالت :قال :

تراه في مجلسه اخوصا | في لمحه للدرهم اللائـح

فقال لها الرشيد : كذب على كاتبي وكاتبك . قال هارون بن مسلـــم بلغني انها قالت هذا الشعر في تلك الساعة (١) .

وهناك حادثة اخرى تدل على تلك الصفةالتي كانت تمتلكهــــا ام جعفر وهي حسن التصرف، وبعد النظر في الامور .فيروى ان ابنهـــا محمد الامين اختلف مع العباس بن عبد الله بن جعفر في عبد من عبيـــد العباس فر من منزله الى قصر الامين ، فاكرمه الامين ، واحسن اليــــه واصبح موضع اعجابه وتقديره ، فاستغل الخادم هذه المنزلة الـــتي آل اليها عند الامين ، واراد ان يرى خدم وعبيد العباس بن عبد اللــه ابن جعفر منزلته هذه والهيئة التي اصبح فيها ، فذهب اليهم في جماعة من خدم الامين ، فاحتجزه سيده ولما علم الامين بالخبر ، ارسل اليـــه جماعة من عبيده وخدمه لاخراجه من منزل العباس . وكاد الامر ان يتطـور بينهما الى حد الاشتباك ، لولا ان تدخلت ام جعفر ، ومنعت ابنها مـــن

---

(١) الجشهياري : الوزراء والكتاب (ص ٢٥٦) .

ذلك . واليك تفاصيل القصة كما اوردها الطبرى : " كان للعباس بن عبد الله بن جعفر خادم من آثر خدمه عنده يقال له منصور، فوجد الخادم عليه، وهرب الى محمد الامين واتاه وهو بقصر ام جعفر فقبله محمد احسن قبول وحظي عنده حظوة عجيبة . فركب الخادم يوما فى جماعة خدم لمحمد يقال لهم السياقة، فمر بباب العباس بن عبد الله يريد بذلك ان يرى خدم العباس هيئته وحاله التي هو عليها، وبلغ ذلك الخبر العباس فخرج اليه وادخله داره وبلغ الخبر محمدا فبعث الى داره جماعة فوقفوا حيالها وصف العباس غلمانه ومواليه على سور داره ومعهم الترسة والسهام، فقال احمد بن اسحاق فخفنا والله النار ان تحرق منازلنا، وذلك انهم ارادوا ان يحرقوا دار العباس، فبلغ الخبر ام جعفر فدخلت على محمد وجعلت تطلب الى محمد ان يعمل على فض الخلاف بينه وبين العباس فقال لها نفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم اقتله وجعلت تلح عليه، فقال لها : والله اني لاظنني سأسطوبك فكشفت شعرها وقالت : ومن يدخل علي وانا حاسر فبينما محمد كذلك، اذ قدم الخبر بقتل علي بن عيسى بن ماهان، فاشتغل بذلك "(١) .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ١٠٣ - ١٠٤) .

منزلتها لدى الرشيد .

ملأ حب السيدة زبيدة قلب هارون الرشيد وجرى مع دمائه ، وبلغت مكانتها في قلبه حدا لا يجاريها احد فيها حتى انه كانت تروى الروايات الكثيرة عن مكانتها العظيمة هذه في نفس الرشيد (١) .

ويروى انها كانت تراجعه وتناقشه في الامور التي لا تنال رضاها واستحسانها ومن ذلك انها غضبت لما سمعته يذكر البيعة لابنه المأمون فدخلت عليه وهي غاضبة ، وعاتبته اشد المعاتبة (٢) . كذلك غضبت عليه وراجعته عندما قسم الامصار بين اولاده ، حيث اعطى الامين الشام والعراق ، واعطى المأمون من حد همدان الى آخر المشرق ، والقاسم الملقب بالمؤتمن الجزيرة والثغور والعواصم (٣) .

ويقول المسعودي ايضا : دخلت ام جعفر على الرشيد ، فقالت ما انصفت ابنك محمدا ، حيث وليته العراق ، واعريته عن العدد والقوات

---

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية (١ : ٢١٩) ، زينب العاملي الدر المنثور (ص ٢١٥) .

(٢) الدينوري : الامامة والسياسة (٢ : ١٧٣) ، عمر رضا كحالة : اعلام النساء (٢ : ١٧ - ٢٩) .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٧٣ - ٤٧٤) .

وسيرت ذلك الى عبدالله دونه . فقال لها : وما انت وتميز الاعمال واختيار الرجال ؟ اني وليت ابنك السلم، وعبدالله الحرب، وصاحب الحرب احوج الى الرجال من المسالم، ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبدالله ولا نتخوف عبدالله على ابنك ان بويع .(١)

وهناك قصص كثيرة تدل على مكانتها الكبيرة في نفس الشريد على ان هناك حقيقة تاريخية تثبت ذلك اثباتا قاطعا ،الا وهي موافقة الرشيد على ترشيح ابنها الامين لولاية العهد رغم كونه اصغر سنا من اخيه المأمون ، ويقول معظم المؤرخين ان بيعة الرشيد لابنه محمد انما كانت ارضاء لزبيدة التي كانت تطمع في ذلك الامر، وتسعى بكل مالديها من قوة ونفوذ ومكانة لدى بني هاشم لتحقيقه .(٢) كما يدل على هذه المكانة ايضا ايداع الرشيد خزائن امواله لديها .(٣)

هذه المنزلة العظيمة لام جعفر عند الرشيد لم تكن تخفى عن الاسماع والانظار وانما علم بها الجميع ونستشف ذلك من خلال المحادثة التي تمت بين الرشيد وابنه محمد الامين ، حيث نلمح ذلك في قول الامين لابيه : ومن احق بالخلافة مني ، وانا اسن ولدك وابن قرة عينك.(٤)

---

(١) المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٣٥٢) .
(٢) عبدالجبار الجومرد : هارون الرشيد (١ : ١٠١) .
(٣) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٥٥١) .
(٤) لم يكن الامين اكبر ابناء الرشيد وانما هو اصغر من المأمون سنا بحوالي بضعة اشهر. انظر الدينوري : الامامة والسياسة (٢ : ١٧٤) .

اى ان الخاصة والعامة كانوا يعلمون بهذه المنزلة التي كثيرا ما استفاد منها البعض في الوصول الى اغراضهم كما حدث للشاعر ابى العتاهية مع القاسم ابن الرشيد .

فيروى ان القاسم ابن الرشيد كان مارا في موكب عظيم يوما ما وكان من اكثر الناس تيها واعجابا بنفسه ، وابو العتاهية جالس مع قوم على قارعة الطريق ، فقام ابو العتاهية حين رآه اعظاما له ، فلم يزل قائما حتى جاز ولم يلتفت اليه ، فقال ابو العتاهية :

يتيه ابن آدم من جهله　　　　كأن رحى الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك ، فاخبر به القاسم ، فبعث الى ابى العتاهية وضربه مائة مقرعة ، ووبخه قائلا : اتعرض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره ، فارسل ابو العتاهية الى زبيدة بنت جعفر هذه الابيات سرا :

حتى متى ذو التيه في تيهه　　　　اصلحه الله وعافاه

الى آخر ابيات هذه القصيدة .

وكتب اليها عن حاله وضيق حبسه ، فاخبرت الرشيد باموه ، وكلمته فيه ، فاحضره وكساه ووصله ، ولم يرضى عن القاسم حتى برأ ابا العتاهية

وادناه واعتذر اليه .(١)

ولما حدثت نكبة البرامكة ، والقى برجالها في السجون توجه هؤلاء الى ام جعفر يطلبون اليها الاستشفاع لهم عند الرشيد لعلمهم بمنزلتها عنده .

وبالرغم من اخفاق ام جعفر في هذه المهمة الا ان الذي يهمنا من ذكرها هو دلالة هذه القصة على مكانة ام جعفر العظيمة لدى الرشيد وان الجميع كانوا يعلمون بها ، ويحاولون استغلال هذه المكانة للوصول الى الرشيد وتحقيق اغراضهم منه .

وهذه القصة تتلخص في ان يحيى بن جعفر كان رضيع الامين وكانت له منزلة خاصة في نفس الامين ، فعندما وقعت النكبة بهم ارسل يحيى الى الامين يطلب شفاعة امه ام جعفر عند الرشيد للبرامكة فوعده الامين خيرا ، ثم شغله اللهو عنهم ، فكتب اليه يحيى :

يا ملاذي وعصمتي وعمادي ومجيري من الخطوب الشداد

وبعث بها اليه ، فبعثها الامين الى امه زبيدة ، فاعطتها للرشيد وتهيأت للاستشفاع لهم . فلما فرغ الرشيد من قراءتها وقع في اسفلها " عظيم ذنبك امات خواطر العفو عنك" ورمى بها الى زبيدة ، فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه .(٢)

---

(١) الاصبهاني : الاغاني ، المجلد الاول (٣ : ١٥٣-١٥٤) .
(٢) الدينوري : الامامة والسياسة (٢ : ١٧١-١٧٢) .

وفي النهاية لابد لنا ان نشير الى ان الفضل بن يحيى عندما سعى لترشيح الامين لولاية العهد ، انما كان يسعى لارضاء ام جعفر للوصول من خلال رضائها عنه الى الرشيد ، الذى كان يرضيه مايرضيها ويسوؤه كل مايسوؤها (١) .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٤٨ - ٤٤٩) .

امومتهـــا .

لم تكن زبيدة الزوجة صاحبة المنزلة الاثيرة لدى الرشيد ولا السيدة الراجحة العقل الحكيمة فحسب، وانما كانت ايضا الام الحنون الودود الرؤوم التي لم تصرفها شئون الخلافة والحكم عن ممارسة دورها الحقيقي كأم شديدة الحدب والرعاية لابنها الامين .

هذا الابن الوحيد الذي انتظرته طويلا ولاقت في سبيله الكثير من المتاعب الجسمية والازعاج النفسي اثناء حملها له . اذ رأت ذات ليلة من ليالي حملها رؤيا مفادها (كأن ثلاثة نسوة دخلن عليها ، وهي بمجلس فقعدت اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها ، فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن ام جعفر ثم قالت : (ملك فخم عظيم البذل ثقيل الحمل ، نكد الامر ، ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت : ملك ناقص الجد ، مغلول الجد ، محذوق الود ، تجور احكامه ، وتخونه ايامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت : ملك قصاف ، عظيم الاسلاف كثير الخلاف ، قليل الانصاف . (١)

وعند ما وضعته رأت في منامها رؤيا عن وليدها سببت لها ازعاجا واضطرابا ، واثرت في نفسها تأثيرا بالغا مما دعاها للاستفسار عنهـا

---

(١) المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٣٣٨) .

لدى بعض المنجمين الذين اخبروها بسعادته وبقائه وطول عمره ، الا ان عاطفتها الجياشة ، وقلبها الحنون ابا تصديق اقوالهم لان رؤياها هذه كانت تشابه الرؤيا السابقة ، اذ رأت نفس النسوة الثلاث دخلن عليها كما فعلن في السابق ، فقالت احداهن شجرة نضرة ، وريحانة حسنة ، وروضة زاهرة ، ثم قالت الثانية عين غدقه قليل لبثها ، سريع فناؤها ، عجل ذهابها وقالت الثالثة : عدو لنفسه ، ضعيف في بطشه ، سريع الى غشه ، مزال عن عرشه (١) .

ان تعدد هذه الرؤيا في منامها جعلها تخشى على ابنها الزمن والايام ، وزاد من خشيتها حنان الامومة الفطري الذى جبلت عليه كل نساء الارض والذى كان له اكبر الاثر على زبيدة وفي علاقتها مع ابنها ، هذه العلاقة التي كانت تحمل كل معاني الحب المحفوف بالحذر والخوف عليه فهي كما تعلم قد انجبت ابنها محمد بعد فترة طويلة من الصبر والمعاناة فقد زفت الى الرشيد سنة ١٦٥ هـ ورزقت بمحمد الامين سنة ١٧٠ هـ وهذه فترة تعتبر طويلة على كل زوجة تتشوق الى الامومة فكيف اذا كان هذا الامر يتعلق بولاية العهد وخلافة لمسلمين . وبلغ الامر بخوفها عليه انها كانت تخشى عليه عقاب مدرسه ، فقد بعثت الى مدرسه الكسائي تطالبه بان يترفق بابنها اثناء تعليمه له . فكتبت اليه (ياكسائي حاجتي اليك

---

(١) المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٣٨٨) .

ان ترفق بابني محمد انه ثمرة فؤادى ، وقرة عيني واني ارق عليه رقة شديدة) (١) .

وقد كان حب زبيدة لولدها اكبر مشجع وحافز لها للوصول بابنها الى كرسي الخلافة ، مستغلة في ذلك مكانتها ونفوذها لدى الرشيد ومكانتها ايضا في بني هاشم ، فهي حفيدة المنصور وزوج الرشيد المفضلة كما انها سخرت ايضا اموالها ونفوذها وسلطانها في خدمة هذا الابن .

وعندما نشبت الحرب الاخوية بين الامين والمأمون ، وانهزم جيش الامين ، وتخلى عنه اصحابه واعوانه والمقربين اليه لم تتركه امه زبيدة وانما وقفت بجانبه ، تشد من ازره ، وتقوي عزيمته ، مضحية في سبيله بكل ماتملك من الثروات التي فقدتها بعد ان انتهبتها الجيوش المتحاربة . ولو كان الامر بيدها لافتدته بحياتها ، فقد تعرضت من اجله للاهانات والشتائم وكاد الامر يصل الى ضربها (١) .

وزادت امورها سوءا واستحالت حياتها الى ظلمة وشقاء وايامها الى يأس والم لما قتل الامين ، الذى حزنت عليه حزنا شديدا تمثله هذه الابيات التي انشدتها :

---

(١) انظر الباب الثاني .

اودى بالفين من لم يترك الناسـا　　فامنح فؤادك عن مقتولك الياسـا
لما رأيت المنايا قد قصدن لـه　　اصبحن منه سواد القلب والراسـا
فبت متكئا ارعى النجوم لـه　　اخال سنته بالليـل قرطاسـا (١)

وقد كان لموته اثرا كبيرا عليها كما ذكرنا سابقا حيث امرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من الشعر وقضت بقية حياتها تذكره بحسرة حتى وفاتها .

---

(١) عمر رضا كحالة : اعلام النساء (٣ : ٢٠ - ٢١) ، زينب العاملى الدر المنثور (ص ٢١٦) .

النفقة ، نهته عن ذلك قائلة : ثواب الله بغير حساب (١) .

كما اهتمت بالمشاريع العامة التي تعود بالخير والنفع العميم على الجميع، كايصالها المياه الى مكة بعين ماء لاتزال تعرف باسمها حتى يومنا هذا ، وعنايتها بطريق الحج العراقي الذي عرف فيما بعد باسم درب زبيدة (٢) .

وهكذا خلد التاريخ اسمها بهذه الاعمال الجليلة التي قل ان قامت بمثلها امرأة في التاريخ .

---

(١) البغدادي : تاريخ بغداد ، المجلد ١٤ (ص ٤٣٣) .
(٢) انظر فيما بعد الباب الثالث .

وفاتهـــــا .

توفيت هذه السيدة الجليلة في جمادى الاولى سنة ٢١٦هـ فـــي بغداد ، بعد ان ملأت سيرتها العطرة واعمالها الحسنة اسماع الناس .(١)

وهكذا يحق للتاريخ ان يسجل سيرتها في ابيض صفحاته واعطرهـــا ويحق لنا ان نفخر بهذه السيدة المسلمة العربية .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ١٩١) وابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ٢٢٢) ، ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٢٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى (٢ : ٤٦٦) ، ابن خلكان : وفيـــات الاعيان (ص ٣١٧) ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد (١٤ : ٤٣٤) ، عمر رضا كحالة : اعلام النساء (٢ : ١٧) ، مصطفى جـواد سيدات البلاط العباسى (ص ٥٠) .

الباب الثانى

الدور السّياسى للسّيدة زُبيدَة

- موقف السيدة زبيدة من البرامكة .
- دور السيدة زبيدة من الفتنة بين الأمين والمأمون .

موقف السيدة زبيدة من البرامكة

قبل ان نتحدث عن موقف السيدة زبيدة من البرامكة يحسن بنا ان نذكر نبذة بسيطة عن هذه الاسرة التي استطاعت ان تسيطر على الامور في الدولة العباسية طوال معظم خلافة هارون الرشيد .

بل ان سلطان افراد هذه الاسرة بلغ من علو القدر ما جعل المؤرخ ابن طباطبا يصفهم في كتابه الفخري في الاداب السلطانية بقوله " اعلم ان هذه الدولة كانت غرة في جبهة الدهر، وتاجا على مفرق العصر، ضربت بمكارمها الامثال ، وشدت اليها الرحال ، ونيطت بها الامال ، وبذلت لها الدنيا افلاذ اكبادها ، ومنحتها اوفر اسعادها فكان يحيى وبنوه كالنجوم الزاهرة ، والبحور زاخرة ، والسيول دافعة والغيوث ماطرة ، اسواق الاداب عندهم نافقة ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في ايامهم عامرة ، وابهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجأ اللهف ومعتصم الطريد ، ولهم يقول ابو نواس :

سلام على الدنيا اذا فقدتم
بني برمك من رائحين وغاد (1)

---

(1) ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية (ص١٩٧) ، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (١ : ١٩٠) ، عمر ابو النصر : الهوى والشباب (ص ١٠٠) .

ان هذا المجد والعلو والسؤدد الذي ذكرناه انما وصفت به هذه الاسرة التي تنسب الى برمك .

وبرمك هذا لقب وليس باسم ، ويعني في اللغة الفارسية كبير سدنة معبد النار (النوربهار) في بلخ ، حيث تولى هذا المنصب احد اجداد هذه الاسرة فنسبت اليه فيما بعد . وكان جدهم برمك هذا قد اتصل بالخلفاء الامويين ، وكان في منزلة حسنة عندهم .(1)

وقد اتاحت هذه المنزلة الفرصة لابنه خالد ان يكون من الوجهاء في خراسان ، وان يدخل في الدعوة العباسية في طورها السري وان يصبح داعية لمحمد بن علي العباس ثم لابنه ابراهيم الامام .

وكانت مهمة خالد ان يقسم الغنائم في جيش قحطبة بن شبيب الطائي قائد القوات الخراسانية التي وجهها ابو مسلم الخراساني لمطاردة القوات الاموية عبر ايران والعراق . كما عهد اليه فيما بعد بتنظيم الخراج في خراسان ، وبلغ حب الخراسانيين له درجة كبيرة حتى انه كان يقال مامن احد من اهل خراسان الا ولخالد عليه يد ومنة .(2)

وعندما اصبح ابو العباس خليفة ولاه ديوان الخراج والجند(3) . وقام خالد مقام الوزير لدى ابي العباس بعد مقتل ابي سلمة الخلال . وكان

---

(١) شاكر مصطفى : دولة بني العباس (١ : ٤٥٧) ، الخضري : تاريخ الامم الاسلامية (ص ١١١) .

(٢) ابن طباطبا : المصدر السابق (ص ٨٧) .

(٣) الطبري : المصدر السابق (٦ : ١١١) ، الجهشياري : المصدر السابق (ص ٨٩) .

يكره ان يقال عنه وزير خشية ان يحل به ما حل بابى سلمة .

وكانت هناك صلات عائلية بين ابنة ابى العباس ريطة ، وبين ام يحيى ابنة خالد ، حيث رضعت كل منهما لبن الاخرى (١) .

وفى عهد المنصور تولى خالد ولاية فارس والرى وطبرستان ، كما كان من ضمن الذين اشاروا على المنصور فى بناء بغداد (٢) .

وكان لخالد بن برمك دور كبير فى اخذ البيعة لولاية العهد للمهدى من عيسى بن موسى (٣) .

وفى عهد المهدى احتفظ خالد بمنزلته الكبيرة التى كانت له فى عهد المنصور كما عهد له المهدى بتربية ابنه هارون ، ووجهه معه لغزو الروم سنة ١٦٣ هـ (٤) .

---

(١) الجهشيارى : المصدر السابق (ص ٨٩) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٢٦٤) ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ (٥ : ٢٠-٢١) ، ابن خلدون : العبر (٣ : ١٩٧) ، ابو الفداء : المختصر فى اخبار البشر (٢ : ٤) ، ابن طباطبا : المصدر السابق (ص ١٥٧) .

(٣) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٢٧٩) ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ (٥ : ٢٤) ، ابن خلدون (٣ : ١٩٧) .

(٤) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٣٧٦) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ٩٣) ، ابن خلدون : العبر (٣ : ١١٢) .

اما يحيي بن خالد فقد كان له شأن كبير في الدولة العباسية وقد بدأت صلته بالعباسيين منذ عهد المنصور الذي قلده ولاية اذربيجان وارمينية ، وكان معجبا به لدرجة شديدة ، حيث يقول عنه : " ولد الناس ابنا وولد يحيي ابا"(١) .

وفي عهد المهدي اصبح يحيي بن خالد مسئولا عن الكتابة للرشيد وعسكره بالاضافة الى تربيته التي كان مسئولا عنها مسئولية كاملة وعند ما تولى الرشيد المغرب واذربيجان وارمينية ، اصبح يحيي كاتبا لرسائله(٢) . وقد اسهم يحيي اسهاما كبيرا في بقاء الرشيد في ولاية العهد ، عند ما اراد الهادي خلعه عنها ، وتعيين ابنه جعفر بدلا منه معرضا نفسه بذلك الى غضب الهادي ، والتهديد له بالقتل والحبس(٣) .

وعند وصول الرشيد الى كرسي الخلافة قلد يحيي الوزارة وقال له :" يا ابتاه اجلستني هذا المجلس ببركة رأيك ، وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك امر الرعية ، واخرجته من عنقي اليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٣١٤) ، ابن الاثير : المصدر السابق (ص ٤٢) ، محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية (ص ١٩) .

(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٣٧٦) .

(٣) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٢٣) ، ابن طباطبا : المصدر السابق (ص ١١٩) ، عبد الملك العصامي المكي : سمط النجوم العوالي (٢ : ٢٨٠) ، عبد المنعم ماجد : المرجع السابق (ص ١٩٢) .

شئت، واسقط من رأيت، فاني غير ناظر معك في شيء" .

وفي ذلك يقول ابراهيم الموصلي :

الم تر ان الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون اشرق نورها
بيمن امين الله هارون ذي الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها(١)

وفي سنة ١٧١ هـ تولى يحيى ديوان الخاتم(٢)، وبذلك اجتمعت في يده كافة السلطة . وقد قام يحيى باعباء الدولة خير قيام، برأيه السديد وعقله الناضج ، ووقوف الخيزران والدة الخليفة الرشيد الى جانبه .

واستطاع مع ابنائه الاربعة : الفضل ، وجعفر، ومحمد ، وموسى ان يصرفوا امور الدولة العباسية مدة طويلة من الزمن دامت حوالي سبع عشرة سنة .

فالفضل اكبر اولاد يحيى كان من كرام اهل عصره ، ارضعته الخيزران ام الرشيد ، كما ارضعت امه زبيدة بنت منير الرشيد ، فصارا

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٤٤) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ٨٣) ، ابن سهل البلخي : المصدر السابق (٦ : ١٠١) ابو الفداء : المصدر السابق (٢ : ١٣) ، الجهشياري : المصدر السابق (ص ١٧٧) ، شاكر مصطفى : المرجع السابق (١ : ٤٥٨) ، عبد المنعم ماجد : المرجع السابق (ص ١٩٣) ، الخضري : المرجع السابق (ص ١١٢-١١٣) .

(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٤٥) ، ابن كثير : البداية والنهاية (١ : ١٦٢) .

رضيعين ، وفي ذلك يقول مروان بن ابى حفص :

كفى لك فضلا ان افضل حـــرة غدتك بثدى والخليفة واحـــد

لقد زنت في المشاهد كلهـــا كما زان يحيى خالدا في المشاهد (١)

وكان الفضل عضد ابيه الايمن ، ينوب عنه في جلائل اعماله ، لهـــذا كان يسمى الوزير الصغير ، كما استطاع ان يخمد ثورة يحيى بن عبد اللـــه ببلاد الديلم سنة ١٧٦هـ (٢) دون اراقة دماء . كما تولى الفضل الـــرى وسجستان ، اضافة الى خراسان ، التى سار فيها سيرة حسنة ، فبنى فيها المساجد والرباطات ، كما انشأ فرقة من الجيش يبلغ عدد رجالها حوالـــى خمس مائة الف رجل ، واطلق عليها اسم العباسية (٣) . وكان الرشيد يثق بـــه

---

(١) الخطيب البغدادى : المصدر السابق (١٢ : ٣٣٤) ، ابن طباطبا المصدر السابق (ص ٢٠١-٢٠٢) ، محمد عبد الله عنان : المرجـــع السابق (ص ١٩) ، شاكر مصطفى : المرجع السابق (١ : ٤٥٩) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٤٥٠) ، ابن الاثير : المصـــدر السابق (٥ : ٩٠) ، ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢١٨) .

(٣) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٤٦٠-٤٦١-٤٦٢) ، ابن الاثـــير المصدر السابق (٥ : ٩٩-١٠٠) ، الخطيب البغدادى : المصدر السابق (١٢ : ٣٣٤) ، الخضرى : المرجع السابق (ص ١١٤-١١٥) .

ويحترمه ولهذا جعل محمد الامين في حجره، واسكنه معه في قصره المعروف بالخلد ، وضم اليه اعماله ودواوينه[(١)] .

ولما كان الفضل هو الذى ربى محمد الامين فقد سعى سعيا حثيثا ليقنع الرشيد بصلاحية ابنه محمد الامين لولاية العهد .

وفي سبيل تحقيق هذا الامر قدم الفضل الكثير الكثير من الاعطيات الى الجند في خراسان ليشجعهم على مبايعة الامين بولاية العهد ، فتم له هذا الامر سنة ١٧٥هـ[(٢)] .

واما جعفر فقد اشتهر بالفصاحة والبلاغة ، وكانت توقيعاته تعد نماذج للكتاب يقتدون بها وكان الرشيد يميل اليه اكثر مما يميل الى الفضل نظرا لدماثة اخلاقه وظرفه ، ولذا اوكل اليه ديوان الخاتم بدلا من اخيه الفضل[(٣)] . كما قلده الرشيد بريد الافاق ، ودور الضرب

---

(١) الجهشياري : المصدر السابق (ص ١٩٣) .
(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٤٩) ، ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢١٨) ، ابن الاثير: المصدر السابق (٥ : ٨٨) شاكر مصطفى : المرجع السابق (ص ٤٥٩) .
(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب (ص ٢٠٧) ، ابن طباطبا (ص ٢٠٥) عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٣٢) ، الخضري المرجع السابق (ص ١١٥-١١٦) .

والطراز فى جميع الكور . ولم يكتف الرشيد بهذا بل قلده ولاية مصر والشام والجزيرة وخراسان (١) .

وكانت منزلة جعفر فى نفس الرشيد كبيرة جدا حتى انه كان يقال ان الرشيد اتخذ ثوبا فضفاضا يدخل فيه هو وجعفر (٢) . وللدلالة على علو منزلته ومكانته لدى الرشيد نذكر قصته مع عبد الملك بن صالح العباسى التى يرويها الجهشيارى .

وتتلخص هذه القصة فى ان عبد الملك بن صالح كان شديد التدين والوقار، وقد زار جعفر فجأة فوجده على شراب، وقد لبس الثياب المعصفرة دلالة على الشراب، فاضطرب جعفر لرؤياه ، الا ان عبد الملك خفف عن جعفر وقع المفاجأة .

وفى اثناء ذلك طلب منه بعض المطالب منها اعطاؤه اربعة آلاف درهم من مال امير المؤمنين ، وان يستسمح الرشيد له بان يزوج ابنه احدى بنات الخليفة ، وان يولى ابنه ابراهيم مصر، فاجابه جعفر الى كل ذلك . وفى اليوم التالى اخبر جعفر الرشيد بما حدث وبالمطالب

---

(١) الجهشيارى : المصدر السابق (ص ٢٠٤) ، احمد شلبى : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية (٣ : ٢٩٢) ، شاكر مصطفى : المرجع السابق (١ : ٤٦١) .

(٢) البلخى : البدء والتاريخ (٦ : ١٠٤) .

التي طلبها عبد الملك ، فوافق الرشيد على كل ماوعد به جعفر[1] .

لقد حقق جعفر له هذه المطالب من تولية ابن عبد الملك ولاية مصر ، ومن تزويج ابنه من بنت الخليفة ايضا ، وهذه امور خطيرة جدا لا يستطيع اى شخص مهما كان مركزه ان يبت فيها دون اذن من الخليفة نفسه ، الا ان جعفرا استطاع ذلك بما له من منزلة عالية عند الرشيد .

ولما كان جعفر مسئولا عن تربية المأمون فقد استطاع ان يأخذ له البيعة لولاية العهد من الرشيد بعد محمد الامين . وفى الواقع ان منزلة جعفر العظيمة عند الرشيد كانت مصدر اضطراب ابيه يحيي وخوفه حيث كان يخشى ان تنتهي هذه الصداقة نهاية مؤلمة ، فكثيرا ماكان ينصح جعفر والرشيد ان يعتدلا[2] .

اما ابناء يحيي الاخران محمد وموسى ، فقد كانا من سادة رجال العصر ، الا انهما لم يصلا الى مركز الفضل وجعفر ، وان كان قد عهد الى

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد (٥ : ٧٢-٧٣) ، ابن طباطبا : المصدر السابق (ص ٢٠٦-٢٠٧) ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب (ص٢١٢-٢١٣-٢١٤) ، شاكر مصطفى : المرجع السابق (١ : ٤٦٠) ، عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٣٤) ، عمر ابو النصر : الهوى والشباب فى عصر الرشيد (ص١٠٨-١١٢) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٤٨٩) ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب (ص ٢٢٤-٢٢٥) .

موسى ببعض المهام العسكرية كاخماد الثورات، التي كانت تقوم ضد الرشيد مثل الفتنة التي قامت في دمشق سنة ١٧٦هـ التي استطاع موسى ان يخمدها (١).

هؤلاء هم البرامكة الذين شغلوا الاسماع والافئدة، لفترة طويلة من الزمن، وبلغوا من المجد والسلطان شأوا بعيدا . الا ان كل هذا لم يحل بينهم وبين النهاية المحزنة التي تعرضوا لها، والتي كانت مثار نقاش وجدال كبير من بين المؤرخين الذين اختلفوا في اسباب نكبتهم .

وقبل ان نستعرض اسباب نكبة البرامكة ومافعله الرشيد بهم علينا ان نوضح موقف السيدة زبيدة من هذه الاسرة خاصة وانها كانت ذات نفوذ كبير لدى الرشيد .

موقف السيدة زبيدة من البرامكة .

لاشك ان السيدة زبيدة لم يكن ليرضيها ان تسيطر هذه الاسرة على مقاليد الامور في الدولة، وان تسيطر ايضا على زوجها الرشيد خاصة واننا نعرف ان السيدة زبيدة كانت لها مطامح واطماع في ان تؤول الخلافة لابنها الوحيد محمد الامين، فلم يكن ليرضيها ان يصبح للبرامكة شأن في

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٥٧-٤٥٨) ؛ ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢٢٣)، الخضري : الموجع السابق (ص١١٧-١١٨) .

الدولة على هذا النحو الذى اشرنا اليه وان يستبدوا بالامر دونها .

الا انها لم تستطع في بداية الامر ان تغير من مجرى الامور، لاسيما ان مشاركتهم في امور الدولة كانت تحت اشراف الخيزران والدة الرشيد التي كانت تسيطر على مقاليد الامور معهم، فكانوا يعملون برأيها ومشورتها وينالون تأييدها باعتبارها السيدة الاولى في البلاط العباسي، لذا لم يكن ليسع زبيدة آنذاك ان تقوم باى عمل ضدهم (1) .

وبعد وفاة الخيزران تغير الموقف بالنسبة للسيدة زبيدة، اذ بدأت تظهر على مسرح الاحداث باعتبارها الزوجة المفضلة والاثيرة عند الرشيد والحائزة على تأييد ومحبة افراد البيت العباسي والعرب عموما . ومما ساعدها على القيام بهذا الدور وقوف الفضل بن الربيع الى جانبها في ذلك الحين . والفضل - كما سنرى فيما بعد - كان مناوئا للبرامكة ولكل ماهو اعجمي، ويرغب في ان يحل محل البرامكة في الوزارة، ولهذا انضم الى السيدة زبيدة واصبح يأتمر بامرها للعمل ضد البرامكة .

والواقع ان السيدة زبيدة لم تكن تظهر في بادىء الامر تذمرها وسخطها منهم حتى عام ١٧٥ هـ بل على العكس نجدها تتقرب اليهم بدليل انها عندما فكرت في ولاية العهد لابنها محمد الامين ارسلت

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب (ص ١٧٥-١٧٨)، احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي (٣ : ٢٩٧) .

اخاها ليتكلم بلسانها الى الفضل بن يحيي تطلب منه مساعدته في ذلك الامر، حيث قال له اخوها على لسانها : (انشدك الله لما عملت في البيعة لابن اختي فانه ولد لك وخلافته لك) (١) .

وقد رحب الفضل بهذا الطلب لانه وجد فيه فرصته الثمينة للتقرب من السيدة زبيدة، ذات النفوذ القوي عند **الرشيد** خاصة وعند الاسرة العباسية عامة، وبذلك يضمن الفضل ويحيي وجميع البرامكة سيطرتهم على الخلافة باعتبار ان محمدا الامين تربى بينهم وبرعايتهم وانهم باختيارهم له للخلافة دون اخيه الاكبر المأمون يكونون اصحاب فضل عليه، ومن ثم عمدوا الى التأثير على الرشيد ليوافق على البيعة بولاية العهد لمحمد الامين، فتم لهم هذا الامر سنة ١٧٥ هـ (٢) .

ولكن بعد فترة من الزمن تبينوا انهم قد اخطأوا في اختيار محمد الامين وليا للعهد، حيث اتضح لهم فيما بعد ان محمدا الامين يخضع تماما لنفوذ امه السيدة زبيدة، وانها من قوة الشخصية بحيث لم تكن لتسمح لاحد ان يسيطر على ابنها سواها، وانهم باختيارهم محمد الامين سوف تكون الفرصة كبيرة امام السيدة زبيدة لتسيطر على مقاليد الامور في الدولة .

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٤٨-٤٤٩) .
(٢) المصدر السابق (٦ : ٤٤٨-٤٤٩) ، عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (١ : ١٦٨) .

وبالطبع لم يكن يرضي البرامكة اصحاب النفوذ والسلطة آنـذاك ان يفسحوا المجال للسيدة زبيدة للوصول الى السيطرة على مقاليد الامور بواسطة ابنها ، لان في ذلك ضغطا عليهم واقلالا من شأنهم خاصة ان السيدة زبيدة كانت غاضبة عليهم لتقصيرهم في حقها ، واستبدادهم بشئونها ، وبكل من في القصر . وفي هذا الصدد يقول المسعودي : " ان يحيى بن خالد كان يتفقد امر حرم الرشيد ، ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة الى الرشيد ذلك فسأل يحيى عن هذا الامر فقال يحيى : يا امير المؤمنين امتهم انا في حرمك ، وتدبير قصرك ؟ فقال الرشيد : لا ، فقال له يحيى : عند ذاك لا تقبل قولها" .

كما يذكر المسعودي ان يحيى ازداد لها منعا وعليها غلظة وكان يأمر بقفل ابواب قصر الحريم في الليل ، ويمضي بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك في ام جعفر كل مبلغ (١) .

وهذه الحادثة التي يرويها المسعودي تدل على ان البرامكة اصبحوا يحجرون تقريبا على ام جعفر وعلى خدمها . ولم ترض السيدة زبيدة بهذا الهوان والقهر وهي الزوجة الاثيرة ، والحفيدة المدللة للمنصور ، فاخذت تستعد لمقاومة البرامكة والقضاء على نفوذهم .

وقد انضم اليها في التصدي لهم كل من كان يعارضهم ويعاديهم

---

(١) المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٣٧٧ - ٣٧٨) .

وكان على رأس هؤلاء الحاقدين على البرامكة الفضل بن الربيع وهرثمة بن اعين وغيرهم ، فاخذ هذا الحزب الذى تتزعمه السيدة زبيدة فى العمل ضد البرامكة . الا ان البرامكة لم يقفوا مكتوفى الايدى امام هذا التحزب العربى ضدهم ، بل اخذوا يكيدون لهم باختيارهم مرشحا جديدا لولاية العهد بعد محمد الامين ، الا وهو عبد الله المأمون ابن مراجل الفارسية ، واستطاعوا ان يقنعوا الرشيد بهذا الامر ، واعلنوا ذلك على الملأ فى موسم الحج عام ١٨٢ هـ . كما اخذوا على محمد الامين العهود والمواثيق لكى لا ينقض بيعة اخيه عبد الله المأمون ، وعلقوا هذا الكتاب مع الكتاب الاخر الذى كان للامين فى جوف الكعبة (١) .

وامام هذه التطورات التى احدثت على ولاية العهد نجد ان السيدة زبيدة اصبحت اكثر غضبا ونقمة على البرامكة عن ذى قبل ، فقد ظهرت لها نواياهم وميولهم ضدها وضد وحيدها محمد الامين ، هذا الابن الذى لم تنجب غيره والذى انجبته بعد فترة طويلة من الصبر والمعاناة (٢) .

---

(١) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٤٢٥-٤٨٢) ، اليعقوبى : المصدر السابق (٢ : ٤٢١) ، المسعودى : التنبيه والاشراف (ص ٢٩٩) .
(٢) انظر فى الباب الاول امومة السيدة زبيدة .

ولذلك لم تكن السيدة زبيدة لترضى عن هذا الوضع وهي التي جاهدت بكل ماتملك من نفوذ واموال في سبيل وصول ابنها محمد الامين الى ولاية العهد . ويؤيد هذا الامر قول المسعودي : " ان اكثر ما اغضب السيدة زبيدة وجعلها تنقم عليهم مافعله جعفر بن يحيى مع ابنها الامين ، حيث جعله يقول بعد قسمه في الكعبة " خذلني الله ان خذلته " ثلاث مرات"[1] .

لهذا اخذت السيدة زبيدة تعمل مع حزبها المناوئ لهم في ايغار صدر الرشيد عليهم .

وفي هذا السبيل لجأت واعوانها الى اساليب متنوعة لدى الرشيد . منها تذكيره باستبداد البرامكة في الحكم ، واستغلالهم الاموال العامة لمصالحهم الخاصة باسراف وتبذير وضربوا له مثلا لهذا التبذير الدار التي بناها جعفر وغرم عليها الف الف درهم ، وقيل له هذه غرامته على دار واحدة فما ظنك بنفقاته وصلاته الاخرى وغير ذلك فاستعظم الرشيد الامر .[2] وقال اغنيناهم فافقروا اولادنا مما يدل على تأثره بالاقوال التي كان يسمعها عن البرامكة .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٣٥٤) .

(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٧) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ١١٤) ، الخضري : المرجع السابق (ص١٢٤-١٢٥) .

كما كان اعوان السيدة زبيدة يذكرون الرشيد بموقف البرامكة الـودى من العلويين ، ومن انشائهم جيشا من الخراسانيين عرف باسم العباسية ثم بالكرمنتية فيما بعد ليضمنوا ولاء هذا الجيش لهم[1] .

كما كانوا يدسون الرسائل للرشيد ويلمحون فيها الى استئثار البرامكة بالسلطة . ومن هذه الرسائل تلك التى قيل له فيها : كيف بك اذا وقفت بين يدى الله فسألك عما عملت في عباده وبلاده ، قلت : يارب اني استكفيت يحيي امور عبادك[2] .

كما اتخذوا الشعر ايضا وسيلة للوصول الي اغراضهم ، فمن ذلك قول احد المغنين للرشيد :

ليت هندا انجزتنا ماتعد	وشفيت انفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة	انما العاجز من لا يستبد[3]

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٦٠-٤٦١-٤٦٢) ، عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٧٤) .

(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٤) .

(٣) ابن خلدون : المقدمة (ص١٣) ، عبد الملك المكي : سمط النجوم العوالي (٣ : ٢٨٠) ، شاكر مصطفى : دولة بني العباس (١ : ٤٦٩) .

هذا بالاضافة الى تحريض السيدة زبيدة نفسها للرشيد عليهم " فيذكر ان بختيشوع الطبيب دخل على الرشيد يوما ، وهو جالس على بساط فيما بين الخلد والفرات، وام جعفر من وراء ستر، فقال له الرشيد قد وجدت ام جعفر شيئا فاشر عليها . قال فبينما انا انظر في ذلك ارتفعت صيحة عظيمة ، فسأل الرشيد عنها فقيل له : يحيي بن خالد ينظر في امور المتظلمين ، فقال بارك الله عليه ، واحسن جزاءه ، فقد خفف عني وحمل الثقل دوني ، وناب منابي ، وذكره بجميل . ففعلت مثل ذلك ام جعفر ، ولم تدع شيئا يذكره احد عنه من جميل الا ذكرته به فامتلأت سرورا ، وقلت في ذلك ما امكنني ، وخرجت مبادرا الى يحيي بن خالد فاخبرته بذلك فسر به . ومضت مدة ثم جاءني رسول الرشيد يوما فصرت اليه فوجدته جالسا في ذلك المجلس بعينه ، وام جعفر من وراء الستر ايضا ، والفضل بين يديه ، وقد وجدت ام جعفر شيئا ، فامرني بتأمل علتها ، والمشورة بما اراه عليها ، واني لفي ذلك اذ ارتفعت ضجة شديدة ، فقال الرشيد : ماهذا؟ فقيل : يحيي بن خالد ينظر في امور المتظلمين . فقال (فعل الله به ، وفعل يذمه ويسبه . استبد بالامور دوني ، وامضاها على غير رأيي ، وعمل بما احبه دون محبتي) . وتكلمت ام جعفر بنحو من كلامه ، وثلبته اكثر مما يثلبه احد[1] " .

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب (ص ٢٢٥ - ٢٢٦) .

من خلال تمعننا في حوادث هذه القصة نلمس المكانة العظيمة التي كانت ليحيي عند الرشيد في بادىء الامر والتغير الى اسوأ مكانة بعد ذلك، مما يدل على نجاح مساعي السيدة زبيدة واعوانها من الحاقدين على البرامكة في الدس والوشاية عليهم لدى الرشيد. وساعد على نجاح هذه المساعي شعور الرشيد نفسه بمساوئهم.

لذا كانت نتيجة كل هذا سريعة وحاسمة، وهي قرار الرشيد ان يتخلص منهم، لانه كان في الواقع قد ضاق صدرا بما يفعله البرامكة فكان كثير التذمر منهم بدليل قوله عن يحيي: (استبد يحيي بالامور دوني). وحديثه الى طبيبه بختيشوع عن سوء ادبهم معه، ودخولهم عليه دون استئذان[1]، وشكواه الدائمة منهم الى المقربين اليه كاسماعيل بن صبيح، وخروجه من بغداد الى الرقة[2] ليتسنى له المجال في الطريقة التي يتخلص بها منهم الى ان حقق ذلك سنة ١٨٧هـ. فبعد عودته من الحج في هذا العام ارسل الى جعفر خادمه مسرور وحامد بن سالم

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٤) ، ابن الاثير: المصدر السابق (٥ : ١٥٥) ، ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢٢٣) ، ابن طباطبا : المصدر السابق (ص ٢٠٥-٢٠٦) ، عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٨٧) .

(٢) عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٨٥) ، شاكر مصطفى المرجع السابق (٢ : ٤٨٦-٤٨٧) .

في جماعة من الجند ، فطافوا بقصر جعفر بن يحيى ليلا ثم دخل عليه مسرور وعنده الطبيب بختيشيوع والمغني ابو اذكار الاعمى يغنيه ، فاخرجه مسرور اخراجا عنيفا ، ومضى به الى قصر الرشيد فضرب عنقه . كما امر الرشيد بالقبض على يحيى بن خالد وجميع اولاده ومواليه ، وقام بمصادرة اموالهم وضياعهم ومتاعهم وخدمهم . وارسل جيفة جعفر الى بغداد ، وعلق رأسه على الجسر الاوسط ، وقطعت جثته وصلبت كل قطعة منها على جسر (١) .

وقبل ان نذكر الاسباب التي اوردها المؤرخون والتي ادت الى نكبة البرامكة (٢) نوضح ان البرامكة كانوا قد احسوا بتغير موقف الرشيد منهم

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٩٠-٤٩١) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ١١٥) ، ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢٢٣) ، ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص ٨٣) ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط (ص ٤٥٨) المسعودي : التنبيه والاشراف (ص ٢٩٩) ، الدينوري : المعارف (ص ١٦٧) .

(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٥) (يذكر ان الرشيد كان يرد السلام ردا خفيفا على يحيى ، وكذا امره للغلمان بان لا يقوموا له) .

وانهم اصبحوا يتوقعون انقلابه عليهم بدليل ان يحيي بن خالد اخذ يستشير المقربين لديه في هذا الشأن ، كما ان دعاءه في الحرم كان يدل علي خوفه من ذلك حيث كان يقول : اللهم ان كان رضاك في ان تسلبني نعمتك عندي فاسلبني ، اللهم ان كان رضاك في ان تسلبني اهلي وولدي فاسلبني .

كما ان جعفر نفسه احس بذلك ايضا بدليل انه سأل ابراهيم بن المهدي عن ذلك الامر، فاجابه بصدق حدسه وكانت اقواله تنبيء عن مخاوفه هذه ، فقد قال مرة في جمع من اصحابه " ليس لدارنا هذه عيب الا ان صاحبها فيها قليل البقاء"(١) .

كذلك قوله للرشيد عندما اطال النظر الى عنقه " والله ماتأملت الا موضع سيفك فيه"(٢) .

ويبدو ان جفاء الرشيد للبرامكة لم يبق سرا بدليل ان الناس اخذوا يتحدثون ببوادر نكبتهم قبل حدوثها ، حيث يؤكد ذلك الطبري ويقول :" ان الناس قالوا في البرامكة فاكثروا ، وكان ذلك اول ماظهر من تغير حالهم"(٣) .

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٨) .
(٢) الجهشياري : المصدر السابق (ص) ، عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٩٢) .
(٣) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٥) .

كما يروى ابو الفرج الاصفهاني " ان اسحاق الموصلي دخل على الرشيد فسأله : ايه يا اسحاق بماذا يتحدث الناس ؟ قال يتحدثون بانك ستقبض على البرامكة ، وتولي الفضل بن الربيع الوزارة . فصاح الرشيد في وجهه : ويلك مانت وذاك ، فسكت اسحاق [1] " .

اسباب نكبة البرامكة :

قبل ان نتعرض للحديث عن نكبة البرامكة واسبابها ، علينا ان نلقي نظرة الى آراء المؤرخين القدامى والمحدثين حول هذه النكبة فقد اختلفت آراؤهم حولها وتباينت . ويجمل الدكتور شاكر مصطفى هذا الاختلاف الى عدد من الاسباب هي :

(١) ان الرشيد لم يكشف ابدا عن هذا السبب، ويروى اليعقوبي عن الرشيد انه قال : لو علمت يميني بالسبب الذى له فعلت هذا لقطعتها .

(٢) تعصب اغلبية كتاب المصادر للبرامكة لان هؤلاء الكتاب معظمهم من الاعاجم .

(٣) كرم البرامكة الذى غطى على مساوئهم .

(٤) العطف الذي اثارته النكبة في العامة ، والعامة كما نعلم منساقون

---

(١) ابو الفرج الاصبهاني : المصدر السابق ، المجلد الثاني (٥ : ١٠٧) عبد الجبار الجومرد : المرجع السابق (٢ : ٤٩٢) .

وراء عواطفهم .

وقد اتفق معظم المؤرخين على ان هناك عدة اسباب لنكبة البرامكة واهمها :

(١) يعتبر معظم المؤرخين ان قصة العباسة هي السبب الرئيسي للنكبة . وهذه القصة تقول : كان الرشيد يحب جعفر حبا شديدا ولا يطيق الصبر على بعده عنه ، وفي الوقت نفسه كان يحب اخته العباسة نفس الحب الذي يكنه لجعفر ، ولهذا قرر ان يعقد لها على جعفر ، حتى تستطيع الحضور في وجوده . واشترط لهذا الزواج ان لا يدخل جعفر بها . وتقول بقية القصة ان جعفر خالف هذا الشرط ، وانجب منها ولدا فغضب الرشيد وقتل اخته ومولودها ، كما عمل على القضاء على البرامكة فيما بعد .(١)

---

(١) عن هذه القصة انظر من المؤرخين القدامى : الطبرى : تاريخ الامم (٦ : ٤٨٩-٤٩٠) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ١١٤) ، البلخي : البدء والتاريخ (٥ : ٤) ، ابو الفدا : المختصر (٢ : ١٦) ، المسعودى : مروج الذهب (٢ : ٣٧٥-٣٧٨) ابن طباطبا : الفخرى (ص ٢٠٩) ، الاتليدى : اعلام الناس (ص ١٠٦-١٠٨) ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (٢ : ١١٥) ، عبد الملك المكي : سمط النجوم العوالي (٣ : ٢٨٣) .
ومن المؤرخين المحدثين محمد عبد الله عنان : تراجم اسلامية (ص ١٩-٢٠) ، احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي (٢ : ٣٠٤) ، حسن ابراهيم حسن (٢ : ١٧٠) ، الخضرى : تاريخ

الا ان هذا السبب لا يأخذ به بعض المؤرخين لعدة اسباب منهـــا سؤال عبد الله بن خاقان مسرورا السياف عن سبب هذه النكبة فاجابـــه مسرور : كأنك تريد ماتقوله العامة فيما ادعوه من امر المرأة . لا واللـــه مالشيء من هذا اصل ، ولكنه ملل موالينا وحسدهم (١).

وهناك بعضهم كانوا قريبي عهد بالحادثة ينكرون ذلك كاليعقوبـي والجهشياري وابن كثير وغيرهم . كما ان ابن قتيبة يذكر ان العباســة كانت متزوجة محمد بن سليمان فمات عنها فتزوجها ابراهيم بن صالح بـن علـــي .

كما ان ابن خلدون ومن نقل عنه يرفضون هذه القصة رفضا قاطعـــا حيث يقول ابن خلدون (هيهات ذلك من منصب العباسة في دينهـــا وابويها وجلالها ان تدنس شرفها العربي لمولى من موالي العجم)(٢).

= الدولة العباسية (ص ١٢٢) علي ابراهيم حسن : التاريـــخ الاسلامي العام (ص ٣٨٣- ٣٨٤) .

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب (ص ٢٥٤) ، مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسي (ص ٣٧-٣٨) ، مصادف.

(٢) ابن خلدون : المقدمة (ص١٦) ، ابن طباطبا : المصدر السابـــق (ص ٢٠٩) ، محمد عبد الله عنان : المرجع السابق (ص ١٩) ، علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام (ص ٣٨٤) . ابـــن قتيبة : المعارف (ص ١٦٦) .

كما يفسد هذا الرأى بتساؤله كيف تستمر علاقة طويلة كهذه بين جعفر والعباسة وينجبان خلالها الابناء ولا يصل خبر هذا الى الرشيد ، ونحن نعرف ان البلاط العباسي كان يعج بالكثير من اعداء البرامكة ، وعلى رأسهم السيدة زبيدة ، والفضل بن الربيع .

اما المسعودى فيذكر ان السيدة زبيدة هي التي اخبرت الرشيد بخبر هذه العلاقة بين جعفر والعباسة (١) .

اما السبب الثاني الذى يذكر في هذا الصدد فهو اطلاق جعفر ليحيى بن عبد الله بن حسن الذى امره الرشيد بحبسه ، فاطلقه جعفر ، فبلغ الخبر الفضل بن الربيع الذى اخبر بدوره الرشيد بذلك والتقى الخليفة بجعفر وسأله فاعترف بالامر ، وقال الرشيد : نعم مافعلت ماعدوت ماكان في نفسي . فلما ذهب قال الرشيد : قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم اقتلك ، وكان من امره ماكان (٢) .

(٣) ويتهم بعض المؤرخين البرامكة بالزندقة . ومن هؤلاء الخطيب البغدادى الذى كان يقول (ان البرامكة زينوا للرشيد ان يتخذ

---

(١) المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٣٧٧-٣٧٨) ، الاتليدى : اعلام الناس (ص١٠٧-١٠٨) ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (٢ : ١١٥) .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم (٦ : ٤٨٥-٤٨٦) ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (٢ : ١١٥) .

في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود دائما ، فعلم الرشيد انهم ارادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة ، وان تصير الكعبة بيت نار) فكان ذلك احد اسباب القبض على البرامكة . كما ان ابن النديم يقول : (ان البرامكة باسرهم عدا محمد بن خالد بن برمك كانوا زنادقة)[1] .

(٤) واضافة الى ماذكرناه استبدادهم بالملك ايضا[2] ، واحتجازهم اموال الجباية لانفسهم ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه[3] . فبات الرشيد يشعر بانه العوبة في ايديهم وانهم هم الحكام الفعليون ،

(٥) ولا ننسى تأثير الحسد والغيرة والحقد ، هذه العوامل التي امتلأت بها قلوب أعداء البرامكة وعلى رأس هؤلاء الاعداء السيدة زبيدة التي كان لها اكبر الاثر في نكبتهم بموقفها العدائي منهم وايغارها صدر الرشيد عليهم .

---

(١) البلخي : البدء والتاريخ (٥ : ١٠٤) ، شاكر مصطفى : المرجع السابق (١ : ٤٦٦) ، عبد الملك المكي : المصدر السابق (٣ : ٢٨٢) .

(٢) سهيل ذكار : تاريخ العروبة والاسلام (ص ٢٦٠) .

(٣) ابن خلدون : المقدمة (ص ١٥-١٦) ، الجهشياري : الوزراء والكتاب (ص ٢٥٤) .

هذه هي اهم الاسباب التي اوردها المؤرخون حول نكبة البرامكة والتي اوضحت لنا الظروف التي احاطت بها . ولكن لنا وقفة قصيرة قبل ان ننهي موضوعنا عن البرامكة ونكبتهم اذ يجب علينا ان نلقي بعض الضوء على شخصية ارتبطت بموضوعهم ارتباطا كبيرا ، وهي شخصية الفضل بن الربيع والذى كان له دور هام في نكبتهم .

كلنا نعلم ان الاسلام دين المساواة ، فلا فرق بين عربي على اعجمي ، ولا اسود على ابيض، الا بالتقوى ، والناس جميعا سواسية كأسنان المشط تجمعهم الاخوة في الله ، هذه الاخوة التي كانت اقوى رباطا من اخوة الدم والعصب، وقد قضى الاسلام على العصبية الجاهلية غير ان العصبية القبلية مالبثت ان عادت في عهد الامويين وزادت مساوئها واشتدت في اواخر ايامهم ، واصبحت عاملا من عوامل سقوط دولتهم لان تعصب الامويين للعرب، واعتمادهم عليهم كليا في ادارة الدولة العربية الاسلامية ، كل هذا اغضب الموالي وخاصة الموالي الفرس الذين كانوا يرون انهم ليسوا اقل شأنا من العرب ويرون انهم اصحاب مجد وحضارة عظيمة سابقة .

لذلك انضم الموالي الفرس الى جميع الحركات المعارضة للامويين وعلى رأسها الدعوة العباسية التي انضموا اليها ولعبوا الدور الرئيسي في انجاحها .

ولم ينس العباسيون للفرس هذا الموقف المؤيد لدعوتهم وخلافتهم

فاسندوا اليهم المناصب الهامة في الدولة ، وعلى رأسها منصب الوزارة .

وكان ابو سلمة الخلال اول من تولى الوزارة بعد ان بويع عبد الله العباس بالخلافة ، وهو الذى عرف بوزير آل محمد . ومن الذين تولوا الوزارة في العصر العباسي الاول ابو ايوب الموريانى وابو عبيد الله بن معاوية ، ويعقوب بن داود ، وخالد بن برمك وابنه يحيي ، والفضل بن سهل واخوه الحسن حتي ليقال انه اذا كان العرب قد استأثروا بالخلافة فان الفرس قد استأثروا بالوزارة .

هؤلاء الوزراء ذوو الاصول الفارسية عملوا على ان يعيدوا مجد الدولة الفارسية القديمة بادخالهم الانظمة والعادات الفارسية الى البلاط العباسي ، وصبغ الدولة العباسية بالصبغة الفارسية ، حتى يتسنى لهم - اذا ماسنحت الفرصة - احياء ماضيهم السياسي ، والغاء الحكم العربي غير ان خلفاء العصر العباسي الاوائل كانوا من القوة بحيث لم يسمحوا لهؤلاء بان يحققوا اهدافهم .

واكبر دليل على هذا القول هو الاحداث التاريخية التى جرت وموقف الخلفاء العباسيين من وزرائهم الفرس والذى يظهر في تخلص عبد الله العباس من ابى سلمة ، وتخلص ابى جعفر المنصور من ابى مسلم الخراساني وتخلص الرشيد من البرامكة والمأمون من الفضل بن سهل . اذ شعر الخلفاء العباسيون ان الوزراء الفرس عملوا على التحيز للفرس وابعاد العرب عن المناصب الهامة في الدولة ، واسنادها الى شخصيات

ذات اصل فارسي ، وظهر هذا جليا خاصة في عهد البرامكة الذين اسند اليهم الرشيد حكم الرعية . ولذا فان هذه السياسة المحابية للفرس والتي سار عليها البرامكة لم ترض العرب الذين كانوا أصحاب السلطة والصدارة في العصر الاموي ، فعملوا على مقاومتها .

وقد تشكل حزب عربي ضم كل المعارضين لهذه السياسة ترأسته السيدة زبيدة زوجة الرشيد الاثيرة لديه والتي كانت تكره تسلط البرامكة وتدخلهم في شئون الدولة كما حدث عندما اختاروا عبد الله المأمون وليا للعهد ، بعد ابنها محمد الامين وربط ابنها محمد الامين بالعهود والمواثيق التي علقت في جوف الكعبة ، اضافة الى استبدادهم بالملك والاموال ، وصبغهم البلاد بالصبغة الفارسية كما ذكرنا سابقا .

كل هذا اغضب السيدة زبيدة العربية الهاشمية ، فعملت على محاربتهم مستعينة بحاجب الرشيد الفضل بن الربيع الذي كان يتودد اليها لما كان لجدها المنصور من فضل عليه ، وعلى ابيه الربيع بن يونس من قبل .

وقد لعب الفضل دورا هاما في نكبة البرامكة - كما سنرى في الاحداث التالية - اذ كان الفضل بن الربيع ذا ميول واحاسيس عربية اضافة الى كراهيته الشديدة للبرامكة انفسهم ، ولسياستهم المحابية للفرس في الدولة ، فعمل مع السيدة زبيدة وحزبها العربي ضد البرامكة خاصة والفرس عامة .

وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن ابي فروة (١) . ويقال ان والده الربيع بن يونس كان من ضمن خمسين وصيفا اهدوا للمنصور، ثم ارتقى الى ان اصبح حاجبا له، ثم ولاه الوزارة بعد ابي ايوب المورياني وقد ظل في عمله الى ان توفي المنصور .

ولد ابنه الفضل سنة ١٤٠هـ وقيل سنة ١٣٨هـ (٢) ، وقد قلده المنصور الحجابة ايضا ، فكان حاجبا له الى ان توفي المنصور (٣) ،

وفي عهد ابنه المهدي تولي الفضل الحجابة اضافة الى ديوان الرسائل ، ولما توفي المهدي استوزره الهادي (٤) .

وفي عهد الرشيد سيطر البرامكة على امور الدولة ، واصبحوا هم المتصرفين فيها حتى ان يحيى بن خالد بن برمك عين الفضل بن الربيع سنة ١٧٣هـ مسئولا عن ديوان النفقات العامة والخاصة ، فاصبح بحكم هذا المنصب قريبا من الاسرة العباسية ، مما اتاح له فرصة التقرب من

---

(١) الجهشياري : المصدر السابق (ص ١٢٥) ، ابن رستة : الاعلاق النفيسة (ص ٢٠٧-٢٠٩) .

(٢) الخطيب البغدادي : المصدر السابق (١ : ٣٤٤) .

(٣) الجهشياري : المصدر السابق (ص ١٢٥) .

(٤) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٠٧) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ٧٤) ، ابو الفداء : المصدر السابق (٢ : ١٠) ، ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢١٤٠) .

الامراء العباسيين ، وخاصة بعد ان عينه الرشيد حاجبا له سنة ١٧٩هـ بدلا من محمد بن خالد بن برمك.(١)

هذه المناصب ـ كما قلنا ـ اتاحت للفضل بن الربيع فرصة التقرب من الاسرة العباسية ، وخاصة السيدة زبيدة زوجة الرشيد والناقمة ـ كما عرفنا سابقا ـ على البرامكة ، فعمل معها على ايغار صدر الرشيد على البرامكة ونجحا في ذلك لما كان لهما من منزلة خاصة عند الرشيد بحكم ان زبيدة زوجته والفضل بن الربيع حاجبه فاستطاعا ان يؤثرا عليه تأثيرا مباشرا ويحققا مقصدهما . وقد اخذ الفضل بن الربيع على عاتقه مهمة ايصال اخبار البرامكة ، وكل مايفعلونه الى الرشيد بصورة تثير خوفه وفزعه اذ كان يتقصى اخبارهم بواسطة عيون له كانوا يترصدون حركاتهم وينقلونها الى الفضل مثال ذلك عندما عرف الفضل بن الربيع باطلاق جعفر ليحيى بن عبد الله من الحبس سارع بايصال هذا الخبر الى الرشيد .(٢)

وهكذا كان الفضل بن الربيع دائم التذكير للرشيد باستبداد

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٦٥) .

(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٥) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ١١٤) ، ابن خلدون : المصدر السابق (ص ٢٢٣) ، الخضري : المرجع السابق (ص ١٢٢) ، عمر ابو النصر : المرجع السابق (ص ١٥٥) .

البرامكة ، وانفاقهم اموال الدولة في مصالحهم الخاصة دون حساب ، في الوقت الذي كانوا يقترون فيه على الرشيد واهل بيته ويحاسبونهم على كل ماينفقونه ، بحجة المحافظة على اموال الدولة . ومما يروى في هذا الصدد ان عائلة الرشيد طلبت الف الف درهم من يحيى البرمكي فرفض ان يعطيهم ، في حين انه كان قد ورد عليه في نفس الوقت ستة آلاف الف درهم من خراسان فاخذ منها الف الف وخمسمائة فرقها على عماله (١) .

لو نظرنا الى هذا الدور الذي قام به الفضل بن الربيع اضافة الى دور السيدة زبيدة ، والى الاسباب الاخرى التي اشرنا اليها من قبل لرأينا ان كل ذلك كان له الاثر المباشر في نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ .

هذه النكبة التي كانت الهدف الذي سعت السيدة زبيدة الى تحقيقه بمساعدة اعوانها وعلى رأسهم الفضل بن الربيع . +

وقد استطاع هذا الحزب العربي بعد ان تخلص من البرامكة ان يحصل على نصر سياسي آخر وهو تعيين الرشيد للفضل بن الربيع وزيرا له . وقد اتاح هذا المنصب الجديد للفضل بن الربيع ولاعوانه العرب ، برئاسة السيدة زبيدة ، ان يعملوا لصالح محمد الامين .

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٤٨٥-٤٨٦) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٥ : ١١٤) ، شاكر مصطفى : المرجع السابق (١ : ٤٧٦ - ٤٦٨) .

ونلاحظ هذا في الموقف الودي للفضل بن الربيع من الرسول الذي ارسله الامين الى معسكر الرشيد في طوس لاستطلاع احوال الرشيد الصحية وتسليم كتبه الى الفضل بن الربيع والى غيره من كبار الشخصيات في المعسكر .

وقاد الفضل بن الربيع معركة الامين ضد المأمون ، او بمعنى ادق معركته ضد الحزب الفارسي الذي كان يترأسه الفضل بن سهل الا ان نتيجة هذه الحرب لم تكن في صالحه ، وانما كانت في صالح الحزب الفارسي الذي عاد مرة ثانية الى الوزارة والحكم ، بقيادة الفضل بن سهل .

وبهذا اختفى الفضل بن الربيع عن مسرح الاحداث التي حاول ان يصل الى قمتها . الا ان الظروف كانت ضده فلم تساعده على تحقيق طموحاته وتطلعاته مثلما كان يريد ويرغب (١) .

وفي الحقيقة فان الفضل بن الربيع كان يتمتع بكثير من الصفات الحسنة كرجاحة العقل ، وحسن التصرف . والدليل على ذلك قول المأمون عنه كلما رأى تقصيرا من رجاله في امر من الامور (اترون انني لاعرف رجلا ببابي لو قلدته اموري كلها لقام بها ويعني بذلك الفضل بن الربيع) (٢) .

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٧ : ٣٨) ، الدينوري : المعارف (ص ١٦٨) .
(٢) ابن طيفور : بغداد (ص ٩) .

ويقول ابن الطقطقي عنه : وكان الفضل بن الربيع شهما خبيرا باحوال الملوك وآدابهم ، ولما تولى الوزارة تهوس بالادب ، وجمع اليه اهل العلم ، فحصل منه ما اراد في مدة يسيرة . وكان ابو نواس من شعرائه المنقطعين اليه ، فمن ذلك قوله :

عباس عباس اذا اضطرم الوغى
والفضل فضل والربيع ربيع (١)

ومن اقوال الفضل المأثورة قوله في ايام المأمون : مابقي لي من عقلي احب الي مما ذهب من مالي (٢) .

وقد توفي الفضل بن الربيع سنة ٢٠٧ هـ وقيل سنة ٢٠٨ هـ (٣) .

---

(١) ابن الطقطقي : المصدر السابق (ص ٢١١) .
(٢) ابن طيفور : المصدر السابق (ص ١١) .
(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (١٢ : ٣٤٤) .

دور السيدة في الفتنة بين الامين والمأمون .

في الواقع ان الفتنة الكبرى التي وقعت في الدولة العباسية بين الاخوين الامين والمأمون، والتي ذهب ضحيتها آلاف الابرياء، لم تكن الا نتيجة حتمية للصراع الذي ظهر بين العنصرين الكبيرين في الدولة وهما العرب والفرس . هذان العنصران اللذان كانا طرفي النزاع في هذه الفتنة ، وعلى عاتقهما تقع اوزارها .

وقد ظهرت بوادر الصراع بين هذين العنصرين منذ عهد المهدي تقريبا الذي ازداد في عهده نفوذ العجم ، مما ادى الى ظهور الحزب العربي الذي اراد ان يستعيد نفوذه في الدولة من العجم [(1)] .

وبلغت ذروة الخلاف بين العنصرين في عهد الخليفة هارون الرشيد ، حيث ساعدت الظروف والعوامل على ازدياد هذا الخلاف بظهور الاسرة البرمكية في ميدان الحكم ، وسيطرتها على الاوضاع في الدولة وتأييدها للفرس متمثلا في المأمون بن مراجل الفارسية ، وظهور الفضل بن الربيع بميوله العربية الناقمة على الفرس والبرامكة ، وتأييده المطلق للامين ابن السيدة زبيدة العربية الهاشمية .

وقصة وصول الامين الى الخلافة تبين لنا حقيقة هذا الصراع الذي

---

(١) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (ص ١٥٥-١٥٧) .

دار بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون اذ انه كان صراعا بين العرب والفرس الذى كان يمثله كل منهما .

لهذا نجد ان العباسيين كانوا منساقين ومؤيدين للامين[(١)] واضافة الى هذا العامل الهام نجد عاملا آخر اكثر اهمية ساعد في وصول الامين الى عرش الخلافة قبل اخيه المأمون الذى كان اكبر منه سنا بحوالي ستة اشهر، هذا العامل هو وجود السيدة زبيدة ام الامين وزوج الرشيد والتى كانت تعادل عنده كرسى الخلافة[(٢)] نفسه كما ذكرنا سابقا في مكانتها لدى الرشيد ، والتى كانت تتطلع لرؤية ابنها ووحيدها وليا للعهد خاصة وان جميع وجوه بني هاشم ورجالات العرب كانت تؤيدها وتناصرها في ذلك . وهذا التأييد هو الذى جعل الرشيد يوافق على اسناد ولاية العهد لابنه محمد الامين سنة ١٧٥هـ[(٣)] .

ولكن تبين للرشيد بعد ذلك مغبة هذا العمل، كما شعر البرامكة بسوء تصرفهم باختيارهم محمد الامين ، فعملوا على مبايعة عبد الله المأمون بولاية العهد بعد محمد الامين سنة ١٨٣هـ[(٤)] .

---

(١) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (ص ٢٩٢) .
(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب (ص ٢٧٠) ، ابن العمراني تاريخ الخلفاء (ص ٧٦) .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٤٨-٤٤٩) ، السيوطي تاريخ الخلفاء (ص ١١٣) .
(٤) الجهشيارى : المصدر السابق (ص ٢١١) .

ومكذا بدأت بوادر الصراع بين الاخوين تظهر بهذه المواقف والحقيقة ان الرشيد كان يحس بعواقب هذه الامور ، لذا كان متخوفا من ظهور الخلاف بين الاخوين فاصدر سنة ١٨٦ هـ كتابين علقهما في الكعبة ، تضمنا عهود ومواثيق الامين والمأمون كل منهما للاخر اضافة الى التقسيمات الادارية التي خص كل منهما بها (١) .

فكان الامين وكيل ابيه في بغداد ، والمأمون في ولاية خراسان والقاسم الذي كان يكنى بالمؤتمن الجزيرة والثغور .

الا ان هذه العهود والمواثيق التي اخذها الرشيد على ابنائه ، لم تجد نفعا فسرعان مانشب الخلاف بين الامين والمأمون ، ثم تطور الى حرب اجج نارها اشتعالا اصحاب المصالح والطموح من العرب والفرس امثال الفضل بن الربيع والفضل بن سهل .

فبعد نكبة البرامكة اصبح الفضل بن الربيع وزيرا للرشيد وتويبا منه . وعند خروج الرشيد الى خراسان لقمع ثورة رافع بن الليث ذهب معه الفضل بن الربيع الذي اوصاه الرشيد عندما احس بدنو اجله بان يسير

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٧٥-٤٧٩) ، ابن الاثير الكامل في التاريخ (٥ : ١١٣) ، ابن العمراني : الانباء في التاريخ الخلفاء (ص ٧٦) ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٣ : ٢٢٢) . المسعودي : التنبيه والاشراف (ص ٢٩٩) ، علي ابراهيم حسن ، المرجع السابق (ص ٣٨٩) .

بالجيش الذى كان معه الى خراسان لنصرة المأمون الذى ارسله الرشيد قبله لقمع الثورة[1] . الا ان الفضل خالف وصية الرشيد بايعاز من الامين وتوجه عائدا الى بغداد لدعم الامين ومساعدته قائلا فى اصحابه (لا ادع ملكا حاضرا لامير لا ادري مايكون من امره ، ولست املك الا طاعة امام العصر والخليفة الان) . وامر الناس بالرحيل الى بغداد ففعلوا[2] وهناك بايع محمد الامين بالخلافة ، وسلمه الاموال والجند .

اما المأمون فقد خرج مع ابيه الرشيد الى خراسان لقمع ثورة رافع بن الليث بتوجيه من الفضل بن سهل الذى اشار عليه بذلك ، اذ قال له (سله ان يشخصك معه ، فانه عليل وغير مأمون ان يحدث عليه حادث ان يثب عليك اخوك فيخلعك وامه زبيدة واخواله من بني هاشم)[3] فخرج عبد الله المأمون فى صحبة والده لقتال رافع بن الليث الا ان مرض الرشيد فى طوس دفعه الى ارسال ابنه المأمون مع بعض الجند لقتال رافع ريثما يتماثل للشفاء ، ويذهب ببقية الجيش الى ميدان القتال .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٨٣) ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ (٥ : ١٢١) ، ابن الطقطقى : الفخرى (ص ٢١٢) ابو الفداء المختصر فى اخبار البشر (٢ : ١٩) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٢٧١) .

(٣) المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٢٧١) .

الا ان العلة اشتدت عليه وتوفي ، فذهب الفضل بن الربيع بالجيش الى محمد الامين ببغداد ، بدلا من ان يذهب به الى المأمون كما طلب اليه الرشيد .

فلما بلغ عبد الله المأمون الخبر اراد ان يلحق بالفضل بن الربيع الا ان الفضل بن سهل حذره من مغبة ذلك العمل بقوله (اذا ذهبت جعلك هؤلاء هدية لمحمد ، لكن الرأي ان ترسل رسولا يخبرهم بالبيعة) .

وبالفعل نفذ المأمون نصيحته وارسل الى اخيه الامين رسولا من عنده ، وقد عومل هذا الرسول اسوأ معاملة من قبل الفضل بن الربيع .

عند ذلك تبين للمأمون موقف الفضل بن الربيع العدائي منه والذي عبر عنه الفضل بن سهل بقوله (اعداء قد استرحت منهم) (١) .

لذلك اخذ المأمون في توطيد مركزه في مرو باسترضاء الخراسانيين بان خفض ربع الخراج عنهم ، وباكرام القواد والفقهاء والامراء وابناء الملوك منهم .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٥٠) ، ابن الاثير : الكامل (٥ : ١٣٦) ، الجهشياري : الكتاب والوزراء (ص ٢٧٧) ، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (١ : ٢٩٦) ، شاكر مصطفى دولة بني العباس (١ : ٤٣٨) .

هذه السياسة التي اتبعها المأمون اثمرت مع الخراسانيين ، فاطلنوا تأييدهم له بقولهم " ابن اختنا وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١).

وفي الوقت نفسه اظهر المأمون الطاعة والولاء لاخيه محمد الامين ويدل على ذلك الكتاب الذي ارسله اليه ، والذي يحمل كل معاني التعظيم والاحترام له ، والهدايا والطرف التي كان يرسلها اليه من انتاج خراسان (٢).

في حين ان الامين بعد اعتلائه عرش الخلافة بدأ يفكر في خلع اخيه عبد الله المأمون ، وتولية العهد لابنه موسى بايعاز من الفضل بن الربيع - الذي كان يخشى عبد الله المأمون لما فعله معه عندما عاد بالجيش الى الامين ، وعلى بن عيسى بن ماهان . الا ان بعض رجاله من ذوي الخبرة والرأي عارضوه في ذلك الامر ، وقالوا له (لا تجرىء القواد على النكث للامان وعلى الخلع ، فيخلعوك) (٣) ، فلم يلتفت الامين الى رأيهم

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٥١) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ١٣٧) ، الجهشياري : المصدر السابق (ص ٢٧٨) ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٣ : ٢٣١) ، شاكر مصطفى : دولة بني العباس (١ : ٤٣٨) .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل (٦ : ٥٥٤) .

(٣) المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٣٨٩) ، ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص ٤٧٥) ، ابن الطقطقي : الفخري (ص ٢٠٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي (٢ : ١٧٩) .

وفضل رأي الفضل بن الربيع وجماعته . غير انه ارجأ ذلك الامر، واكتفى بان جعل ابنه وليا للعهد بعد عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن .

وكانت الخطوة التالية للامين ان احكم قبضته عليهم، اذ امر بعزل القاسم عن الجزيرة، وعين بدلا منه خزيمة بن خازم .

فادرك المأمون ان الخطوة التالية للامين سوف تكون موجهة اليه فقطع عنه البريد، ومحا اسمه من الطراز[1] .

اما الخطوة التالية التي اتبعها الامين فكانت تقليص نفوذ المأمون في ولاياته وذلك باتصاله بعمال المأمون مباشرة دون الرجوع اليه كما فعل مع عامل الري[2] .

وحاول محمد الامين استدراج المأمون اليه في بغداد، فارسل اليه الكتب التي تبين لهفته وشوقه ومحبته له . لكن المأمون لم يستجب للامين واخبره بضرورة بقائه في خراسان ومحاربة الاعداء[3] .

عند ذلك ارسل اليه الامين يطلب منه ان يتنازل عن بعض كور خراسان، وان يتنازل عن حقه في تعيين العمال، وان يسمح له بارسال

---

(١) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٥٥٣)، شاكر مصطفى : المرجع السابق (ص ٤٣٨-٤٣٩) الجزء الاول .
(٢) الطبري : المصدر السابق (٦ : ٥٥٣) .
(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٥ : ٥٦١)، ابن الاثير: الكامل (٥ : ١٣٩-١٤٠) .

رجل من عنده عاملا على البريد[1] .

وحار المأمون في كيفيةالرد عليه ، الا ان الفضل بن سهل اشار عليه برفض هذا الطلب . فكرر الامين طلبه بأن ارسل وفدا الى المأمون اوصاه بضرورة نشر الخلاف في خراسان ضد المأمون ، لكن الوفد لم يستطيع ان يؤدى مهمته ، لان عسكر المأمون لم يسمحوا له بمقابلة احد سوى المأمون الذى اوضح للوفد مرة ثانية رفضهطلب الامين .

في الوقت نفسه ارسل المأمون يطلب من اخيه ارسال زوجته ام عيسى بنت الهادى وولديه ، وبعض الاموال التي وهبها الرشيد للمأمون الا ان الامين رفض ذلك معللا رفضه هذا بقوله انه لايرى تعريضهم لمشقة السفر ، وانهم عنده بمثابة حريمه وولده . واما الاموال فسينفقها في امور تخص المسلمين[2] .

وبدأ الخلاف يشتد بينهما فوجه الامين وفدا آخر الى المأمون مكونا

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٥٥) ، ابن الاثير : الكامل (٥ : ١٣٩) ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٢ : ٢٣٢) ، الجهشيارى : الكتاب والوزراء (ص ٢٨٩-٢٩٠) ، شاكر مصطفى المرجع السابق (١ : ٢٣٩) ، احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى (ص ٣١٨-٣١٩) .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٥٨-٥٥٩) ، الجهشيارى الوزراء والكتاب (ص ٢٩٠) .

من شخصيات رفيعة الشأن في الدولة وهم : العباس بن موسى بن عيسى ابن موسى ، وعيسى بن جعفر المنصور ، ومحمد بن عيسى بن نهيك ومعهم كتاب يتضمن طلب الامين من المأمون ان يقدم موسى بن محمد الامين على نفسه في ولاية العهد وان يبين له العباس بن موسى ان هذه السياسة سار عليها بعض الخلفاء من قبله . الا ان الفضل بن سهل منع مثل هذا النقاش ، واوضح للوفد بان المأمون بين اخواله وشيعته ، وان هذا الامر الذي يطلبه الامين مرفوض وغير مقبول .

ولم يكتف الفضل بن سهل بهذا الرفض ، وانما استطاع ان يقنع العباس بن موسى بمبايعة المأمون وان يكون عينا له في بلاط الامين ووعده بامارة الحج وبعض مواضع في مصر (١) .

وبعد رجوع هذا الوفد تأكد المأمون من ان الامور بينه وبين اخيه الامين آخذة في التردي ، وان الحرب لابد قائمة بينهما ، لذا امر بقفل الحدود بينه وبين اخيه وامر الا يعبر احد هذه الحدود الا بـاذن خاص منه .

وبذلك صارت امور المأمون مستورة في حين كانت اخبار الامين تصل تباعا الى المأمون - عن طريق العباس بن موسى ، وغيره من العيون - فاخذ

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٥٣-٥٥٤) .

في الاستعداد لمواجهة الامين .

اما فيما يتعلق بالامين فقد غضب غضبا شديدا عندما بلغه رفض المأمون تنفيذ رغباته، فقرر ان يخلعه من ولاية العهد وساعده في قراره هذا كل من الفضل بن الربيع وعلي بن موسى ، واعلن الامين على الملأ خلع المأمون والقاسم، وتعيين ابنه موسى في ولاية العهد ، وتلقيبه بلقب الناطق بالحق ، وامر بالغاء الدعاء للمأمون والقاسم على المنابر، كما امر باخذ الكتابين اللذين كان الرشيد قد علقهما في الكعبة بالبيعة لابنائه ومزقهما[1] .

هذا العمل الذي قام به الامين من الغدر باخويه وخاصة المأمون ادى الى غضب رعاياه، وخاصة الخراسانيين ، واهل الحجاز وغيرهم من الامصار، فقرروا مساندة المأمون .

من خلال هذه الاحداث نلاحظ ان الموقف بين الاخوين اخذ في التأزم، وابتدأ النزاع المسلح بينهما ، واخذ كل من الاخوين يكيد للاخر من خلال الوزيرين الفضل بن الربيع والفضل بن سهل .

ولما كان الامين هو الخليفة الشرعي وامير المؤمنين فقد ارسل جيشا كبيرا يقدر بحوالي اربعين الف جندي جعل على قيادته علي بن عيسى بن

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٣) ، الجهشياري : الوزراء والكتاب (ص ٢٩٢) ، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (ص ٢٩٨) الجزء الاول .

ماهان حاكم خراسان في عهد الرشيد ، والذى كان قد اساء معاملـــــة اهل البلاد فعزله الرشيد ، والذى عرف ايضا بميوله العربية (١) .

ولما سمع الخراسانيون ان علي بن عيسى قادم لقتالهم ، هبـــــوا يدافعون عن انفسهم بكل ما استطاعوا من قوة ، ولاقوه بجيش يقوده طاهر ابن الحسين .

واسفرت المعارك التي دارت بين الجيشين عن قتل علي بن عيســى وعندما تحقق النصر لجيش المأمون وانتهت المعركة اعلن عن خلع الامـــين الذى اصبح يعرف للخراسانية بالمخلوع ، او بسر زبيدة (بزرتها) (٢) .

لكن الامين ارسل جيشا آخر من الابناء بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الابناوي (٣) ، وكان مصيره مثل مصير الجيش الاول .

فاعد الامين جيشا آخر من الاعراب بقيادة احمد بن مزيد ، وجيشـا من الابناء بقيادة عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي .

الا ان الجيشين اختلفا وعادا دون ان يلتقيا بجيش المأمون . ولما رأى الامين كل هذه الهزائم ، واختلاف الجند في معسكره توجه بنظـــره الى الشام والجزيرة ، حيث كاتب رؤساءهم فجاءوا بمدد له ولكن حـــدث

---

(١) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (١ : ٢٩٨) .
(٢) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الاول (١ : ٢٩٩) .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٢٥) .

ايضا خلاف بين افراد هذا الجيش، ادى الى حدوث قتال عنيف بينهم فتشتت الجيش ولم يستفد الامين منه بشئ (١) .

ولم يصاحب سوء الحظ جيش الامين فقط، وانما امتد الى العاصمة نفسها ، حيث استطاعت دعاية رجال المأمون ان تثير البعض ضد الامين فمن ذلك ثورة حسين بن على بن عيسى بن ماهان على الامين وخلعه له من الخلافة ثم حبسه هو وامه زبيدة في قصر ابي جعفر (٢) .

الا ان هذه المحاولة احبطت من جانب العامة الذين اسرعوا الى فك اسر الامين ، واعادته الى كرسى الخلافة مرة ثانية ، وقتل الحسين بن على قائد هذه الثورة .

وفي الوقت نفسه اعلن داود بن عيسى بن موسى عامل الامين على مكة المكرمة والمدينة المنورة خلع الامين ومبايعة المأمون بالخلافة لغدر الامين به ونكثه العهد الذي اخذه الرشيد عليه . كما بايع

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٢٥) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ١٤٦) ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٣ : ٢٣٤) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٧ : ٣٦-٣٧) ، ابن الاثير : الكامل (٥ : ١٥٣) ، البلخي : البدء والتاريخ (٥ : ١٠٩) ( ) ابن خلدون (٣ : ٢٣٦) ، المسعودى : التنبيه والاشراف (ص ٣٠١) الخضرى : المرجع السابق (ص ١٦٥-١٦٦) .

المأمون كل من حاكم البصرة والكوفة والموصل[(١)] .

واخذت الامور تتأزم وتسوء يومابعد يوم بالنسبة للامين حيث وصلت جيوش المأمون الى بغداد ، وحاصرتها من الجهة الشرقية بقيادة هرثمة بن اعين ، ومن الجهة الغربية حاصرتها جيوش طاهر بن الحسين واخذ القائدان في حصار المدينة وضربها بالمنجنيق الذى احالها الى خراب ودمار[(٢)] .

ولما اشتد الحصار على بغداد فر كثير من اهلها الى جيوش المأمون وبقى الامين وامه السيدة زبيدة واولاده ، وقلة من اعوانه يصارعون جيوش المأمون حيث غاب معظم اصحابه وقواده عنه وعلى رأسهم الفضل بن الربيع الذى اختفى ولم يظهر الا بعد عفو المأمون عنه[(٣)] .

عندئذ ضاق الامين ذرعا بالامر ، وكاد ان يفر الى الجزيرة والشام لولا ان تدخل بعض اصحابه ومنعوه من ذلك بناء على اوامر من طاهر بن الحسين .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٤٢-٤٤) .
(٢) الطبرى : المصدر السابق (٧ : ٤٩-٥٢) ، المسعودى : مروج الذهب (٣ : ٤٠٢-٤٠٤) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ١٥٧ - ١٥٨) ، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر (٢ : ٢٠) ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٣ : ٢٣٨) .
(٣) الطبرى : المصدر السابق (٧ : ٣٨) ، ابن كثير : الكامل (٥ : ١٥٢) ابن خلدون : المصدر السابق (ص ٢٣٧) .

عند ذلك طلب الامين من هرثمة بن اعين قائد المأمون وقائد والده الرشيد من قبل ان يؤمنه وان يتدخل لاصلاح ذات البين بينه وبين[١] اخيه المأمون ، لكن الامور لم تسر كما اراد لها الامين فقد وقع الامين اسيرا بين ايدي رجال طاهر بن الحسين فحبسوه وقتلوه[٢]، ثم بعث طاهر ابن الحسين برأسه الى المأمون مع البردة والقضيب والخاتم[٣] فاعلن مقتل الامين على الملأ وان الخليفة الشرعي للمسلمين هو عبد الله المأمون[٤] .

موقف السيدة زبيدة :

وبعد ان انتهينا من سرد احداث هذه الفتنة التي وقعت بين الاخوين الامين والمأمون ، والعوامل التي ادت اليها[٥] . نأتي الى

---

(١) البلخي : البدء والتاريخ (٦ : ١١٠) .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٧٩-٨٠) ، ابن الاثير: الكامل (٥ : ١٦٤) ، المسعودي : مروج الذهب (٣ : ٤١٢) ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٣ : ٢٤٠) ، ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص٩٣) .
(٣) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر (٢ : ٢٠) .
(٤) الطبري : المصدر السابق (٧ : ٢١) ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (٢ : ٤٣٨) ، الطقطقي : الفخري (ص٢١٤) ، ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص ٩٤) .
(٥) انظر فاروق عمر : العباسيون الاوائل (٢ : ٢٠٤-٢٢٩) ، سهيل ذكار تاريخ العروبة والاسلام (ص ٢٥٥-٢٥٦) .

ايضاح موقف السيدة زبيدة من هذه الاحداث .

في الحقيقة ان السيدة زبيدة لم تكن بعيدة عن هذه الاحداث وانما كانت طرفا فيها ، ولانغالي اذا قلنا انها هي السبب في كل ماحدث وان كان بصورة غير مباشرة .

فهي التي دبرت وخططت لوصول ابنها الى ولاية العهد ثم للخلافة بعد موت والده ، كما رأينا في الصفحات السابقة .

فعندما توفي الرشيد واعلنت خلافة محمد الامين في بغداد توجهت اليه من الرقة بجميع ماكان هناك من الخزائن والاموال التي كانت لها وللرشيد ، فاستقبلها محمد الامين خارج بغداد في جمع من وجوهها ثم عاد معها الى بغداد حيث انزلها المنزلة اللائقة بها (١) .

وبتولي الامين الخلافة اصبحت السيدة زبيدة اكثر نفوذا وقوة عما كانت عليه في عهد الرشيد نظرا لسيطرتها على ابنها الامين ، الذى لم يكن يخرج عن طوعها وتدبيرها . وهذا ماعابه عليه ابوه الرشيد عندما قارن بينه وبين اخيه عبد الله المأمون ، اذ اخذ عليه ميله الى مشاركة النساء في الرأي (٢) (ويقصد بالنساء زبيدة) .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٥٥١) ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ (٥ : ١٣٧) ، ابن كثير : البداية والنهاية (٩ : ٢٢٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (٣ : ٢٣٠) ، عمر رضا كحاله : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام (٢ : ٢٠) .

(٢) ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص ٨٩) .

وهذا الامر هو الذي اخاف البرامكة وجعلهم يعمدون الى اختيار عبد الله المأمون لولاية العهد من بعده، ولو كان الامر بايديهم لخلعوه من ولاية العهد لان وجود الامين على كرسي الخلافة سوف يسمح للسيدة زبيدة وللعرب بالظهور والسيطرة على مقاليد الامور في الدولة وهذا لم يكن ليرضيهم .

والذي يؤكد القول بان السيدة زبيدة كانت هي صاحبة الامر والسلطة وان كل مافعله ابنها الامين انما كان برضائها وبعد مشورتها هو ان قائد الجيش علي بن عيسى بن ماهان عندما توجه الى السيدة زبيدة للاخذ بنصائحها وتوديعها قبل خروجه لقتال المأمون اعطته قيدا من الفضة، وقيل قيدا من الذهب ليقيد به عبد الله المأمون (١) بعد ان نصحته بكيفية معاملته اثناء اسره، حيث اوصته بعدة وصايا تتضمن حسن معاملة المأمون ان تمكن منه . (٢)

وكذلك عندما تطورت الاحداث العسكرية في بغداد وضعف موقف الامين وخلعه من الخلافة واخذت عليه البيعة لاخيه عبد الله المأمون وثب العباس بن موسى بن عيسى عليه واخرجه من قصر الخلد الى قصر

---

(١) ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء (ص٨٩) ، مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسي (ص ٤٨) .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر الباب الاول .

ابى جعفر، ثم وثب على ام جعفر فامرها بالخروج من قصرها الى بغداد فابت فدعا لها بكرسي وامرها بالجلوس عليه وتبعها بالسوط واساء اليها واغلظ لها القول ثم امر بحبسها مع ابنها (١) .

وفي هذا الموقف دليل آخر على ان الجميع كانوا يعلمون تأثير السيدة زبيدة على ابنها وعلى الاحداث، وتسييرها الامور وفق اهوائها ومصالحها بقدر ماتستطيع .

ولاثبات هذا الرأى نقول انه بعد هزيمة محمد الامين وقتله امر طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون بنقل السيدة زبيدة من قصر ابى جعفر الى قصر الخلد ثم امر بنقلها الى بلاد الزاب الاعلى خوفا من تأثيرها على الاحداث (٢) .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (٧ : ٣٦) ، ابن الاثير: الكامل في التاريخ (٥ : ١٥٣) ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق (٢ : ٤٤٠) ، ابن خلدون : العبر (٣ : ٢٣٦) ، البلخى : البدء والتاريخ (٥ : ١٩) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٧ : ٩١) ، ابن الاثير: المصدر السابق (٥ : ١٧١) ، ابن خلدون : المصدر السابق (٣ : ٢٤١) مؤلف مجهول : المصدر السابق (٢ : ٣٣١) .

ومن خلال كل هذه المواقف يتضح لنا ان السيدة زبيدة لعبت دورا كبيرا في تسيير الاحداث التي جرت في الدولة العباسية والتي انتهت بخلافة ابنها الامين وفي الفتنة بين ابنها الامين وبين اخيه المأمون ، علي الرغم من ان هذا الدور لم يظهر للعامة بصورة علنية .

وكلمة اخيرة تقال انه مهما كان هذا الدور الذى لعبته السيدة زبيدة في مجري الاحداث في الدولة العباسية فاننا لا ننكر انها كانت السيدة الاولي ذات الرأى المطاع في الدولة اذ كان لها تأثيرها المباشر علي الرشيد ويتجلي ذلك واضحا في نكبة البرامكة ، وفي ايصال ولدها الامين الي كرسي الخلافة ، ثم تأثيرها علي ولدها الامين فيما حدث بينه وبين اخيه المأمون وكل هذا كان يدار من وراء الستار .

الباب الثالث

الدور العمراني للسيدة زبيدة

أولاً : درب زبيدة

ثانياً : عين زبيدة

ثالثاً : الأعمال العمرانية الأخرى للسيدة زبيدة

الدور العمراني للسيدة زبيدة

ان كنا تحدثنا فيما سبق عن حياة السيدة زبيدة الخاصة وماجبلت عليه من كرم المنشأ وحسن الخلق والذكاء، والحنكة في الامور السياسية ورأينا جزيل عطائها للخاصة والعامة، وحبها الشديد لزوجها الرشيد وولدها محمد الامين . وكيف سيرت الكثير من الامور السياسية الى مصالحها الخاصة .

واذا اخذنا في الاعتبار القوة والمنفعة والازدهار، التي كانت عليها الدولة العباسية وخاصة في عصرها الذهبي، عصر هارون الرشيد واذا علمنا ان السيدة زبيدة كانت وراء الرشيد في كل صغيرة وكبيرة تبينا الدور الكبير الذى لعبته السيدة زبيدة في تاريخ الدولة العباسية وخاصة في الفتنة التي حدثت بين الامين والمأمون .

نلاحظ بعد كل ماذكرناه سابقا اننا صورنا الجانب النفسي وكل مافيه نفع شخصي للسيدة زبيدة ولكل من تحب . فاذا نظرنا اليها من هذه الزاوية فقط، عندها لا يمكننا ان نقول عنها الا مايقال عن اية امرأة دخلت التاريخ وكان لها ذكر فيه . اذ كلنا يعلم ان قيمة الانسان الحقيقية ليست فيما يقدمه لنفسه من خير فقط، بل هي فيما يقدمه من

خير للناس . فهل فكرت وعملت السيدة زبيدة لخير الناس، كما عملت لخيرها وخير من تحب ؟

هذا ماستناوله بالبحث والاستقصاء في هذا الباب الذي يتناول دراسةاهم اعمال السيدة زبيدة العمرانية التي عرفت بها ، والتي ادت الى شهرتها ، وذيوع صيتها في العالم الاسلامي آنذاك ، فهي قد اهتمت بكثير من المشاريع العمرانية وابرزها ماقامت به من اعمال عمرانية في طريق الحج - الذي كان يقصده حجاج العراق والمشرق في طريقهم الى مكة المكرمة - بقصد توفير سبل الراحة لهم اثناء سفرهم لاداء فريضة الحج ، وقد بلغت هذه الاعمال من الضخامة حدا ، فاق كل ماقام به الخلفاء العباسيون وكبار رجال الدولة العباسية من اعمال وقد نسب اليها هذا الطريق تقديرا لمساعيها الجبارة فيه ، واصبح يعرف بطريق زبيدة أو درب زبيدة .

ولم يقتصر اهتمام السيدة زبيدة في النواحي العمرانية على المناطق التي هي في مركز الخلافة فقط بل تعداه الى الاراضي المقدسة فعملت هناك ايضا على راحة الحجيج فسعت الى اجراء الماء من عين وادي النعمان الى جبل الرحمة بعرفة ، ومن عرفة يجري الى مكة المكرمة لتوفير المياه لاهلها على مدار العام ، ولحجاج بيت الله الحرام ايضا في موسم الحج .

وهو عمل عمراني ضخم لايزال اهل مكة المكرمة وحجاج بيت الله يستنفعون منه الى يومنا هذا . ولذلك عرفت هذه العين بعين زبيدة كما عرفت القناة التي تحمل مياهها الى مكة المكرمة بقناة زبيدة .

وفضلا عن ذلك فان السيدة زبيدة اهتمت بمشاريع عمرانية اخرى لم تسعفنا المصادر بالتعرف الاعلى البعض منها . وكل ما استطعنا ان نتعرف عليه - في هذا الصدد - وبعد المسح الدقيق والتمحيص - لم يكن سوى مجرد اشارة فقط الى بناء السيدة زبيدة مسجد ذى طوى في مكة المكرمة ، مع بعض الدور التى عرفت باسمها (دور زبيدة) .

اما في المدينة المنورة فقد بنت دارا عرفت ايضا باسم (دار زبيدة) وفي الطائف عملت على عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي بغداد كان لها عدة اعمال عمرانية مثل قطيعة ام جعفر ، وسويقة زبيدة ، وقصر القرار ، ومنتزه زبيدة ، وثلاث مساجد . وفي طرسوس وفي الثغر الشامي بنت الدور للسبيل لينتفع بها المجاهدون المرابطون في اربطتها . كما اهتمت ايضا ببناء الدور والبيمارستانات في اقليم خراسان لينتفع بها الفقراء المسافرون . غير ان هذه الاعمال اندثرت جميعها تقريبا ولا وجود لها اليوم ولذلك فان دراستنا لاعمال السيدة زبيدة العمرانية ستتركز في درب زبيدة ، وفي عين زبيدة ، اللذين مازالا قائمين حتى اليوم والتي بهما عرفت واشتهرت .

أولاً: درب زبيدة

اولا : درب زبيدة .

المقصود بهذا الدرب هو طريق الحج العراقي ، الذى كان يسلكه العراقيون والخراسانيون من الحجاج وغيرهم من السكان القاطنين فى آسيا من شرقى العراق اثناء سفرهم الى المدينة المنورة والى مكة المكرمة ، وقد كان هذا الطريق مسلوكا قبل العصر الاسلامي ، الا انه ازدادت اهميته فى العصر العباسي خاصة بسبب سلوك الحجاج له وبسبب التحسينات العظيمة والتجديدات الكثيرة التي ادخلها عليه الخلفاء العباسيون وكبار رجال الدولة[1] .

وهذا الدرب هو احد اربعة طرق رئيسية يسلكها الحجاج الى المدينة المنورة ، والى مكة المكرمة اما الطرق الاخرى فهى طريق الركب الشامي ، وطريق الركب المصرى ، وطريق الركب اليمنى (الطريق الساحلى) وطريق الركب العراقى[2] .

---

(١) Saad A. Al-Rashid: Dar-Zubaydah : The pilgrim Road from Kufa to Makkah, Riyad 1980. pp. 12-16.

(٢) عن هذه الطرق انظر الجزيرى : درر الفوائد المنظمة فى اخبار الحج ومكة المعظمة (ص ٤٤٩-٤٧٠) .
هذه الاربعة هى طرق الحج الرئيسية ، ويوجد بجانبها ثلاثة طرق اخرى وهى طريق البصرة مكة ، وطريق صنعاء مكة (الطريق الداخلى) وطريق عمان مكة .

ويمر طريق الكوفة ـ مكة بمناطق مختلفة في طبيعتها متباينة في تضاريسها ، فتارة نراه مستويا على ارض رملية او طينية ، وتارة اخرى منحوتا وسط الصخور في المناطق الجبلية ، ومرة غيرها نراه موسعا وخاليا من العوائق الخطرة في المناطق الوعرة (١) .

ويذكر الحربي ان الطريق من بغداد الى مكة يقارب السبعمائة ميل ، وثمانية وخمسون ميلا فيه زيادة ستة اميال اذ ان مابين المعدن والقبيلة مشرفين (٢) ، ثم برد قصار ، وعدد البرد اثنان وستون بريدا ، وثمانية اميال (٣) .

بينما يذكر الجزيري ان طول درب زبيدة حوالي خمسمائة ميل وعشر اميال ، وهي مائة وسبعون فرسخا ، اى الف واربعمائة كيلو مترا (٤)

---

(١) سعد الراشد : برك المياه على طريق الحج من العراق الى مكة ونظائرها في الاقطار الاخرى ، مجلة اطلال ، حولية الاثار العربية السعودية ، العدد الثاني (ص ٦٦) .

(٢) المعدن والعسيلة مرحلتان من مراحل الطريق من الكوفة الى مكة

(٣) الحربي : كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر (ص ٤٦٨) . ويعلق حمد الجاسر في الحاشية رقم ٣ بنفس الصفحة ان المسافة بين المعدن (معدن النقرة) والعسيلة هي ٢٦ ميلا وعلى هذا فالمشرف ١٣ ميلا تقريبا وان المشرف كلمة تستعمل لقياس المسافات مثل ميل وبريد .

(٤) الجزيري : درر الفوائد (ص ٤٤٣) . سعد الراشد : المصدر السابق ، (ص ٦٦) ، العدد الثالث .

ويتضح من وصفه للدرب فيما بعد انه يقصد بهذا التحديد ، المسافة من العذيب[١] الى مكة المكرمة ، اذ يقول ان المسافة من العذيب وهو حدود سواد الفرات، والتي يخرج منها ركب العراق الى البادية ، ومنها الى مكة المكرمة ، تبلغ سبع وخمسين منزلة من منازل البريد او مشرفا وبين كل منزلة واخرى او مشرف وآخر ستة اميال وهي فرسخان من فراسخ العرب[٢] .

وهذا ويقال ان الخليفة المأمون وجه من ذرع الدرب فوجده بالاميال سبعمائة واثني عشر ميلاً[٣] .

والدرب بعد ان يترك العذيب يمتد عبر الصحراء مسافات طويلة

---

(١) عن العذيب انظر فيما بعد .

(٢) الجزيري : المصدر السابق (ص ٤٦٨) .
يلاحظ ان الجزيري يحدد المسافة بين مشرف وآخر بستة اميال بينما يحددها الحربي بثلاثة عشر ميلا (انظر المناسك ص٤ حاشية رقم ٣) .
المشرف نوع من علامات الطريق لتحديد اتجاه طريق الحج للحجاج والفرسخ ثلاث اميال هاشمية او ميلان ونصف باميال بني امية ولعل المقصود بفراسخ العرب اميال بني امية . انظر :

(٣) Saad A. Al-Rashid: o.p. cit, p.p.135-136.

حيث الجفاف، وشدة الحرارة، وقبائل البدو، التي كانت تغير على ركب الحجاج ولاسيما في فترات ضعف الخلافة العباسية، بسبب سوء احوالها المعيشية (١).

وقد ادت هذه المتاعب والمخاطر، التي كانت تحف بالحجاج اثناء سلوكهم هذا الطريق الى اهتمام خلفاء المسلمين به، ولاسيما خلفاء بني العباس، (٢) لان الركب الذي كان يسلكه كان يخرج باسم الخلافة العباسية، ويتقدمه امير الحج. لهذا اعتنى الخلفاء العباسيون وكبار رجال الدولة العباسية باقامة الحصون والقصور والدور والمساجد والابار والبرك على طول امتداده بقصد توفير وسائل الراحة والامان للحجاج في سلوكهم هذا الدرب.

---

(١) عن اعتداءات القبائل على طريق الحج العراقي منذ سنة ١٦٧ هـ وحتى اواخر عهد الدولة العباسية انظر سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة، رسالة ماجستير من كلية الاداب جامعة القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م لم تطبع، ص ٦٨-٧٦ . انظر ايضا

Saad. A. Al-Rashid: op-cit, chap.III, The decline of the road p.p.47-57.

(٢) انظر فيما بعد اعمال الخلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة العباسية في طريق الحج العراقي .

وتقدر عدد المحطات او المنازل في هذا الطريق حوالي اربع وخمسون محطة من امثال واقِصَة، والعَقَبة، وزُبَالة، والثَّعْلَبِيَّة وغيرها وقد كانت تتوفر فيها وسائل الراحة من اقامة ومأكل ومشرب واعلاف للدواب.(١)

كما اهتم الخلفاء العباسيون ايضا بوضع الاعلام، والاميال لتحديد معالم ومسافات هذا الدرب، اضافة الى رصفه بالحجارة في الاماكن الموحلة، وتمهيد الاماكن الوعرة والجبلية التي يصعب السير فيها كما عينوا عاملا لهذا الدرب مهمته الاشراف عليه وتفقد احواله.(٢)

ولكي نبرز اهمية اعمال السيدة زبيدة بهذا الدرب يتعين علينا ان نلقي الضوء اولا على هذا الدرب لنتعرف على مراحله ثم نطلع على ماقام به الخلفاء ولاسيما الخلفاء العباسيون وكبار رجال الدولة العباسية من اعمال جعلت الحجاج يسلكونه آمنين مطمئنين، دون مشقة او تعب

---

(١) سعد الراشد : درب زبيدة في العصر العباسي، مجلة الدارة العدد ١/٤، ١٣٩٨هـ (ص ٢٣١). شخصيات اسلامية اسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة الى مكة، مجلة كلية الاداب جامعة الرياض، المجلد الخامس ١٣٧٧هـ (ص٥٦).
هذا ويقدرها الدكتور سعد الراشد في اطروحته لنيل درجة الدكتوراه عن درب زبيدة بستة وخمسين مرحلة ومنزلة (انظر فيما بعد).

(٢) ابن رستة : الاعلاق النفيسة (ص١٧٦)، اليعقوبي : البلدان (ص ٣١٢)، سيد بكر عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحج (ص ١٩-٢٠).

ثم ننظر اخيرا في الاعمال التي قامت بها السيدة زبيدة ونطلع على اهميتها التي ادت ان يطلق اسمها عليه فيكون درب زبيدة .

(أ) وصف الدرب ومراحله :

فمراحله حسبما جاء في وصف الجغرافيين المسلمين الاوائل لهذا الدرب - وبعد عبور الفرات الاسفل[1] - هي : الكوفة - فالعُذَيب - المُغَيثة - القَرْعاء (القرع) - واقِصَة - العَقَبة - القاعُ - زُبَاله - الشَقوق - البطَان - الثَعْلَبيّة - الخُزَيمية - الاجفُر - فَيْد - تَوز - سمَيراء - الحاجر - معدن النقرة (معدن القرشي) - مُغَيثة الماوانِ - الرّبَذَه - السّليلة - العُمَق - المَعْدِن - الافَيْعِيَة - المَسْلح - الغَمْره - ذات عرق - بستان بن عامر - واخيراً مكة المكرمة . وبين كل مرحلة واخرى في هذا الطريق يوجد بعض المنازل ، ويبلغ عدد هذه لمراحل الرئيسية والمنازل التي بينها ست وخمسين مرحلة ومنزلة[2] .

وبعد هذا العرض الموجز لمراحل الطريق ولاعطاء صورة واضحة

---

(١) عن المراحل بين بغداد والفرات الاسفل انظر الحربي : كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (ص٥٤٥-٥٤٧) .

(٢) الجدول رقم (١) وهو عن مراحل ومنازل الطريق من الكوفة الى مكة كما جاء في اقوال الجغرافيين المسلمين الاوائل .

له ننتقل الى وصف مراحله التي تبدأ بالكوفة .

(١) تعتبر الكوفة نقطة الالتقاء والتجمع للحجاج القادمين من بغداد ومن المدن والقرى الواقعة في آسيا شرقي العراق . فمن الكوفة يبدأ ركب الحجاج بالتوجه الى الاراضي المقدسة ، فيخرج الى القادِسيّة ، وهي مرحلة واحدة او خمسة عشر ميلا . ومن الحجاج من ينزل النجف لزيارة قبر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهي دون المرحلة ، ثم يتجه الركب بعد ذلك الى العُذَيب.[1]

(٢) والعُذيب تصغير العذب وهو الماء الطيب ، والمسافة بينه وبين القادسية أربعة اميال[2] . والعذيب تعرف الان باسم عين السيد[3] وبعدها يبدأ الطريق الصحراوي وكله مفازات . وفي العذيب قال الشاعر :

ياصاح لانوما ولاقرارا   حتى ترى لي بالعذيب نارا[4]

---

(١) الجزيري : درر الفوائد (ص ٤٦٥) .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ : ٩٢) ، سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج (ص ٣٦) .

(٣) حمد الجاسر : طريق الحيرة الي مكة ، مجلة العرب (٥ : ٦) ، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩ هـ (ص ٣٦٤) .

(٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك (ص ١٣٦) .

(٣) ثم يسير الركب الى المُغيثَةُ ، وهي منزل والمسافة بينها وبين العُذيب اربعة وعشرون ميلاً ، وتقع بقرب خط الطول ٥ /٤٤ وخط العرض ٢٥ /٣١ ، وتوجد بها برك لجمع مياه الأمطار .[1]

(٤) ثم يتجه الركب الى القرعاء[2] ، والمسافة بينها وبين المغيثة إثنان وثلاثون ميلا ، وتقع بقرب خط الطول ٥٣ /٤٣ ، والعرض ٥٥/ ٣٠[3] وسميت القرعاء بذلك لقلة نباتها . ويوجد بها عدد من آبار المياه[4] .

(٥) ومن القرعاء يتجه الركب الى واقِصَة[5] ، وهي من اشهر منازل طريق الحج العراقي ، وفيها برك وآبار ومسافتها اربعة وعشرون ميلا وتقع واقصة بقرب خط الطول ٣٥ /٤٣ ، وخط العرض ٣٤ /٣٠[6] ،

---

(١) حمد الجاسر: طريق الحيرة الى مكة ، مجلة العرب (٥ : ٦) س ١٤ ذي القعدة والحجة ١٣٩٩ هـ (ص ٣٦٤) .

(٢) الجزيرى : درر الفوائد (ص ٤٦٦) .

(٣) حمد الجاسر: طريق الحيرة الى مكة ، المقال السابق (ص ٣٦٤) .

(٤) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٤ : ٣٢٥) .

(٥) ومعنى واقصة الموقوصة اي قصر العنق ، وايضا صغار العيدان والدوب اذا ماسارت في رؤوس الاكام (ياقوت الحموى) المصدر السابق (٥ : ٣٥٤) .

(٦) حمد الجاسر: طريق الحيرةالى مكة ، المقال السابق (ص ٣٦٤) .

وهي داخل الحدود العراقية كالمواضع التي قبلها .

(٦) ومنها يتجه الركب الى العَقَبَة ، والعَقَبَة في اللغة الجبل الطويل يعرض للطريق فيؤخذ فيه .

وفي الطريق الى العَقَبَة توجد آبار وبرك ، والمسافة اليها تسعة وعشرون ميلا . وهي بقرب خط الطول ٣٨ ٤٣/ والعرض ٨ /٣٠ (١)

وهذه هي العقبة المذكورة في رحلة ابن جبير بعقبة الشيطان (٢) .

ويفهم من تنزيله ام جعفر التي انشدها احمد بن عمرو للسيدة زبيدة اثناء مرافقته لها في عبور هذا الدرب الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ، ان لها اعمالا في العقبة فهو يذكر في وصفه لهذه المنزلة :

سيدة تمنح قبل الطلبه ... ولا تريد المال ، الا للهبة

اجرت عيوناً في فلا معتذبه ... امست على الناس بها محتسبة (٣)

(٧) ومن العقبة يتجه المسافرون الى القاعُ التي تبعد اربعة وعشرين ميلا عن العقبة ، وتقع بالقرب من خط الطول ٥٠ /٢٩ وخط

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٤ : ٣٤) ، حمد الجاسر : طريق الحيرة الى مكة ، المقال السابق (ص ٣٦٥) .

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير (ص ١٨٦) ، سيد بكر عبد المجيد المرجع السابق (ص ٣٩) .

(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٤٨ - ٥٤٩) .

والعرض ٤١ ٤٣/٣[١] . والقاع منبسط من الارض الحرة السهلة الطين ، التي لايخالطها رمل فيشرب ماءها وهي مستوية[٢] . ونطلع على اعمال السيدة زبيدة في القاع من خلال تنزيله أم جعفر المذكورة انفا ، حيث جاء في وصف هذه المنزلة مايلي :

يحملن شمساً تقذف الشعاعا   سيدة قد فاقت ارتفاعا
على الملوك اذرعاً ، وباعا   تروى الظمأ ، وتشبع الجياعا[٣]

وبالقاع مسجدان وقصر وهو اكثر منازل الطريق تحصيناً[٤] ، وفيه عدد من البرك اشهرها القصرى او السابية ، والمصفاة والعتيقة وبئر ماء .

وعلى مسافة ثلاثة اميال ونصف الميل من القاع توجد قباب مبنية لخالصة جارية الخيزران ام الخلفتين الهادى والرشيد[٥] . كما انه على بعد ستة اميال من القاع يوجد الهَيثَمُ وهوموضع في الطريق

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨١) حاشية رقم ٢ ، حمد الجاسر: طريق الحيرة الى مكة ، المقال السابق (ص ٣٦٥) .
(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٤ : ٢٩٨) ، محمد بن عبد الله ابن بلهيد : صحيح الاخبار(٣ : ١٤٠) .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٤٩) .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨١) .
(٥) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨٢) .

يقع بقرب خط الطول ٢٩/٥٠ وخط العرض ٤١/٤٣ تقريبا والهيثم في اللغة هو الرمل الاحمر[(١)] .

وبالهيثم بركة زبيدية وقباب ومسجد ، وبعد الهيثم باقل من ميل يوجد مكان يدعى بركة الجريسي ، وبه قصر وقباب ومسجد وبترجاهلية .

وبعد الجريسي بخمسة اميال مكان يدعى القبيبات، وبعدها مكان آخر يدعى الخيلان ، وسمى بذلك لانه ارض بيضاء فيها حجارة سوداء[(٢)] .

(٨) ثم يتجه الركب الى زُبالة وطول هذه المرحلة حوالى ثمانية عشر ميلا وقد سميت بزبالة لذبلها الماء، اى ضبطها الماء وامكانية اخذه منه عند الحاجة اليه . كما قيل انها سميت بذلك نسبة الى امرأة من العماليق تدعى زبالة بنت مسعر[(٣)] . كما قيل ايضا في تسميتها بذلك ان زبالة بن حارث كان اول من احتفرها ، وتقع زبالة على خط الطول ٢٩/٢٨ والعرض ٣٥/٤٣[(٤)] .

---

(١) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٥ : ٤٢١) ، الحربي : المصدر السابق (ص٢٨٢) ، حاشية رقم ٤ ، حمد الجاسر: طريق الحيرة الى مكة ، المقال السابق (ص ٣٦٥) .

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٣) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ١٢٩) .

(٤) الحربي : المصدر السابق (ص٢٨٤) ، حاشية رقم ٢ .

ويوجد في زبالة قصر ومسجد ، وعدد من البرك اشهرها بركة العتيقة وبركة الكبيرة ولها مصفاة . كما يوجد فيها عدد كبير من الابار التي لها احواض مثل بئر الريان وبئر البرمكية ، وبئر العتيق وغيرها [١] .

وعلى بعد ثلاث اميال من زبالة موضع يدعى العُبَيثران بعده بميل علم الخيزران .

وعلى بعد ستة اميال ونصف الميل من زبالة توجد بركة مدورة تعرف بالقيصوم لها مصفاة ، وبجانبها مسجد وقباب ، ويليها بميل متعشى وبئر وحوض يطلق عليه اسم الوَضَمْ [٢] ، والرضم في اللغة حجارة تجمع وترضم بعضها على بعض في الابنية [٣] ، وهو باقي الى الان بهذه التسمية [٤] . ومن زبالة يتجه الركب الى ذات التنانيرُ وهي متعشى وتبعد اثنى عشر ميلا عن زبالة [٥] . ومن

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨٥) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨٥) .
(٣) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ٥٠) .
(٤) بلهيد : المرجع السابق (١ : ٨٦) .
(٥) ياقوت : المصدر السابق (٢ : ٤٧) .

ذات التنانير يتفرع طريق الى القريبة ولينَهُ ويعرف بطريق لينه حيث يخرج الركب من زبالة الى القريبة[١] التي بها آبار وبرك ، ثم الى لينه . ولينَهُ موضع بنجد ويقال ان بها ثلثمائة عين[٢] والمسافة اليها ثلاثة عشر ميلاً ومنها الى الثعلبية .

(٩) ويسير الركب من ذات التنانير مسافة تسعة اميال فيصل الى الشُقُوق . والشقوق جمع شق وهو الناحية وهو لبني سلامه بن اسد[٣] . وتقع بقرب خط الطول ٣٠/٤٣ والعرض ٧/٢٩[٤] .

ويوجد في الشقوق عدد من البرك مثل بركة العتيقة وهي مربعة ولها مصفاة ، وبركة زبيدية مدورة[٥] ، كما يوجد فيها عدد كبير من الابار . ويفهم من تنزيله ام جعفر ان للسيدة زبيدة اعمالاً في الشقوق فقد جاء فيها :

---

(١) القريبة يقال انها القرينة بالنون وهي روضة بالصمان . والصمان يمتد مسماه الى جهات لينه وهي المعروفة الان باسم ام قرين بلهيد : المرجع السابق (٤ : ٣٥) ، ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٣٣٧) .

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨٦) .

(٣) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ٣٥٦) .

(٤) حمد الجاسر : المقال السابق (ص ٣٦٥) .

(٥) انظر فيما بعد .

ثم ترحلنا الى الشقــــوق ... فنزلُ فى ماثة ذى ضيــــق
قد كاد ان يقطع بالفريــق ... لولا فعال البَرّة الصـــندوق
ومانعانيه من الطريـــق ... لم يك للحجاج بَلّ الريـــق
لكنها اجرت بكل نيـــق ... ماء عيون شَبّه البشـــوق
اوبئر نقب ناتق عميــــق ... يروى ذوى الحج واهل السوق (١)

وعلي بعد ثلاثة اميال من الشقوق يجد المسافرون قصرا خربـــا لام جعفر (٢) .

كمايجدون علي بعد ستة اميال منها وفى الجهة اليمني مـــن الدرب، مكانا يدعي بالرّستمية فيه بركة زبيدية ، وقباب ومسجـــد وهو اول الزّرى ، والزّرى عقاب صغار، وارض خشنة ، ويقال انهـــا نيف وسبعون عقبة (٣) .

ثم يمتد الدرب الى بركة الشيحة والتى تعرف ايضا باســـم الشيحيات في الوقت الحاضر، اذ ان اسم الشيحة توسع فيـــه فاصبح يطلق على هذا المكان وماحوله ، حتى شمل ماكان يعـرف

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٥٤٩) .
(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٨٨-٢٩٠) ، سيد بكر عبد المجيد الملامح الجغرافية لدروب الحج (ص ٤٢) .
(٣) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٩٠) .

قديماً باسم الشقوق ، ومن ثم عرف هو وماحوله باسم الشيحيات [1] وفيها قصر وقباب وهي المتعشى ، ثم يتجه الركب الى الطليح وبه قباب وخزان للماء وهو لخالصه جاريه الخيزران [2] .

(١٠) ثم يسير الركب الى البطان وهي لبني ناشرة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن اسد [3] ، والمسافة اليها حوالي اثنان وعشرون ميلا ، وفيها مسجد وقصر ومجموعة من البرك اشهرها الخالصية التي لها مصفاة . وعلى مسافة ميل ونصف من الخالصية توجد بركة تعرف ببركة المهدى . كما يوجد خزان للماء في وسط الوادى ، وبئر ماء لام المتوكل ، واحواض للماء في بيوت التجار تقدر بحوالي عشرين حوضاً [4] . وعند البريد في بطان قصر لام جعفر . وعلى مسافة ثمانية اميال منها توجد بركتان لخالصة احداهما تسمى التناهي ، والثانية تعرف بالخربة .

وبعد التناهي بميل توجد بركة مدورة امر بحفرها موسى بن عيسى [5]

---

(١) محمد العبودى : شيحة والشيحية ، مجلة العرب العدد ٥ ، ٦ السنة ١٤ ذى القعدة والحجة سنة ١٣٩٩ هـ (ص ٣٨٩-٣٩٧) .
بلهيد : المرجع السابق (٤ : ٣٠٥) .

(٢) انظر فيما بعد .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٦) .

(٤) ياقوت : المصدر السابق (١ : ٤٤٦) .

(٥) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٩٠ - ٢٩١) .

ويقال انها لزبيدة . وعلى مسافة احد عشر ميلا توجد بركة مربعة لحسين الخصي في وادي يقال له السعور، وتدعى البركة بالسقيا.(١) وبعد البطان باقل من ميل يوجد قبر العبادي، والعبادي هذا رجل كان نصرانيا فاسلم ومات في هذا الموضع.(٢)

(أ١) ثم يسير الركب اثنين وعشرين ميلا ونصف الميل فيصل الى الثعلبية ويكون بهذا قد سار ثلث الطريق الى مكة المكرمة . وسميت بالثعلبية نسبة الى ثعلبة بن دودان بن اسد بن خزيمة . كما يقال انها سميت بذلك نسبة الى ثعلبة بن ذاهل بن فهم التنوخي، او نسبة الى ثعلبة بن مالك بن ثعلبة . ويقال ايضا ان الثعلبية احدثت زمن عبد الملك بن مروان(٣) . وهي مدينة لها سور، وبها حمامات وسوق، ومسجد(٤) جامع وبالثعلبية قصر وبركتان مربعتان، احداهما تدعى المهدية ولها مصفاة، والثانية تدعى الخالصية . والثعلبية لبني اسد ويطلق عليها الان اسم

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٩٣)، سيد بكر عبد المجيد : المرجع السابق (ص٤٣) .

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص٢٩١-٢٩٢) .

(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٩٥-٢٩٦) .

Saad A. Al-Rashid: Op.p.15.

(٤) ابن رستة : الاعلاق النفيسة (ص ١٧٥) .

الثعيلي ، وهي من اعمال المدينة المنورة.[1] وعلى مسافة ميل ونصف من الثعلبية وفي بطن الوادى بئران ، يعرفان باسم الشبيكة والطريفة ، وعلى بعد ميلين من الثعلبية آبار ماء تسمى الخضراء .

وعلى بعد ثلاثة اميال من الثعلبية ، توجد بركة القَنَعة وسميت بذلك لانها بقنع من الرمل ، وبجانب البركة قباب ومسجد.[2]

وعلى مسافة سبعة اميال من الثعلبية ايضا توجد بركة تعرف بالغُمَيْس، والغميس تصغير الغمس، وهو اخفاء الشيء في الشيء ، وكذا الاخضر من الكلأ تحت اليابس، والى جانب هذه البركة يوجد قصر خرب.[3]

ومن الغميس يمتد الدرب الى زَرُود ، والمسافة اليها حوالى اثنان وعشرون ميلاً ونصف الميل . وسميت بذلك لابتلاعها المياه لان الزرد بمعنى البلع، ورمالها تبتلع مياه الامطار الساقطة عليها . وقيل سميت بذلك نسبة الى زرود بنت يثرب بن قانية بن مهليل.[4] وتعرف ايضا باسم زرود العتيقة ، وتقع على خط

---

(١) بن بلهيد : المرجع السابق (٣ : ١٨١-١٨٢) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٩٨) .
(٣) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٢١٣) .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٩٩) .

الطول ٥٠/٢٧ وخط العرض ١٨/٤٣ .[1]

ولا تزال زرود معروفةالى وقتنا الحاضر، وهى تابعة لامـــارة حايل .[2]

(١٢) ومن زرود يسير الركب الى الخُزَيمية التي تبعد عنها مسافة ميـل ونصف الميل . وسميت بالخزيمية نسبةالى خزيمة بن خازم حيث ان الخُزَيمية تصغير خزيمة الذى بني فيها مسجداً ومنـارة وسواني للابار ليستقى منها بالابل .[3] وبالخزيمية ست آبار غليظـة الماء اهمها بئر الرغوة ، والحمام ، والوثيقةوعلى بعض منهـا احواض وعلى بعد ميل ونصف الميل من الخزيمية ، مكان يعـرف بالمتصفة به قصر للخلفاء ، وعدد من الابار التى على بعض منهـا احواض . كماانه على مسافة ميلين من الخزيمية موضع يعرف بالقصر العتيق بناه ابو جعفر المنصور ، وفيه بركة مربعة وحوض .[4]

وتوجد كذلك بئر تعرف بالهاشمية على مسافة ستة اميال مـن الخزيمية . وعلى مسافة ثمانية اميال منها توجد بركـة

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٩٩) حاشية رقم (١) .
(٢) ابن بلهيد : المرجع السابق (٥ : ٢٤٩-٢٥٠) ، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (٢ : ٦٨١) .
(٣) ابن رستة : المصدر السابق (ص ١٧٩) .
(٤) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٠٠) .

عبد الله بن مالك التي يقال لها شقيقة النهي في بطن الاغر،[١] وهي مربعة ولها مصفاة ، وتوجد ايضا ثلاثة آبار، عليها احواض وهي متعشي وبها حصن وحوانيت للبيع .

وعلى مسافة ميل من بطن الاغرتوجد بئر تعرف بالعباسية وبظهر الاغر قباب وخزانة لخالصه وآبار وبيوت . وقبل ان يصل الركب الى الاجفر المحطة التالية بميلين وعند الرصيف (يقصد به الرصيف الذى فرش بالحجارة والذى صنعتهاخ الصه)[٢] توجد بركة لخالصة وقيل للخيزران وهي مربعة الشكل[٣] .

(١٣) ومن الخزيمية يمتد الدرب الى الاجفَر، والمسافة بينهما تقدر بحوالي عشرين ميلا ونصف الميل . وسميت بالاجفر لجفارها وسعة قاعها ، وكانت فيها في كل جفرة اقلبه (آبار) . وكانت تسمى في الجاهلية السرفة . وفي الاجفر قصر ومسجد وبركة والاجفر من اشهر الهجر في منطقة حايل في الوقت الحاضر[٤] .

وفي الاجفر يذكر احمد بن عمرو اعمالا للسيدة زبيدة . فهو يقول في تنزيله ام جعفر :

---

(١) الحربي : المناسك (ص ٣٠٠) .
(٢) انظر فيما بعد .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٠١) .
(٤) حمد الجاسر: المرجع السابق (١ : ١٧٧) ، سيد بكر عبد المجيد المرجع السابق (ص ٤٨) .

ثم نزلنا منزلاً بالأجفـــرِ بعد طريق خشنٍ مُوعَـــرِ
سهّله الله بأم جعفـــر فصار مورودا حميدَ المَصْــدَرَ
ومُرّ بعذب الطعم مثل السكـــــــر
وراجل أشعث شعـــر أغـــبر
جادت له بفضّة وجوهـــر ساقيةُ الحجاج ذات المفخر (١)

ومن الاجفر يتفرع طريق يؤدي الى العُشيْرَة يقصده من لا يريد نـــزول فيْه . والعُشَيْرة تنسب الى عشرة ، وهو نبت ينمو في ارضها ذ وصمغ حلو يسمى سكر العشر . وبها آبار عذبة ومزارع ونخل وحصون .
وطريق العشيرة هذا يخرج من الاجفر الى المحربة ، ويوجـــــد بالمحربة آبار ونخل ثم الى العشيرة (وقد سمى هذا الطريـــق بطريق العشيرة نسبة الى هذا المكان) ومنها الى الحاجر (٢). وعلى مسافة ميل ونصف الميل من الاجفر توجد آبار متعددة ، كما انــه على مسافة ستة اميال ونصف منه يوجد قوس عليه أزج (٣) معقود للمـــاء من عمل خالصة ، وعلى مسافة ثمانية اميال من الاجفر توجد بركـــة

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص٥٥٠ -٥٥١) .
(٢) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ١٢٧) .
(٣) الازج هو ضرب من الابنية .

زبيدية يقال لها البلة عندها قباب وبئر ومسجد[1] .

(١٤) ويسير الركب من الاجفر الى فَيْد التي تبعد عنها حوالي سبعة وعشرين ميلا ، وسُميت بفَيْد نسبة الى فائد بن حام من بني عليق الذى كان اول من نزلها . كما قيل ان سبب تسميتها بفيد يعود الى ان كل من حولها يستفيد منها . وقيل ايضاً ان الفيد هو نور الزعفران ، وان الفيد ايضا بمعنى الموت[2] .

وتقع فيد على خط طول ٢٩ ٢٧/ وخط عرض ٠٠ ٤٣/ شرقي سفح جبل سلمى احد جبلي طيء ، وهي التى اقطعها النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخيل بن مهلهل عندما اسلم ، واصبح يعرف باسم زيد الخير[3] .

وفَيْدٌ بلدة قديمة منذ الزمن الجاهلي ، وتقع في نصف طريق الحج ، وكانت بليدة عامرة ، يعتمد اهلها في معيشتهم على موسم الحج من حيث حركة البيع والشراء[4] . وهي لازالت موجودة الى وقتنا الحاضر[5] .

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٠٣) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨) .
(٣) ابو علي الهجرى : ابحاثه في تحديد المواضع (ص٢٧٩-٢٨٠) .
(٤) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٢٨٢) ، بلهيد : المرجع السابق (١:١٢٧) .
(٥) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٠٦) ، حاشية رقم ٢ . سيد بكر عبد المجيد : المرجع السابق (ص ٤٩) .

ويوجد في فيد قصر للسلطان ، وبساتين وحصون ومسجد جامع ومنبر وأسواق وبركة مربعة[(١)] ، وبعض الابار ومنها بئر الفضل بن الربيع، وبفيد كان ينزل عامل الطريق[(٢)] ، وعلى مسافة احد عشر ميلا ونصف الميل من فيد توجد بركة وحوض وبئر لعبد الله بن مالك تسمى القرائن ، وهو المتعشى . وعلى مسافة خمسة عشر ميلا من فيد توجد بركة تدعى الحنظلية . كما انه على مسافة ستة عشر ميلاً من فيد يوجد القويان ، والقويان اكيمتان سود اوان[(٣)] .

(ه ١) ويسير الركب من فيد اربعة وعشرين ميلا ونصف الميل حتى يصل الى توز . وفي توز بركتان احدهما مدورة زبيدية تعرف بالطايفية والاخرى مربعة تعرف ببركة القاع ولها مصفاة . وتقع على خط الطول ٣٥/٦م والعرض ٥٠/٤١° وتعرف الان باسم التوزى[(٤)] . كما يوجد بتوز عدد من الابار وحصن بناه ابو دلف[(٥)] .

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص٣٠٦) ، حاشية رقم ٢ ، سيد بكر عبد المجيد : المرجع السابق (ص ٤٩) .

(١) ابن خرداذبه : المصدر السابق (ص ١٣٧) .

(٢) ابن رستة : الاعلاق النفيسة (ص ١٧٦) .

(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١٠) .

(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١١) حاشية رقم ٥ .

(٥) قدامه بن جعفر : الخراج (ص ١٨٩) .

وعلى بعد ميلين من توز موضع يدعى بالواجمة ، وفيه بئران وقصر وقباب ومسجد وبركة لها مصفاة[١] .

وبعد الواجمة بميلين توجد بركة زبيدية مدورة ، تدعى العُنَابَة وعندها قليب وآبار وخزانة[٢] .

وعلى مسافة ثمانية اميال من توز بركة تعرف بالحمّة ، وقد سماها ابن خرداذبه الفحيمة ، وهي المتعشى ، وفيها قباب ومسجد .

وعلى مسافة اثنى عشر ميلاً ونصف الميل من توز بئر عبدالله بن مالك التي تسمى السقيا[٣] . وعندها يأتي المنصف وهو موضع العلمين ويقع في منتصف الطريق بين مكة المكرمة والكوفة .

وفي توز يقول احمد بن عمرو عن اعمال السيدة زبيدة بها :

ثم نزلنا منزلا بتوز   بين فياف فيح جروز

الى ان يقول :

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١٢) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١٢ - ٣١٣) .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١٣) ، ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك (ص ١٣٧) ، يذكرها الفحيمة ، ابن رستة في كتابه الاعلاق النفيسة (ص ١٧٦) يذكرها بالمحمية .

مؤثره الحج على الكنـــوز　　خطت طريقا فى فلا وقـــوز
سهيلة للشيخ والعجـــوز　　فصار بالماء كذى نـــزوز
وكان غنماً فيه ملء كـــوز　　قرت به وحق ان تفـــوزى (١)

(١٦) ومن توز يتجه ركب الحجيج الى سَمِيراء، والمسافة بينهما حوالـــى خمسة عشر ميلاً ونصف الميل . وهى منزل بطريق مكة ، وتقع علـــى خط الطول ٣٠/٢٦° وخط العرض ٤٥/٤١° (٢) .
ويعتقد انها سميت بسميراء نسبة الى رجل يدعى سميراء بن عـــاد ويقال ايضا ان سبب تسميتها يعود الى كل ماحولها من جبـــال وآكام لونها اسود لذلك سميت سميراء (٣) . ويوجد فيها قصر ومسجـد ومجموعة من الآبار، وبركتان إحداهما زبيدية مدورة ولها مصفـــاة والبركة الاخرى مربعة .
وعلى مسافة سبعة اميال من سميراء وعلى الجانب الايمن مـــن الطريق توجد قباب ومستقى ، وبركة يقال لها الحِسْنَة ، وبعـــد ثلاثة اميال منها بركة مدورة تسمى العبّاسية ، وبعدها بميـــل وادى الثَّلبوت، وهو وادٍ لبنى نصر ينحدر من وادى الرمـــة

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٥٥١) .
(٢) الحربى : المصدر السابق (ص٣١٤) ، حاشية رقم (٤) .
(٣) ياقوت : المصدر السابق (١ : ٢٥٥) .

وفيه قصران وبئر ومياه كثيرة وهو المتعشى .

ويوجد ايضا آبار ماء تسمى حُلْوة على مسافة ستة عشر ميلا من سميراء[١] . وفي سميراء يقول احمد بن عمرو عن اعمال السيدة زبيدة مايأتي :

سيدة قد اغنت الفقيرا وانفقت من مالها كثيرا

على الحجيج سهّلت عسيرا وانبطت عيناً لهم وبيرا

وكل حوض يشبه الغديرا فاصبح الماء لهم غزيرا[٢]

(١٧) ويسير الركب من سميراء الى الحاجِر التي تبعد عنها ثلاث وعشرين ميلا ونصف الميل . والحاجر لقب غلب عليه ، حيث يذكر ان اسمه المُنيفة ، وان سبب التسمية بالحاجر يعود الى ان رجلاً غنياً كان به ، فغلب عليه الحاجر اى منعه المدينون من التصرف في ماله ، وان عطفان هي التي اطلقت هذا الاسم على هذه المنزلة . كما يذكر ياقوت ان الحاجر مايمسك الماء من شفه الوادى[٣] .

وتوجد بالحاجر بركة مربعة ، وعدد كبير من الابار . وعلى مسافة

---

(١) ياقوت : المصدر السابق (٢ : ٢٩٤) .

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥١-٥٥٢) .

(٣) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٢ : ٢٠٤) .

ثلاث عشرة ميلا من الحاجر، يوجد قَرَوْرَى ، وقروری هذا هوالجبل المشرف على المتعشى ، وعليه علم وبه بركتان احداهما زبيدية مدورة والاخرى مربعة ، وهو معروفٌ الى وقتنا الحاضر . وكلمة قروری لها عدة معانٍ في اللغة . فهي تأتي بمعنى القصد وقروت السهم اى قصدته . والقرو ايضا حوض ممدود مستطيل الى جانب حوض ضخم ترده الابل والغنم . كما تأتي قروری ايضاً بمعنى الماء البارد الذى يغتسل به . وعند قروری يفترق الطريق الى طريقين : طريق النقرة وهو الطريق الاول عن يسار المصعَد ، والطريق الثاني طريق معدن النقرة ، وهو عن يمين المصعَد[1] . وعلى مسافة ستة اميال من قروری في طريق النقرة بركة مدورة تسمى الحَسَنى[2] الا ان ياقوت يذكر ان الحسنى هذه بئر للسيدة زبيدة[3] .

(١٨) ثم يتجه الركب الى النقِرة ، والمسافة من الحاجر اليها حوالى سبعة وعشرون ميلاً ونصف الميل . والنقرة في اللغة هي كل

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٣١٧-٣٢٠) ، ياقوت الحموى المصدر السابق (٤ : ٣٣٤) .

(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٢٠) .

(٣) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٢ : ٢٦٠) .

ارض منصوبة في وهدة فهي النقرة، ولذا سميت هذه النقرة التي في طريق مكة بمعدن النقرة[1] او معدن القرشي[2]. كما يقال ان سبب التسمية يعود الى نقر بن جنادة الذي احتفرها فنسبت اليه، كما نسبت بطن الرمة لاخيه الرمة .

ويوجد في النقرة قصر ومسجد ، وبركتان وآبار، وثمانية اعلام علمان للدخول، وعلمان للخروج ، وعلمان لطريق البصرة، وعلمان لطريق المدنية . وفي النقرة يقول احمد بن عمرو عن اعمال السيدة زبيدة فيها :

لها عيونٌ في الفلا منفجرة   اضحت على الناس بها مؤجره[3]

وعند معدن النقرة تفترق الطريق ، فمن اراد المدينة المنورة عدل الى اليسار حيث العُسَيلة ، ومن اراد مكة المكرمة عدل الى اليمين حيث مُغيثة الماوَان[4] .

---

(١) قدامه بن جعفر: المصدر السابق (ص ١٨٦) ، ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ٢٩٨) .

(٢) ابن مزداذبه : المصدر السابق (ص ١٣٧) .

(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٢) .

(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٤) ، ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ٢٩٨-٢٩٩) .

وبعد معدن النقرة بميل يوجد معدن لاقرشي ، الذى انشيء فى عهد الخليفة الواثق . والسبب فى اقامة معدن القرشي هـذا هو رحيل التاجر المسيّب بن سليمان المخزومى من النقرة اليهـا عند ما شعر بمنافسة تاجر آخر له يدعى محمد بن يوسف الجعفرى فاستأذن من والي الطريق عمر بن فرج فى اقامة هذا المكـان فاذن له بذلك [١] . ومعدن القرشي هذا حصن حوله خندق ، ولـه بابان وبه عدة آبار داخل الحصن وخارجه ، وفيه جفر عظيـم يصلح للدواب والابل ، والجفر هي البئر القريبة القعر الواسعـة التي لم تطو [٢] . وعلى مسافة ستة اميال من النقرة يوجد منـزل المُحْدَث ، ولام جعفر فيه قصر وقباب متفرقة وبركة وبئران [٣] .

وعلى مسافة ثمانية اميال من النقرة توجد بئر طيبة الماء ، وآبـار مدفونة ، عندها قباب حفرتها خالصة جارية الخيزران ام الخليفتين الهادى والرشيد .

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٣) ، سعد الراشد : شخصيات اسلامية اسهمت فى عمارة طريق الحاج من الكوفة الى مكة ، مجلـة كلية الاداب جامعة الرياض ، العدد الخامس ١٣٧٧ هـ (ص ٦٥) .

(٢) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٢ : ١٤٤) .

(٣) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٥ : ٦٠) .

كما توجد بركة تدعى السمط على مسافة اثنى عشر ميلا منها . وعلى مسافة ثلاثة عشر ميلاً من النقرة ايضا توجد بركة على يمين الطريق تسمى الاقحوانة ، كما انه على مسافة عشرين ميلا من النقرة توجد بركة مدورة (١) .

(١٩) ثم يخرج الركب من معدن النقرة فيسير مسافة سبعة وعشرين ميلا ونصف فيصل الى مُغيثة الماوان . ومعنى مغيثة هي الارض اذا انزل عليها الغيث اما الماوان فتأتي بمعنى الموضع الذى يؤوى اليه ، او ان المياه تكثر به ، وقد اضيفت كلمة الماوان الى مغيثة للتفريق بينها وبين المغيثة التي بين العذيب والقرعاء (٢) . ومغيثة الماوان تعرف اليوم باسم العميرة (٣) .

ومُغيثة الماوان هي اول طريق الجاده وبها قصر ومسجد وآبار متعددة على بعض منها احواض وبعض منها آبار مالحة (٤) . كما يوجد فيها بركة لها مصفاة ، وبركة مدورة شبيهة بالحوض قطرها

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٣) .

(٢) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٥ : ٤٥٠) .

(٣) حمد الجاسر : طريق الحيرة الى مكة ، مجلة العرب (ج ٥ ، ٦) ، السنة ١٤ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩ هـ (ص ٣٦٧) .+

(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٥) .

٣٠ - ٢٩ م تحتوي على دعامات دائرية من الداخل ، لم تـوزع بالتساوي ويدخل الماء الى البركة عن طريق المدخل الشمالي ويحتوي على دعامتين دائريتين على جانبه من الداخل .

ويوجد غرب البركة من الداخل مجموعة من الدرج تضم دعامات ربع دائرية على جانبيه من الداخل والخارج ، ويوجد جنوب البركة من الخارج قناة صغيرة ، قد تكون مخرجا مغطى[(١)] .

وعلى مسافة ميل ونصف الميل من مغيثة الماوان يوجد موضع يقال له معدن الماوان ، وهو لرجل من الاعراب يقال له مربع ، ويقال للجبل المشرف على المعدن سفرا[(٢)] او شعر ، [(٣)] وهو لبني سليم وقبالته بركة زبيدية مدورة وعلى مسافة ستة اميال من الماوان توجد بركة الحبران ، وعندها بئر وقباب وخزانة تنسب لخالصة . وهذه البرك تقع عند ثلثي طريق الكوفة - مكة . وعلى مسافة عشرة اميال من الماوان توجد بركة اريمة ، وهي المتعشى الذي يعرف بالكراع ، والكراع في اللغة ماسال من انف الجبل او الحرة

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، الاطلال ، ج ٣ ، (ص ٦٢) ١٣٩٩هـ .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٥) .
(٣) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ٣٤٩) ، السمهودي : المصدر السابق (٤ : ١٢٤٤ ، ١٣١٠) .

والكراع ايضا اسم لجمع الخيل[١] . وبعد بركة اريحة باربعة اميال توجد قباب وبئر، كما توجد بركة على مسافة تسعة عشر ميلا من المغيثة .

(٢٠) والرَّبَذَةُ هي المرحلة التالية للركب، الذى يسير اليها من مغيثة الماوان حوالى عشرين ميلا . ومعنى الربذة الشدة، والربذة تأتي ايضا بمعنى خفة القوام فى المشى، وخفة الاصابع في العمل[٢] كما تأتي ايضا بمعنى العهون التي تعلق في اعناق الابل[٣]. ويقال ايضا ان سبب التسمية يعود الي وجود جبل احمر يدعى ربذة على بعد ميل منها . ويعتقد ايضا ان الربذة اسم لابنة يثرب بن قانيه ابن نوح . ويقال ان البركة المعروفة الان باسم بركة ابى سليم هى الربذة نفسها[٤] .

والربذة هي المكان الذى اختاره ابو ذر الغفارى (جُندُب بن جُنَادَه) لسكناه، عندما اخرجه عثمان بن عفان رضى الله عنه من

---

(١) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٢٤٣) .

(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٢٦) ، ياقوت الحموى : المصدر السابق (٣ : ٢٤) حمد الجاسر : الربذة مجلة العرب، ج ١ ، ٢ ، السنة ١٠ ، رجب وشعبان ١٣٩٥ هـ (ص١-٣) .

(٣) العهون قطع من الصوف توضع في اعناق الابل .

(٤) محمد العبودى : الربذة ، مجلة العرب، ج ٣ ، ٤ السنة ١١ رمضان وشوال ١٣٩٦هـ (ص ١٦١ - ١٦٧) .

المدينة . وتقع الربذة بقرب خط الطول ١٥/٤١ والعرض ٣٥/٢٤ .(١)

ويوجد في الرَّبَذَة مسجد وقصر وبركتان ، احداهما مدورة ولها مصفاة ، والاخرى مربعة ، كما يوجد بها آبار كثيرة .

وقد ايدت الابحاث الاثرية التي تقوم بها مديرية الاثار بالمملكة العربية السعودية هذا الوصف للربذة ، حيث البركة الدائرية والابار والمسجد الموجودين فيها . فجاء في وصف البركة بانها دائرية قطرها ٦٥٫٧٥ م من الخارج ، وهي اكبر بركة في درب زبيدة ، والعمق الظاهر فوق الدفن ٤ م تقريبا ، تتصل بها من الغرب مصفاة ، بعداها ١٧٫٨٠ × ٥٥٫٠٠ م تحتوي على مدخلين ، كل منهما يتصل بجدارين لتحويل المياه ، وتسهيل دخولها الى البركة ، وبعد دخول الماء الى المصفاة يوجد ممر علوي يؤدي الى داخل البركة ، وذلك بعد امتلاء المصفاة به . ويوجد مسيل جنوب شرقي البركة لاخذ المياه منها يتصل بمجموعتين من الدرج متعاكستين تنزلان داخل البركة مع جدارها .

اما وصف المسجد فقد جاء فيه انه يقع على مرتفع شمال البركة

---

(١) حمد الجاسر : الربذة ، مجلة العرب ، ج ١ ، ٢ السنة ١٠ ، رجب وشعبان ١٣٩٥ هـ (ص ٢) .

الجنوبية ويبعد عنها حوالى نصف كيلو متر، وبعداه ٢٤×٢١٫٥ م ، وتوجد داخل المسجد اعمدة مربعة بعرض ٨٠ سم على استقامة واحدة .

اما البركة المربعة والتي يطلق عليها البركة الشمالية ، فهي مربعة الشكل وابعادها تقريبا ٢٧٫٦٠ × ٢٧٫٨٠ م، وينساب الماء اليها من الشرق الى الغرب، ويدخل البركة بواسطة جدارين يحولان الماء اليها عن طريق مدخلين ، احدهما في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجدار الجنوبي ، والاخر في الزاوية الشمالية الشرقية من الجدار الشرقي .

والمدخلان على منحدر داخلي ، وتضم البركة دعامات داخلية وخارجية متقابلة في كل جدار اثنتان من الخارج واثنتان من الداخل .

كما توجد دعائم ربع دائرية في الزوايا الداخلية اما مجموعات الدرج ، فتوجد بجانب المدخل الجنوبي الشرقي وتستمر حتى الدعامة الاولى[(١)] .

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال ، ج ٣ ص ٦٠ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

وعلى مسافة ثلاثة عشر ميلا من الربذة ، توجد بركة وقصر وآبار ، وهي المتعشى ، والجبل الذي عندها يسمى الروثة . وبعد ذلك بمسافة قصيرة يوجد متعشى حجر كِناسْ . وقبل السَليلة المرحلة التالية بميل هناك طريق فرعي لمن لا يريد دخولها ، حيث يخرج من يريد الرَبذة الى ابرق العزاف ، والمسافة اليها حوالى عشرون ميلا وسمى بالعزاف لانهم يسمعون عزف الجن وهو لبني اسد بن خزيمة وبها آبار كثيرة[1] .

ثم الى الستار والمسافة اليها خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى ذى القصة والمسافة اليها ثلاثون ميلا وقيل اربعة وعشرون ميلا[2] . وبذى القصة مياه كثيرة ، وهى الان قرية تابعة لامارة حائل[3] .

ثم يسير ركب الحجيج الى بئر السائب فالمدينة المنورة .

وكان الخليفة هارون الرشيد يسلك هذا الطريق ثم ينصرف من المدينة من طريق آخر الى معدن بنى سليم حيث يسلك سد معاوية ثم الارحضِية وهى من نواحى المدينة وبها آبار وزرع ونخيل وتعرف اليوم باسم الرحيضة وتابعة لامارة حائل .

---

(١) ياقوت الحموى : المصدر السابق (١ : ٦٨) .
(٢) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٣٦٦) .
(٣) حمد الجاسر : المعجم الجغرافي (٣ : ١١٦٢) .
(٤) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ٣٦-٣٧) ، حمد الجاسر : المرجع السابق (٢ : ٦٢٩) .

ثم الى المالحة ومن المالحة الى معدن بني سُليم .

(٢١) ويعود الركب مرة ثانية الى طريق الجادة ، حيث يخرج من الربذة الى السّليلة ، والمسافة اليها ثلاث وعشرون ميلا ونصف الميل وسميت بذلك نسبة الى السليل بن زيد بن الحارث بن ذكوان من بني سليم الذى كان اول من اختطها . كما يقال ان السّليلة عقبة او عصبة او لحمة ، اذ كانت شبه عصبة يتفصل بعضها عن بعض.(١) والسليلة الان تابعة لامارة العلا.(٢)

وبالسليلة قصر ومسجد وبركة مربعة لها مصفاة ، وعدد من الابار وعلى مسافة احد عشر ميلا منها بركة تسمى ضبة بجانبها بئر ، وهى المتعشى .

وفي السّليلة يحدثنا احمد بن عمرو عن اعمال السيدة زبيدة بها :

ثم ترحلنا الى السليلة ... مرحلة مياهها قليلة
تعجز عن رفعتها النزيلة ... فانجدت ذات اليد الجميلة
ببذل اموال لها جزيلة ... فاستخرج الماء بكل حيلة(٣)

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٣ : ٢٤٣) ، الهمداني : صفة جزيرة العرب (ص ٣٢٨) .
(٢) حمد الجاسر : المرجع السابق (٢ : ٧٣٧) ، بلهيد : صحيح الاخبار (١ : ١٣٧) .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٣) .

(٢٢) ومن السليلة يتجه الركب الى العُمَق ، والمسافة اليه ثمانية عشر ميلا وهو لبني سليم . والعُمَق من قرى المهد ، وقد كان يطلق عليه سابقا - اى المهد - معدن بني سُليم . وهو تابع لامارة المدينة المنورة(١) .

وبالعمق قصر ومسجد وآبار متعددة اشهرها الخضراء وهي لابي جعفر المنصور ، وبئر الروحاء للبرامكة .

وقد ايدت الابحاث الاثرية هذا الوصف ، حيث عثرت على عدة آبار عميقة ، حفرت في الصخر ، وهي غير مطوية ، كما دلت الاثار ايضا على وجود بركة في وادى العمق(٢) . وتوجد بالعمق بركة نائية عن الطريق ذات شكل مربع تعرف بنعيم ، وعلى مسافة عشر اميال من العمق توجد بركة الصفحة ، وهي ذات شكل مربع والمتعشى بجانبها .

كما يوجد مكان يعرف ببستان ام صالح على مسافة تسعة عشر ميلا من العمق ، وام صالح هذه امرأة من اهل المعدن حفرت في هذا الموضع بئران ، واتخذت عليهما بستانا(٣) . وفي العمق يقول الشاعر

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق (٢ : ١٠٠٨) .
(٢) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال ، (٣ : ٥٧) .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٣٢-٣٣٣) .

احمد بن عمرو عن اعمال السيدة زبيدة بها :

ثم توجهنا نريد العمقـــا ... مَنزِلِ صدق لم يزل مُرتفقـــا
ببئر ماء طاب منها المستقي ... والعيس ترى في الظلام حزقـا
وراكبوها يصلون الارقـــا ... والنور في القبة يجلوا الافقـــا
من حرة ترى العطايا خاقا ... احييت لمن لباً وحج ، الطرقـا
اجرت لهم ماءً رواء غدقـــا ... فالله يجزيها بذخر وبقـــا (١)

(٢٣) ثم يمتد الدرب من العُمق الى مَعدِنُ بني سُليم ، والمسافة اليــه حوالي اثنان وعشرون ميلاً (٢) . وسمي بالمَعدِنُ لوجود معدن الذهب فيه ، ويعرف الان باسم المَهد (٣) او مهد الذهب .
ويفهم من تنزيله ام جعفر ان لزبيدة اعمالا في المَعدِنُ اذ جـــاء فيهـــا :

يدعو لام جعفرٍ في الموطن ... اذ فرجت عن الفقير والغني
فالماء في كل طريق اخشن ... فليس عنه راحل بمنثـــني
جادت به للمؤمن المهيمن ... والله قد يجزي بفضل المحسن (٤)

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٣) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٣٢) .
(٣) حمد الجاسر : المرجع السابق (٣ : ١٤٤٣) .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٤) .

والمعدن قرية قديمة لبني سليم ، وبه مسجد وقصر ، وبركة زبيدية مدورة ، وآبار كثيرة[(١)] . وقد ايدت الابحاث الاثرية التي تقوم بها مديرية الاثار في المملكة العربية السعودية هذا الوصف من وجود القصر والبركة الدائرية والابار المتعددة[(٢)] . وعلى مسافة ميلين ونصف الميل من المعدن موضع يقال له ريّان ، والريان في اللغة ضد العطش ، وكان الرشيد ينزل به ، وفيه قصور للرشيد ، ولقواده ومواليه[(٣)] .

كما كانت توجد حوانيت وآبار وبركة مربعة ومصفاة على بعد ميل منه .

وبعد الريّان يتجه من اراد المدينة يمنة ، ومن اراد الجادة وحازه وصفينة وحرة بني سليم عدل الى السلق وهي على مسافة سبعة اميال من الريان ومضى السلق الارض المستوية ومنها يتجه الركب الى السويقة والسويقة تصغير ساق ، وهي هضبة طويلة في بطن الريان على مسافة خمسة اميال[(٤)] منه ثم الى عقبه كواع ، وبها قصران وبيوت وحوانيت وآبار وبركتان ، وبها المتعشى ، وهي على مسافة خمسة عشر ميلا ونصف الميل

---

(١) ابن رستة : المصدر السابق (ص ١٧٩) .
(٢) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال (٣ : ٥٤) .
(٣) السمهودي : المصدر السابق (٤ : ١٢٠٥-١٢٠٦) ، ابو علي الهجري : ابحاثه في تحديد المواضع (ص ٣١٤) .
(٤) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٣ : ٢٨٦-٢٨٧) .

من المعدن (١) .

وقد تحدد موقع كراع من قبل الباحثين في مشروع استكشـــــاف درب زبيدة ، بانها عند خط ١٥/٣٣ شمالا ، و ٤٠/٤٣ شرقا ، على بعد ٣٠ كم جنوبي مهد الذهب (المعدن) في واد قليل الانحـدار من الجنوب الغربي ، الى الشمال الشرقي والمنطقة محاطة بالجبال .

اما بركتا كراع اللتان جاء وصفهما فقد ذكر ان احداها كانت بركـــة دائرية قطرها ٢٦ م من الخارج ، وتحتوى من الداخل على دعامات نصف دائرية ، يدخل الماء اليها من الغرب عن طريق مدخل منحدر الى الداخل يتصل بجدارين متوازيين من الداخل ، ومنفرجين من الخارج لتسهيـل دخول الماء الى البركة ، وتحتوى البركة على درجتين متقابلتين احداهمـا في الناحية الغربية يحيط بها المدخل جنوبا ، ودعامة دائرية شمـــالا والاخرى في الناحية الشرقية مدعمة من الداخل والخارج ، بدعامات ربـع دائرية ، ويخرج الماء الفائض عن حاجة البركة ، من فتحة في جدارهـــا العلوى من الناحية الشمالية الشرقية (٢) .

اما طريق حاذة وصفينة فطريق فرعي استحدثه عيسى بن موســـى

---

(١) ابن خرداذبه : المصدر السابق (ص ١٣١) .
(٢) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة الاطلال ، العدد ٣ (ص ٥٤) .

ثم عدل عنه الى الأفيعية والمسلح لمشقته[١] .

ويمر طريق حاذه بقرى الاثم، الذي هو جبل حره بني سليم وهو اسم جامع لمجموعة من القرى هي حاذة ونقيا والقيا ، وقيل ايضا المحدث . والمسافة من الاثم الى المدينة المنورة سبعة ايام عن طريق السوارقية وآرن[٢] [٣] .

والسوارقية قرية من قرى بني سليم، كثيرة الاهل فيها مسجد جامع ومنبر وسوق ومزارع ونخل . ويقال ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال عنها معيصم عندما سئل عن اسمها ، لانه لاينال منها الا الشيء اليسير من النخل والزرع . والمسافة بينها وبين الاثم حوالي ثلاثون ميلاً . وهي لاتزال معروفة بهذا الاسم الى الوقت الحاضر[٤] .

واول منازل السوارقية إرن ، وبينها وبين الاثم عشرون ميلا ، والارن من ديار بني سليم وتقع على جادة الطريق بين منازل بني سليم والمدينة المنورة[٥] .

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٣٤-٣٣٥) .
(٢) ياقوت بالمصدر السابق (١ : ٨٨) .
(٣) بلهيد : المرجع السابق (٢ : ٥٧) .
(٤) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ٢٧٦) ، بلهيد : المرجع السابق (٣ : ١٨٦) .
(٥) ياقوت : المصدر السابق (١ : ١٦٣) .

ومن السوارقية يمتد الدرب الى الاكحل ، وهو وادى فيه ماء ونخل وهو من قرى الفُرُع في منطقة المدينة المنورة(١) .

والفُرع قرية من نواحي المدينة وهي كالكورة اذ انها تضم عدة قرى وبها مسجد ومنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ان فيها نخل ومياه كثيرة(٢) ثم يتجه الركب الى المُضيق ، والمُضيق من عيون الفرع(٣) ايضا ، ثم الى بئر ابن الزبير ببطن النقيع ، والنقيع في اللغة القاع ، وقيل الموضع الذي استنقع فيه الماء .

ثم الى الحُليفة وهي تصغير الحلف حتى يصل الركب الى المدينة .

اما طريق صُفَينة فهو لفظ تصغير من صفى وهو السفرة التي كالعيبة وهي كثيرة الاهل وذات زرع ونخل . وكان عبورها يسبب كثيراً من الضيق والتعب للحجاج ، لانها عبارة عن عقبة في الطريق ، وبينها وبين حاذه حوالي العشرين ميلاً(٤) .

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق (١ : ١٩٦) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٢٥٢) ، السمهوري : المصدر السابق (٤ : ١٢٨١-١٢٨٢) .

(٣) حمد الجاسر : المرجع السابق (٣ : ١٣٦٥) .

(٤) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٣ : ٤١٥) ، حمد الجاسر : المرجع السابق (٢ : ٨٥١) ، بلهيد : المرجع السابق (٣ : ١١٣) ، البلادي : المرجع السابق (٥: ١٥٦) .

وهناك ايضا طريق فرعي الى المدينة المنورة يتجه من السائرة الى حضرة ثم الى الفرع ثم الى الوَيان ثم الى الروحاء . وسبب تسميتها الروحاء ان الروح والراحة من الاستراحة ، ويوم روح اى طيب وقد سميت بذلك لما رجع تبع من قتال اهل المدينة ، يريد مكة فنزل بها . واقام واراح . ثم يمتد الدرب الى السَيالة ومنها الى المدينة المنورة . والسيالة هي اول مرحلة لاهل المدينة اذا ارادوا مكة وسميت بالسيالة نسبة الى تبع ، الذى نزل بها بعد رجوعه من قتال اهل المدينة ، فرأى وادبها يسيل فسماها السيالة (١) .

كما يوجد طريق فرعي آخر الى المدينة المنورة من معدن النقرة حيث يعدل من يريد المدينة الى الجهة اليسرى حيث يصل الى العُسَيلة .

والعسيلة تصغير عَسَلة ، وهو ماء في القنان ، شرقي سميراء (سميره) والمسافةاليه من معدن النقرة حوالي اربعون ميلاً (٢) ، ويفهم من تنزيلة ام جعفر ان لها اعمالا في العسيلة ، فقد جاء على لسان احمد بن عمرو قوله :

---

(١) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٣ : ٢٩٢) .
السمهودى : المصدر السابق (٤ : ١٢٤٠) .

(٢) ابى الفرج قدامه بن جعفر : المصدر السابق (ص١٨٧) ، ابن خرداذيه : المصدر السابق(ص ١٣٨) .

ثم نزلنا بعده العسيـــلا | بمنزل كان حماه غيـــلا
تحرقه الرياح ذيلا ذيـــلا | لا يجد العطشان فيه نيلا
فصار فيه الماء عذبا سبيـــلا | مالت عليه بالبدور ميـــلا
بنت ابي الفضل تكيل كيـــلا | بنت الذى ساق وساق الخيلا
فما يبالي من اتاه ليـــلا | الا يرى ليس به دخيـــلا (١)

والمتعشي لعسيلة هو المحدَث، وهو على مسافة ستة اميال مـــن النقرة، وفيه قصر وقباب لام جعفر . والمحدَث اسم المفعول من احدثـــت الشيء اذا ابتدعته ولم يكن من قبل (٢) . ويفهم من تنزيله ام جعفر ان للسيدة زبيدة اعمالا في المحدث فقد جاء فيها في وصف هذه المنزلة :

ثم رحلنا فاتينا المحدثـــا | نغرى صخوراً وطريقا ادعثـــا
نخبط رضراض الحصا والكثكثا | حتى وردنا منزلا مستحدثـــا
ابقى لام جعفر حسن النثـــا | ونث في انعامها ماينتثـــى
احيت به الفرد الغريب الاشعثا | فصار من مر به تلبثـــا
بين اب بنى لها وورثـــا | عزا وفخرا، ستراه المبعثـــا (٣)

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٦١) .
(٢) ياقوت : المصدر السابق (٥ : ٦٠) .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٦١) .

وبعد العسيلة يتجه الركب الى بطن النَّخْل ، والمسافة اليها حوالى ستة وثلاثون ميلا وهى قرية كثيرة الماء[١] على طريق حجاج البصرة[٢] .

ثم من بطن النخل يمتد الدرب الى الطَّرَف ، والمسافة اليها حوالى اثنان وعشرون ميلا ، وتعرف اليوم باسم الصُّوَيْدِرَة . وقد ورد فى تنزيلة ام جعفر ما قامت به السيدة زبيدة من اجراء الماء فيها ، فقد قال احمد بن عمرو منشدا :

ثم ارتحلنا فنزلنا بالطرف ... منصرفين ، حامدينَ المنصرفْ
ندرّع الليل اذا الليل انتصف ... من كل فجّ ، وصخور نعتسف
قد كان ساريها على حدّ التلف ... فصار فيها الماء عذباً يغترف
بيمن ذات الجود فينا والشرف ... تلك التى آباؤها خير السلف[٣]

---

(١) ابن الفرج قدامه بن جعفر : المصدر السابق (ص١٨٧) .
(٢) ياقوت الحموى : المصدر السابق (١ : ٤٤٩) ، السمهورى : المصدر السابق (٤ : ١١٤٩) ، البلادى : المرجع السابق (١ : ٢٣٤) .
(يذكر ان بطن النخل هى ما يعرف باسم الحِناكية) .
(٣) الحربى : المصدر السابق (ص ٥٦٠) .

ثم من الطرف يسير الركب حوالى ستة وثلاثين ميلا حتى يصل الى المدينة المنورة (١) .

(٢٤) وبعد هذا الطريق الفرعي الى المدينة المنورة نرجع ثانية الى طريق الجادة حيث يخرج الركب من المعدن الى الأفَيعِيَة والمسافة بينهما ستة وعشرون ميلا ونصف الميل ، وسميت بهذه التسمية لكثرة الافاعي بها .

هذا والافيعية هذه هي غير افاعية التي تقع على بعد مرحلة من العمق كما يتبين لنا ذلك من وصف ياقوت الحموي ، ومن كلام قدامه بن جعفر (٢) .

والافيعية هي لقوم من آل ابي بكر الصديق، وآل الزبير وبني سليم وفيها بركة مربعة تعرف ببركة الوادي ، وبركة مدورة لها مصفاة تدعى هرار، والهرار هي ادواء الابل ، ويعني استطلاق بطنها ، كما يوجد فيها عدد من الابار الغليظة المياه (٣) ، وعلى مسافة اثني عشر ميلا من افيعية

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٤ : ٣١) ، البلادي : معجم معالم الحجاز (٤ : ٢٢٧-٢٢٨) ، حمد الجاسر : المرجع السابق (٢ : ٨٦٥) .

(٢) قدامه بن جعفر : المصدر السابق (ص١٨٦) ، ياقوت الحموي المصدر السابق (٥ : ٢٧٢) .

(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ٣٩٦) .

قريبا من المشرق ، بركة تدعى الكبوانة ، وهي المتعشى وبها قصر وبيــوت وحوانيت وآبار ماء . كما انه على مسافة ستة عشر ميلا من افيعية ايضا بركـة تسمى العموس، ويوجد ايضا آبار وقصر على مسافة نصف ميل منهـــا ويوجد على يمين الدرب عند الميل الخامس من البريد علمان احد همــا لطريق البعث لمن لا يريد المرور بالمَسْلح ، وفيه قصر وبركة حفرها على بـن عيسى . والبعث جبل ليس بالمرتفع ، وقد حفر ابو جعفر المنصور بالبعــث بركة تقع وسط الوادي وتعرف ببركة امير المؤمنين .

وفي افيعية يذكر احمد بن عمرو مايلي عن اعمال ام جعفر بها :

وبيننا ذات نوال مُغْنيــةْ   تعطي ولا تحسب تلك الاعطية
ولا تزال للكثير مجزيــة   اجرتْ لمن حج مياهاً مرويــة (١)

(٢٥) ومن الافيعية ينتقل الركب الى المَسْلح والمسافة بينهما حوالي ستة وعشرون ميلا ونصف الميل ، وهو موضع من اعمال المدينة ، ويقصــد بالمسلح مسلحة الجند (٢). وتقع المسلح عند خط ٢٢/٢٨ شمــالا ٤٠/٤٠ شرقا وهو احد المحطات الكبرى ، وقد حول ابو جعفـر

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٤) .
(٢) ياقوت : المصدر السابق (٥ : ١٢٨-١٢٩) ، محمد بن بلهيــد : صحيح الاخبار (٥ : ٩١) .

المنصور الطريق اليه بعد ان كان يمر بالبعث فعمر به القرية .

وبالمَسْلح قصر ومسجد وبركة مربعة لها مصفاة ، في وسط الطريق وبركة اخرى لمسرور الخادم حيال القصر ، كما توجد به عدة آبار [1] .

وقد جاء في وصف البركة المربعة التي توجد في المسلح عند المسح الاثري لدرب زبيدة من قبل بعثة مجلة اطلال مايلي :

بركة مربعة بابعاد ٥٥ × ٥٥ م ويبلغ سمك جدارها ١٠ر١ م مليئة بالرمال ، ويفصلها جدار عن المصفاة التي ابعادها ٥٥ × ٥ر١٣ م ، ولها ثلاثة مداخل ، اثنان في الجدار الجنوبي الشرقي ، والثالث في الجدار الجنوبي الغربي يشتمل على بقايا قناة بطول ٣٥ م .

ويدخل الماء من المصفاة الى البركة من الزاويتين الشرقية والغربية وتحتوي البركة والمصفاة على دعائم خارجية دائرية في الزوايا ، ونصف دائرية في الجدران ، وبعض الدعائم الدائرية فوق اساسات مربعة والجدار الشمالي الغربي للبركة متهدم تماما ، ولم يبق منه سوى آثار الاعمدة .

اما الابار فتوجد في الموقع ستة آبار ، منها خمس مطوية بالحجر ولا تزال تستعمل الى الان . ويبلغ قطر الواحد منها ١ م . والبئر

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٤) .

السادسة مطوية بالحجر، ومليئة بالرمال ، ويصل قطرها ٣م وتقع جنـــــوب البركـــة [(١)].

وفي المسلح يذكر احمد بن عمرو عن اعمال السيدة زبيدة مايلي :

بنت ابي الفضل تجرت فاربحـــــي
وبعثاموالا بحظ المفلـــــح
في حفر بئر لو جرت لم تـــــنزح
وعين ماء اجريت في صحصـــح
حتى انتهى الى حياض الابطـــح
يروي لذى حج ، ومن لم يبرح [(٢)]

ويوجد على مسافة تسعة اميال من المسلح بركة يقال لها المعتـــق والمعتق في اللغة من اعتق الرجل اذا عدا واسرع، والمعتق ايضا هــو السابق المتقدم، وبلد معتق اى بعيد [(٣)]. كما تدعى هذه البركة ببركـــة عوازل ، والعوازل اكام صغار [(٤)].

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال (٣ : ٥٠-٥١) ١٣٩٩هـ.
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٤) .
(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ١٥٩) .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٥) .

(٢٦) ثم يمتد الدرب الى الغمرة ، والمسافة اليها سبعة عشر ميلا ، والغمرة في اللغة الماء الكثير، المغرق وسميت بذلك لكثرة آبارها وبركها .

ويذكر ابن رسته انها منزل يحرم منها حجاج المشرق الا الجمالين فانهم يحرمون من ذات عرق[1] .

وفي الغمرة فجرت السيدة زبيدة عيناً في صخرة ليشرب منها الحجاج ، فقد ورد في تنزيلة ام جعفر مايأتي :

لم تخل من خلافة وامرة	احيت ذوي الحج ، واهل العسرة
ففجرت عينا لهم في صخرة	والله يعطي جازيا ، بقدره[2]

والغمرة فاصل بين نجد وتهامة . وازاء الغمرة توجد وجره ووجرة هذه على جادة الطريق من البصرة[3] الى مكة ، وهي مايعرف الان بالخرابة[4] .

---

(١) ابن رستة : المصدر السابق (ص ١٧٩) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص٥٥٤-٥٥٥) .
(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ٣٦٢) .
(٤) البلادي : معجم معالم الحجاز (٣ : ١٠٨) .

والخرابه هذه تقع عند خط ٢٢/١٢ شمالا و ٤٠/٥٠ شرقـــا شمال شرقي العقيق على بعد احد عشر كيلو مترا منه في منخفض مـــن الارض وتحيط بها بعض التلال ، وتقع شرقي امتداد درب زبيدة ، وهـــي من البرك التي تعود الى درب البصرة [١] .

ويوجد في الخرابة قصر ومسجد وبركتان مربعتان احداهمـــا للرشيد والاخرى لعيسى بن علي ، كما يوجد فيها آبار عذبة ، وبهـــا واد عظيم يصب فيها ويجوزها وهو وادي العقيق [٢] .

وفي العقيق توجد محطة كبرى ، بها عدد كبير من الـــدور والبرك [٣] وعلى مسافة ثمانية اميال من الغمرة ، يوجد جبل ام خرمـــان والخرمان في اللغة الكذب . ومنزلة ام خرمان هي ملتقى حجاج البصـــرة وحجاج الكوفة ، ومن ام خرمان يفترقان ايضا في طريق العودة كـــل الى بلده [٤] .

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال (٢ : ٧١) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٦) .
(٣) لمزيد من التفاصيل انظر مجلة اطلال (٢ : ٧٠-٧١) .
(٤) البلادي : معجم معالم الحجاز (٣ : ١١٥-١١٦) ، معالم مكـــة التاريخية والاثرية (ص ٩٣-٩٤) .

وعلى جبل ام حزمان علم ومنظرة ، يوقد عليها نار لهداية المسافرين وفي ذلك يقول احد الحجاج :

يا ام حزمان ارفعي ضوء اللهب ان السويق والدقيق قد ذهب

وعند الجبل بركة تدعى بركة اوطاس . والاوطاس جمع وطيس وهو التنور ، وقيل الوطيس نقرة في حجر توقد تحتها النار فيطبخ فيه اللحم ويقال وطست الشيء وطسا اذا كدتته واثرت فيه . واوطاس وادي من ديار هوازن ، وفيه كانت وقعة حنين ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم " الان حمي الوطيس " وذلك حين استعرت الحرب (١) . وباوطاس قصور وابيات وحوانيت وبركة ومسجد يقال له مسجد عائشة (٢) .

وعلى بعد ثمانية عشر ميلا من الغمرة يوجد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يعرف باسم مسجد نجد ، وهو الميقات للاحرام وهو اول تهامة .

(٢٧) ويسير ركب الحجيج من الغمرة مسافة عشرين ميلا فيصل الى ذات عرق ، وهي التي يطلق عليها اليوم النخلة الشامية ، وذات عرق جبل يشرف على وادي الضريبة .

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق (١ : ٢٨١) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٧) .

والضريبة مفرد ضرائب، وهي هضاب باعلى ذات عرق .

وقد غلب عليها اسم الضريبة ، ونسي اسم ذات عرق .

والضريبة في اللغة الغلة تضرب على العبد وغيره فيؤدى شيئا معلوما . كما ان الضريبة قد تأتي بمعنى الصوف الذى يضرب بالمطرقة والضريبة تأتي ايضا بمعنى الطبيعة ، ويقال انه لكريم الضرائب .(١)

ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ذات عرق ميقاتا لاهل المشرق (٢). وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها ، وانما اتجه الى رهاط، ورهاط موضع على بعد مسيرة ثلاثة ليال من مكة وهي لبني سعد بن مسروح (٣).

وهناك حديث يروى حارثة تسمية ذات عرق ونزول الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد روى الحديث عبد الله بن رباح بن الاحوص قال اخبرني كثير بن يحيى بن سواده عن ابيه قال " اقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اشرف على ثنيه مسجد النجد فصلى به ، واشرف على قرية ذات عرق ، وكان يقال لها عرق ذات، فسال عنها ، ثم جنب عنها ، ولم

(١) عاتق البلادى : معجم معالم الحجاز(٥ : ١٩٩-٢٠٠) ، معالم مكة التاريخية والاثرية (ص١٨٣-١٨٤) ، (٢٦٠-٢٦١) .

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٧-٣٤٩) .

(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٤ : ١٠٧-١٠٨) .

يدخلها وقد سماها الرسول صلى الله عليه وسلم ذات عرق .

وسار حتى ورد قرية يقال لها رهاط، فوقف بناقته ، وضرب عصاه فانبط عينا[(١)] .

وبذات عرق قصر ومسجد ، وبركة تعرف ببصير الوصيف ، وهي مربعة وهناك ايضا بركة زبيدية مدورة ، وعدد كبير من الابار[(٢)] .

وتقع الضريبة عند خطي ٢١ / ٥٦ شمالا و ٤٠ / ٢٥ شرقا وتبعد عن قرية الضريبة الحديثة حوالي خمسة كيلومترات ونصف الكيلومتر وتقع في الجهة الغربية منها .

وقد تم تحديد هذا الموقع حسبما جاء في المسح الاثري الذي قامت به مديرية الاثار عن درب زبيدة ، وقد عثرت المديرية في ذات عرق على قلعتين ومسجد وبركتين مربعتين ، ومجموعة من الابار وهذا الوصف ينطبق تقريبا على الوصف الذي جاء في كتاب المناسك للحربي عن ذات عرق[(٣)] .

كما يوجد على بعد ميلين من ذات عرق عين ماء وآبار ونخل . وعلى مسافة خمسة اميال منها ايضا يوجد قبر ابي رغال . وابو رغال هذا رجل

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٩) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٥٢) .
(٣) لمزيد من التفاصيل انظر مجلة اطلال (٢ : ٦٨) .

كافر من ثمود ، جاء ذكره في حديث بجير بن ابي بجير ، عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" هذا قبر ابي رغال ، وكان امرءاً كافراً ، وكان من ثمود ، وكان يسكن الحرم وانه خرج حتى اذا صار في هذا الموضع مات فدفنوه ، ومعه غصن من ذهب ،فاستخرجوه .(١)

وهناك من يقول بان آبار غال هذا من ثمود ، وانه كان ملكاً ظالماً فرماه الله بقارعة اهلكته نتيجة ظلمه ، وان العرب كانت ترجم قبره في الجاهلية . وهناك من يقول بانه قائد الفيل ، ودليل الحبشة لغزو مكة في حملة ابرهة .(٢)

وتوجد عين للسلطان يقال لها ملحان على مسافة ستة اميال ونصف الميل من ذات عرق ، والملحان في اللغة الكانون ، كأنهم يريدون بياض الارض، حتى تصير كالملح والشب وقال ابن الحائل : ان ملحان جبل يطل على تهامة ، وينسب الى ملحان بن عوف بن مالك بن يزيد بن حمير.(٣)

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٥٢-٣٥٣) .
(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٣ : ٥٣) ، البلادي : معالم مكة (ص ١١٦-١١٧) ، معجم معالم الحجاز (٤ : ٥٨-٥٩-٦٠ — ٦١) ، بلهيد : الموجع السابق (٥ : ٢٥٨) .
(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ١٩٠) .

وفي المسح الاثرى الذي قامت به بعثة اطلال لدرب زبيدة ، يتبين ان هناك موضع يقال له مدرج رقم ٣ اذ انه يوجد مدرجان آخران غيره وهذا الموقع بين الضريبة وبين الغميرة ، وهو عبارة عن طريق جبلي يقع عند خطي ٥١/٢١ شمالا و ٤٠/٢١ شرقا . ويتراوح عرض هذا الطريق مابين ١٥ و ٢٠ متر ، وهو يخترق الجبال ومن الواضح ان هذه الطريق قطعت وتم تمهيدها لمرور قوافل الحجيج خلالها ، وان اعمال القطع لاختراق هذه الجبال تركت آثار كما يبدو واحيانا على شكل مدرج فوق المنحدرات ، بلغ عددها اربع عشرة درجة عريضة ، ويصل ارتفاع الواحدة منها حوالي ٢٥ او ٣٠ سم ، واحيانا يمتد الطريق في خط مستقيم مسافة تتراوح بين ٣٠٠ - ٤٠٠ متر ويحد الطريق على امتداده سور لحمايته ، بينما يوجد جدار آخر لتوجيه المياه عبر الطريق الى مناطق مخفضة تستغل في الزراعة (١) . وبعد ذات عرق بنصف ميل من جهة المشرق نخل وعين ماء للعباس بن محمد (٢) ، وفي ذات عرق يوجد محل المحرم الذي يسمى الحمو (٣) .

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة الاطلال (٢ : ٦٧) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٥٣) .
(٣) البلادي : معجم معالم الحجاز (٣ : ٧٠) .

ومن ذات عرق يتجه الركب الى الغُمَيْر المرحلة التالية بعـــد ان يسير مسافة سبعة اميال . والغمير تصغير غمر وهو الماء الكثير، ويقـــال ايضا ان المكان سمى بالغميرلقلة الحياة فيه (١) .

وتعرف الغُمَيْر باسم غمر ذي كندة ، نسبة الى قبيلة كندة الـــتي نزلت بها اثناء مرورها الى نجد ، وتعرف في الوقت الحاضر باسم مكـــة الرقـــة (٢) .

وبالغمير عين ماء جارية ، وبركة تتجمع فيها ماء العين ، وحوانيـــت كثـــيرة .

وهذا الوصف ينطبق تقريبا على ماجاء في المسح الاثرى لـــدرب زبيدة ، حيث دل البحث على وجود بركة في الوادي تتفرع منها قنـــوات متوازية ومتعامدة ، كما يوجد في الوادي سد شرقي الموقع . وتقع هـــذه المحطة عند خطي ٢١ / ٥٠ شمالا و ٤٠ / ٢١ شرقا .

وقد جاء وصف البركة وقنوات الري كما يلي :

(بركة مربعة الشكل مساحتها من الخارج ٤١ × ٤١م، وسمـــك جدارها ٢٠ر١ م، وتحتوي على درجين بعرض ٥ر١م، في الزاويتـــين

---

(١) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٢١٣) .
(٢) البلادي : معالم مكة (ص ١٨٤، ٢٠٣) .

الشمالية والجنوبية ، وتحيط بها قناة في جميع الجهات، اتساعها متر واحد . وتوجد غرفة تفتيش كبيرة على شكل مربع طول ضلعه ٦ امتار وتتصل بها قناة تحتوي على غرفتين للتفتيش، ويحجز المياه جدار يتجه جنوبا ، ليحول الماء الي البركة ، حيث يتحول الماء الى فرعين ، احدهما يرتبط بالقناة المحيطة بالبركة ، والاخر يتصل بالقناة عند احدى غرف التفتيش، وتخرج من البركة قناة تسير غربا ، لتتصل بدورها بالقناة الرئيسية المتجهة شمال غربي البركة ، ممتدة في خط مستقيم ، ثم تتفرع منها قنوات متعامدة في اتجاهين : اولهما الى الشمال الشرقي والاخر الى الجنوب الغربي ، وهما على شكل زوايا قائمة ، لتغطي مساحة شاسعة تضم بداخلها مباني على شكل قواعد مستطيلة في خطوط مستقيمة ، اشبه ماتكون بغرف التفتيش احيانا ، وتخرج منها قناة متجهة الى جنوب غربي البركة ، ثم تغير أتجاهها بشكل زاوية قائمة الى الجنوب الشرقي ، والبركة والقنوات مبنية بالحجر ، ومطلية بالجبس الابيض .(١)

وعلى مسافة ثلاثة اميال من الغمير ، يوجد موضع يقال له آثال والاثال اسم علم مرتجل من قولهم ، تأثلت بئراً اذا احتفرتها .(٢)

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال (٢ : ٦٦-٦٧) .

(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (١ : ٨٩) ، الحربي : المصدر السابق (ص ٣٥٤) .

وربما تكون الاثال هي نفس الموقع الذى اشارت اليه الخريطـــة الاثرية في مجلة اطلال باسم آبار[(١)] .

ومن الغمير يتجه الركب الى بئر الباثّة التي كانت محطة للحجـاج بعد الغمير، ويقع في وادى الزَّرقاء الذي يعتبر من اكبر روافد النخلـة الشامية[(٢)] .

وبئر الباثة يقع عند خطى ٢١/٤٩ شمالا و ٤٠/٥ر٢١ شرقـا وهي بئر قديمة في الجانب الشرقي من وادى الشامية، قطرها ٦٠ر٣ م ، وعمقها ٦ امتار، بينما يصل ارتفاع المياه فيها حوالى المترين ، وقد بـنى جدار حول فوهة البئر بارتفاع متر واحد لحمايتها[(٣)] .

كما توجد عين يقال لها خيف ابي الخزعلى مسافة ثمانية اميال من الغمير . والخيف ما انحدر من غلظ الجبل ، وارتفع عن مسيل المـاء ويقصد به ايضا الوادى . وبجوارها قصر مبنى بالساج والذهب، ومشرعـه للدواب وعيون ماء .

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال ، (٢ : لوحة رقـم ٤٦) .

(٢) البلادى : معجم معالم الحجاز (٤ : ١٣٣) ، معجم معالـم الحجاز (١ : ١٧١) .

(٣) مشروع استكشاف درب زبيدة ، مجلة اطلال (٢ : ٦٥ - ٦٦) .

وبعد خيف الخز باربعة اميال يصل الركب الى خيف السلام، وبه قصر عظيم من الساج والذهب، وبه بساتين لامير المؤمنين هارون الرشيد ومنازل للناس .

وخيف السلام موضع بالقرب من مكة دون بستان بن عامر في طريق الحج ، وكان قفرا ، فلما حج الرشيد استحسن فضاءه، فبنى عنده قصرا وغرس نخلا في خيف الجبل وسماه خيف السلام . واسمه في الاصل لُوَيَّة ولوية تصغير لِيَّة من لوى يلوى (١) .

ثم يصل الركب الى التّنضُب بعد ان يترك خيف السلام، والتنضب من اعمال مكة يقع باعلى النخلة الشامية وفيها نخل وعين ماء جارية (٢) .

وقد اندثرت التنضب اليوم ، ولكن موقعها بجوار بلدة المضيق ويظهر انها هي نفس عين المضيق الموجودة في الوقت الحاضر، ذلك لان الارض المعروفة بالتنضب اليوم هي من ارض المضيق ، وعين المضيق غير معروفة قديماً الا ماذكر باسم البردان ؛

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٥٤) ، ياقوت الحموى : المصدر السابق (٥ : ٢٦) ، بلهيد : المرجع السابق (٥ : ١٠٣) .

(٢) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٢ : ٤٩) ، الحربى : المصدر السابق (ص ٣٥٤) ، بلهيد : المرجع السابق (٥ : ٢٠٥) .

اذ ان اهل الحجاز كثيراً ماكانوا يسمون العين باسم ويسمون ارضها باسم آخر[١] .

ثم يمتد الدرب الى البرْدان ، والبردان على مسافة ميلين من البستان ، وهو جبل مشرف على وادى نخلة وسمّى بذلك لان الشمس لاتكاد تصيبه ، وفيه عيون ماء كثيرة واحواض وبساتين وقصر[٢] .

كما يوجد عين للسلطان تعرف بالسولتين وهى على مسافة ميل من البستان ويذكرها ياقوت باسم سَوْلة ، وهى قلعة على رابية بوادى نخلة تحتها عين جارية ، وهى لبنى مسعود من هذيل[٣] . وتقع السولتين هذه عند مصب وادى سبوحة بالنخلة اليمانية[٤] .

ووادى سبوحة يصب فى النخلة اليمانية على بستان بن عامر[٥] .

ويقابلها على المحجة نخل لابن ريع وعين ماء لابن ريع يقال لها

---

(١) البلادى : معالم مكة (ص١٠٠) ، معجم معالم الحجاز (٢ : ٤٣) (يذكر انها بعد اجتماع النخلة وليس باعلى النخلة الشامية) .

(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٥٤) ، ياقوت : المصدر السابق (١ : ٣٧٥) . وربما تكون البردان هى العلوية . ولمزيد من التفاصيل انظر مجلة اطلال (٢ : ٦٢ - ٦٣) .

(٣) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٥٥) حاشية ٣ (سوله لا تزال معروفة) .

(٤) البلادى : معالم مكة (ص ١٣٩) ، معجم معالم الحجاز (٤ : ٢٥٣) .

(٥) البلادى : معجم معالم الحجاز (٤ : ١٦٨) .

العربة وقد ذكرها ياقوت بعربة، وقال انها قرية في اول وادي نخلة.(١)

(٢٨) ثم يرحل ركب الحجيج الى البستان، ويقول ابن خرداذبه : ان البستان هو بستان بن عامر.(٢) في حين ان الحربي توقف عن ذكر اسمه.

لكن ياقوت يذكر ان البستان هو بستان ابن معمر بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تميم بن مره بن كعب بن لوى بن غالب، وهو ملتقى النخلتين اليمانية والنخلة الشامية وهما واديان لهذيل.(٣)

ومن البستان يتجه الركب الى ام السليم، وام السليم موقع من مواقع درب زبيدة تقع عند خط ٢١/٢٩ شمالا، ٤٠/٤ شرقا على بعد كيلو متر واحد غربي قرية سالة على طريق وادي اليمانية. ويتكون الموقع من بركة وحائط يشغلان مساحة صغيرة، وحديقة مسورة تسير موازية للدرب، وتتخللها عدة قنوات متصلة بالبركة.(٤)

---

(١) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٩٦).
(٢) ابن خرداذبه : المصدر السابق (ص ١٣٢).
(٣) ياقوت : المصدر السابق (١ : ٤١٤)، البلادي : معجم معالم الحجاز (١ : ٢١٨-٢١٩)، بلهيد : المرجع السابق (٥ : ٢٠٠).
(٤) مشروع استكشاف درب زبيدة، مجلة اطلال (١ : ٦٧-٦٨).

ثم يسير الركب فيصل الى المدرج رقم ٢ لان هناك مدرجان آخران يقع المدرج رقم ٢ عند خط ٢١ /٣٧ شمالا ٤٠ /٥ شرقا على بعد كيلو متر واحد شمال غرب سالة، على الطريق الرئيسي لوادي اليمانية [1]، كما يطلق على هذا المدرج اسم مدرج الناقة [2]. ومن المدرج رقم ٢ يتجه الركب الى وادي حرض، ثم الى مسمار، ثم الخشنة، والوشيدي ثم الى البرود، ثم ضرائب ابي نواس [3]، ثم الى ثيبر وحراء، ثم الى المُقَطّع وهو منتهى الحرم ويقع على مسافة تسعة اميال، وهو مقلع الكعبة وسمي بذلك لقطع بعض احجار الكعبة منه . كما قيل ان المقطع سمي بذلك لان اهل الجاهلية كانوا اذا خرجوا من الحرم للتجارة اوغيرها من الامور، علقوا في رقاب ابلهم لحاء من لحاء شجر الحرم، فاذا رجعوا ودخلوا الحرم قطعوا تلك اللحاء في هذا المكان ولذا سمي بهذه التسمية [4] والمقطع هو الجبل المشرف على ثنيّة خَل، اول حدود الحرم على طريق النخلة اليمانية شمالي مكة المكرمة .

---

(١) مشروع استكشاف درب زبيدة، مجلة اطلال (١ : ٦٥) .
(٢) البلادي : معالم مكة (ص ٢٩٤) .
(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه الاماكن انظر مجلة اطلال (١ : ٥٠-٦٢) .
(٤) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٨٢-٢٨٣، ٢٨٨) ، البلادي : معالم مكة (ص ٢٨٧) .

(٢٩) وبوصول الركب الى مكة المكرمة يكون قد بلغ نهاية مقصده ، وعندها ينتهي الدرب المعروف بدرب زبيدة ، والذى يعرف ايضا باسم درب المنقى اى المنقى من الحصى والحجارة(١) .

هذا ولم تقتصر اعمال السيدة زبيدة على المشاريع التى قامت بها في الدرب الذى يسلكه ركب العراق والذى عرف باسمها فيما بعد ، وانما امتدت اعمالها ايضا الى الطريق الذى يسلكه الحجاج بعد اداء فريضة الحج ، من مكة المكرمة الى المدينة المنورة . اذ يتضح من الارجوزة التى انشدها احمد بن عمرو للسيدة زبيدة عندما كان مرافقا لها في اداء فريضة الحج ـ والتى عرفت بتنزيلة ام جعفر ـ وقد سبق لنا الحديث عنها ، ان السيدة زبيدة بعد ادائها فريضة الحج اتخذت في عودتها من مكة المكرمة الى المدينة المنورة الطريق الذى يسلكه ركب الحجاج المصريين والشاميين ، والذى يبلغ طوله مائتي ميل(٢) .

اذ ان الركب العراقى بعد ان ادى طواف الوداع خرج وفى مقدمته السيدة زبيدة من مكة الى بطن مَرَّ ، ومنها الى عُسْفَان ، ومنها الى

---

(١) البلادى : معالم مكة (ص ٢٩٤) .
(٢) انظر الحربى : المناسك (ص ٤٢٥ - ٤٦٨) (الطريق بين مكة والمدينة) .

قُدَيْد ، ومنها الى الجُحْفة (ميقات اهل الشام) ومنها الى الابْوَاء ، ومنها الى السُّقيا ،ومنها الى الرَّوْحاء ، ومنها الى السَّيَالة ومنها الى مَلَل ومنها الى المدينة المنورة[١] .

وفى تتبعنا لتنزيلة ام جعفر بابياتها التى انشدت فى الطريق من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، حسب الوصف الذى اوردناه يتضح لنا منها انه ينسب اليها القيام باجراء الماء وباجراء المزيد منه تيسيرا على الحجاج فى قُدَيد ، والجُحفة ، والابواء ، والسُّقيا ، والرَّوحاء .

فمن قديد ورد فى التنزيلة مايأتى :

بالخصب والماء ولحم الصيد
وكل خيرٍ يُرتجى ، وفيد
من ابنة المنصور ذات الايدى
ضامنة الدَّين ، وفك القيد[٢]

وقد ورد فى وصف قديد ان فيها آبارا كثيرة العدد ، وبها بركة

---

(١) الحربى : المناسك (ص ٥٥٧-٥٦٠) ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٧ - ٣٣٨) .
(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٥٥٨) .

وعلى ميل منها اربعة آبار مطوية بخشب .(١)

وقد ورد في التنزيلة عن الجحفة مايأتي :

ثم ارتحلنا فأتينا الجحفة	بين صخور جمة ملتفة
قد كان فيها العذب هراطرفه	ومنية العطشان منه غرفة
ثم اغيثت ثانيا بعطفه	من ذات بر وندى وعفة
فاصبحت اسواقها مصطفة	على رواء سائل ، والفنه (٢)

وقد ذكر في وصف الجحفة ، ان بها بركة والى جانبها حوض وآبار كثيرة ، وعين في بطن الوادى عليها حصن وبابان ، وداخل هذا الحصن منازل وسوق .(٣)

وعن الابواء ورد في التنزيلة مايأتي :

تحمل في قبتها العلواء	سيدة منها الوفاء مالوا
سماؤها صادقة الانواء	ابقت بارض جدبة قواءِ
غدير ماءٍ واسع رَواء	فلارأت شيئاً من الاسواء (٤)

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص٤٦٠) ، ياقوت : معجم البلدان (٤ : ٣١٣) .

(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٥٥٨) .

(٣) الحربى : المناسك (ص٤٥٧) ، ياقوت (١ : ٧٩-٨٠) .

(٤) الحربى : المصدر السابق (ص ٥٥٨) .

وقد جاء في وصف الابواء ان فيها قصر وقربه بركة موبعة[١] .
وعن السقيا ورد في التنزيلة مايأتي :

بنت ملوك اورثوها هديا — ليس على المال لها من بقيا
تنفقه في طعم وسقيا — وفي كسا من كان يشكوالعويا
فالطرق بعد الله منهاتحيا — والله يجزي بالايادي العليا[٢]

وفي وصف السقيا ذكر ان بها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم جانب الجبل ، وعنده عين وهي تجري الى صدقات الحسين بن زيد وعليها نخل كثير ، فانقطعت ثم عادت في سنة ثمان واربعين ، ثم انقطعت في سنة اثنتين وخمسين ، ثم عادت ، ثم رأيتها[٣] قد انقطعت سنة اربع وسبعين ثم عادت[٤] . ومن الجائز ان تكون عودتها على يد السيدة زبيدة .
وعن الروحاء قال احمد بن عمرو في تنزيلة ام جعفر :

ساقي الحجيج ، ذي اليد المعطاء
احسنت لهم كالمزنة الدلحاء
بماء عين لهم سحاء — في ظلمة الليل ، وفي الضحاء[٥]

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص٤٥٤) ، ياقوت الحموي : المصدر السابق (١ : ٧٩-٨٠) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٩) .
(٣) الضمير هنا عائد على الحربي .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٤٥١) ، السمهودي : المصدر السابق (٤ : ١٢٣٤) . انظر وصفها ايضا في معجم البلدان (٤ : ٢٢٨) .

بماء عينٍ لهم سَحّــــاء   في ظلمة الليل وفي الضّحاء(١)

وفي وصف الروحاء ورد ان بها آبار وسواقي وحياض، وهي لمزينــة وبها قصران كبير وصغير، وبها آبار كثيرة معروفة ، منها بئر لعثمان بـــن عفان ، وبئر لعمر بن عبد العزيز ، وبركتان يعتقد انهما لمحمد بن زبيدة(٢) .

ومن المرجح ان هاتين البركتين من عمل السيدة زبيدة ، وانهـــا اسمتها باسم ابنها محمد .

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٥٥٩) .

(٢) الحربي : المناسك (ص ٤٤٥) ؛ السمهودي : المصدر السابـــق (٤ : ١٢٢٣) ، ياقوت : معجم البلدان (١ : ٧٦) .

(ب) اعمال الخلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة العباسية في طريق الحج العراقي .

هذا الطريق الطويل الموغل في الصحراء حيث الجفاف والقيظ والعطش، فضلا عن المخاطر والمتاعب التي كانت تحيط بسالكيه ، كان موضع الاهتمام والعناية من قبل الخلفاء .

ويعتبر الخليفة الاموي يزيد بن عبد الملك اول خليفة اهتم بطريق الركب العراقي . فقد امر في سنة ١٠٤ هـ عامله على الكوفة عمر بن هبيرة بتعبيد هذا الطريق ، وتوفير المياه للحجاج فيه ، وضرب الاميال من الكوفة الى مكة المكرمة لمساعدة الحجاج على اجتيازه (١) .

ولما تولى العباسيون الخلافة اهتموا اهتماما كبيرا بهذا الطريق الذي يربط بلاد العراق مركز خلافتهم بالاراضي الاسلامية المقدسة

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (٥ : ٣٠٦) ، وعن اهتمامات الخلفاء الامويين بطرق الحج عامة وتيسير سلوك الحجاج لها انظر :
Saad A. Al-Rashid: Op. cit, pp.8-16.
(اعمال الوليد بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، هشام بن عبد الملك ، والحجاج بن يوسف الثقفي . يلاحظ انه لا ينسب - على وجه اليقين - شيء محدد من هذه الاعمال الى طريق الكوفة - مكة المكرمة) .

والذى يسلكه ركب الحج الذى يمثل الخلافة بما لها من ولاية شرعية على المسلمين حيث كان يتقدمه امير الحج ممثلا للخليفة .

ففى سنة ١٣٤هـ امر الخليفة ابو العباس السفاح عامله على الكوفة عيسى بن موسى باصلاح الطريق وبضرب المنار والاميال من الكوفة الى مكة المكرمة ، وبناء القصور على امتداد الطريق فيما بين القادسية وزبالة (١) .

اما ابو جعفر المنصور فقد امتدت عنايته بهذا الطريق الى بناء القصور والمساجد والبرك والابار فى مواقع كثيرة منه ، فضلا عن تعبيده وتوزيع الهبات والعطايا على الاعراب المقيمين على امتداد الدرب (٢) .

ومن اهم اعماله حفر بئر فى الثعلبية يدعى العسيلة ، وبئر يعرف بالخضراء فى العمق وبجانبه قصر ومسجد وبركة فى بطن الوادى فى المسلح تعرف ببركة امير المؤمنين ، كما امر ببناء قصر فى الخزيمية يعرف

---

(١) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ١١٦) ، ابن الاثير : المصدر السابق (٦ : ٣٤٤) ، الجزيرى : المصدر السابق (ص ٢٠٩) .

سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدرب الحج (ص ١٨) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٣٦٨) .

بالقصر العتيق.[(١)]

واتبع ابنه المهدى سيرته فى اصلاح الطريق والعناية به. فقد امر ببناء القصور على طول الطريق وان تكون هذه القصور اكثر اتساعا من القصور التى كان ابو العباس السفاح قد امر ببنائها من القادسية الى زبالة. كما امر بتوسعة قصور ابى العباس السفاح وترك قصور ابى جعفر المنصور على حالها وباتخاذ المصانع عند كل منهل، وبتجديد الاميال والبرك، وحفر الركايا مع المصانع.[(٢)]

كما ينسب الى المهدى حفر بئر فى بطان اسمها سحمة، وبئر فى الثعلبية تعرف ببئر المهدى، وبئر تدعى الباردة فى فيد، وبئر فى توز، وفى الحاجر بئران على كل منهما حوض، وبئران بالربذة.[(٣)] كما تنسب الى المهدى بركة فى الثعلبية وينسب اليه ايضا بناء مسجد فى ذات عرق. وقد اسند المهدى كل هذه الاعمال الى يقطين بن موسى عامله على الطريق، والذى اشرف عليه عشر سنوات، ثم تولى ذلك بعده

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٩٥-٣٣٢-٣٤٤).
(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٣٦٨)، ابن الاثير: المصدر السابق (٥ : ٦٠)، الجزيرى : المصدر السابق (ص٢١٦).

(٣) الحربى : المصدر السابق (ص٢٨٨، ٢٩١، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٨، ٣٢٨).

اخوه ابو موسى (١) .

وفى عام ١٦٤ هـ تعرض الحجاج فى هذا الدرب الى العطش الشديد حتى كادوا ان يهلكوا ، فغضب المهدى على يقطين بن موسى لانه لم يوفر المياه فى الدرب بصفته المسئول عنه ، وامر بزيادة عدد الابار فيه (٢) .

كما امر فى السنة التالية بانشاء محطات للبريد بين المدينة ومكة وبين مكة واليمن لكى يكون على علم باحوال الحجاج فى الحج ومايلاقونه من صعوبات فى سلوكهم لها (٣) .

وفى عهد الخليفة هارون الرشيد ازدادت العناية بهذا الطريق ومن امثلة هذه العناية انه عندما حج ماشيا فى سنة ١٧٧ هـ مهدت الطريق وقسمت الى مراحل ، وحفرت الابار ، واقيمت الدور على امتداد الطريق من اجل راحته .

كما اقيمت له قصور وبساتين فى كل من خيف السلام ، والبردان وفى

---

(١) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٣٦٨)

Saad A. Al-Rashid: Op. cit., p.18 note 7.

عن يقطين بن موسى وماينسب اليه من اعمال فى درب زبيدة . انظر فيمابعد .

(٢) الجزيرى : درر الفوائد (ص ٢١٧) .

Saad A. Al-Rashid: Op. cit., pp.18-19.

(٣) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٣٨٨) .

Saad A. Al-Rashid: Op. cit., p.17.

المعدن ، كما بنيت بهذه المناسبة بركة مربعة في الغمرة [(١)] .

ولعل اهم ماينسب الى الرشيد - في هذا الصدد - انشاء الطريق الفرعي بين المدينة والربذة ، على طريق الكوفة - مكة ، وطول هذا الطريق الفرعي ١٠٢ ميل [(٢)] .

ولم يقتصر الاهتمام والعناية بهذا الدرب على الخلفاء العباسيين فقط [(٣)] ، وانما تعداهم الى امراء بني العباس، وكبار رجال دولتهم من قادة وولاة وتجار [(٤)] .

فمن امراء بني العباس الذين اهتموا بهذا الدرب عيسى بن علي ابن عبد الله بن العباس عم الخليفتين السفاح والمنصور ، وقد اهتم عيسى بن علي بطريق الحج العراقي وبتوفير المياه فيه ، فامر ببناء بركة في المسلح

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص٣٣٣، ٣٤٦، ٣٥٤) .

Saad Al Al-Rashid: Op. cit, p.20.

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص٣٣٠) .

Saad Al-Rashid: Op. cit, p.20-21.

(٣) قل اهتمام الخلفاء العباسيين ، بعد الرشيد بهذا الطريق ولم تشر المصادر الى ماقام به هؤلاء الخلفاء حتى العصر السلجوقي الا اشارات مقتضبة . وعما ينسب في هذا الصدد من اعمال الى المأمون ، والواثق ، والمتوكل ، والمقتدر ، والسلطان السلجوقي ملكشاه . انظر

Saad A. Al-Rashid: Op. cit., pp.21-31.

(٤) عن اعمال كبار رجال الدولة العباسية في درب زبيدة انظر :

Saad A. Al-Rashid: Op. cit., pp.36-45.

تعرف ببركة عيسى ، وبركة مربعة فى الغمرة كما امر بانشاء قصر فى المسلح[(١)] .

اما اخوه عبد الصمد بن على الذى اسندت اليه ولاية مكة المكرمة سنة ١٤٧هـ، وولاية المدينة المنورة سنة ١٦٥هـ، وولاية الجزيرة سنة ١٦٢هـ ، وولاية البصرة فى خلافة الرشيد[(٢)] ، فضلا عن توليه امرة الحج نيابة عن الخليفة فى سنة ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٧٢هـ[(٣)] . فان اهتمامه بهذا الطريق يتمثل فيما ينسب اليه من بناء بئر ومسجد فى فيد تعرف بالملاقبين ، وبناء مسجد فى اوطاس يعرف بمسجد عائشة[(٤)] .

كما ان عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عم الخليفتين السفاح والمنصور[(٥)] ، الذى تولى امارة الكوفة فترة طويلة من الزمن ، وتولى امرة الحج نيابة عن الخليفة السفاح سنة ١٣٤هـ، ونيابة

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص٣٤٤ - ٣٤٦) .
(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، ٣٧٢) ، ابن كثير : المصدر السابق (١٠ : ١٨٦) .
(٣) عن توليه امرة الحج لعبد الصمد بن على انظر الطبرى (٦ : ٢٨٨) .
(٤) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٠٩ - ٣٤٧) .
(٥) عن عيسى بن موسى ولى عهد المنصور ، ثم ولى عهد ابنه المهدى من بعده وتنحيته عن ولاية العهد ، وعن المهام العظيمة التى كلفه بها الخليفة المنصور ، انظر الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٠) ومايليها .

عن الخليفة المنصور سنة ١٤٣ هـ،[(١)] فينسب اليه بناء بئر في الربذة، وانشاء طريق فرعي معبد بالحجارة بين حازة وصفينة[(٢)].

كما اهتم ابنه موسى[(٣)] بهذا الطريق، فامر ببناء بركة في فيد ليستقي منها الحجاج وقت نزول المطر، كما امر ببناء بركة اخرى في محطة البطان[(٤)].

وينسب الى علي بن عيسى بناء بركة وقصر في البعث، وهو طريق فرعي يمر بالمسلح[(٥)].

ويذكر الدكتور سعد الراشد ان علي بن عيسى ربما يكون هو علي بن عيسى بن ابي جعفر المنصور الذى تولى امرة الحج نيابة عن الخليفة في

---

(١) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ١٥٥) .

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٣٥) ، سعد الراشد : شخصيات اسلامية اسهمت في عمارة طريق الحاج من الكوفة الى مكة المكرمة مجلة كلية الاداب جامعة الرياض، المجلد الخامس ١٩٧٧ / ١٩٧٨ (ص ٥٧ - ٥٨) .
عن حاذة وصفينة انظر قبل وصفنا لمراحل الدرب .

(٣) موسى بن عيسى بن موسى احد امراء العباسيين الذى اشتهر امره في خلافة الرشيد فقد اسندت اليه امارة مصر وسورية والبصرة ومكة والمدينة كما تولى امرة الحج في بعض مواسم الحج . انظر عنه الطبرى (٦ : ٤٤٥ ، ٤٧٠ - ٤٧١) .

(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٩٣ - ٣٠٤) .

(٥) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٤٣) .

سنتى ٢٢٨، ٢٣٩ هـ .[1]

كما ينسب الى كبار رجال الدولة العباسية من قادة وولاة الكثير من الاعمال فى هذا الدرب .

واول هؤلاء ابو مسلم الخراسانى ، الذى اهتم بهذا الدرب وعندما حج فى سنة ١٣٦ هـ ، فقد حفر الابار ، وسهل الطرق ووزع الاعطيات على الاعراب الذين يسكنون على امتداده .[2]

ومن الشخصيات البارزة فى الدولة العباسية التى اهتمت بهذا الطريق يقطين بن موسى الذى كان عاملا على الطريق من قبل الخلفاء العباسيين المهدى ، والهادى ، والرشيد . وكان بحكم منصبه هذا مسئولا عن امن الطريق وانشاء وترميم المصانع والابار والمنازل[3] . واليه ينسب حفر بئر فى العمق ، وقد عرفت باسمه اذ انه حفرها من امواله الخاصة .[4]

---

(١) سعد الراشد : شخصيات اسلامية اسهمت فى عمارة طريق الحاج من الكوفة الى مكة . كلية الاداب ، جامعة الرياض ، المجلد الخامس ١٩٧٧ (ص ٦١) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ١٢٨) .

(٣) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٣٦٨ - ٣٧٩) .

(٤) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٣٣) .

والى القائد خزيمة بن خازم النهشلي[١] تنسب للخزيمية ، وهـــي منزل بين الثعلبية والاجفر، وقد بني فيها مسجدا، ومنارة،[٢] وبركة وآبــارا يسقى عليها بالسواني[٣] .

كما قام عبد الله بن مالك الخزاعي ، احد كبار القادة العسكريين في عهد الخلفاء المهدي ، والهادي والرشيد[٤] ، بحفر عدد كبير من الابار والبرك في طريق الحج لينتفع بها الحجاج اثناء سيرهم الى الاراضي المقدسة . فقد بني بركة في بطن الاغر، وهي منزل بين الخزيمية والاجفر . كما بني بركة وحفر بئرا في القرائن ، والقرائن متعشى بين فيد وتوز، وحفر بئرين بالقرب من توز تعرفان بالحفرتين ، وبئرا بالقرب من

---

(١) هو احد القادة العسكريين البارزين في الدولة العباسية لعب دورا كبيرا في القضاء على الراوندية . كما اسندت اليه ولايات البصرة ، والجزيرة ، وسورية ، وكانت له منزلة كبيرة عند الخلفاء العباسيين . انظر :

Saad A. Al-Rashid: Op. cit, p.32, note 127.

(٢) الحربي : المصدر السابق (ص٣٠٠) .

(٣) ابن رستة : المصدر السابق (ص١٧٩) .

(٤) عن هذا القائد وعما اسند اليه من ولايات واعمال من قبل الخلفاء العباسيين المهدي ، وولديه الهادي والرشيد . انظر: الطبري المصدر السابق (٦: ٤٠٥، ٤٠٨، ٥٠٧، ٥٢٤) .

سميراء تدعى السقيا [1] .

كما قام ابو دلف العجلي عيسى بن ادريس بن معقل [2] ببناء الحاجر [3] كما يذكر قدامه بن جعفر بانه بنى حصنا في فيد [4] .

اما البرامكة فينسب اليهم ككل مجموعة كبيرة من الابار والبرك في طريق الحج العراقي .

ففي زبالة توجد بئر مربعة تعرف بالبرمكية وعليها حوض يعرف بالعتيق .

وفي الخضراء توجد بئر تعرف بالبرمكي ، والخضراء هذه تقع على مسافة ميلين من الثعلبية . كما توجد بئر وبركة في الاجفر تنسب الى البرامكة .

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١٠-٣١١-٣١٢) .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (١٢ : ٤١٦، ٤٢٣) (شاعر اديب اشتهر في خلافتي المأمون والمعتصم ، في خلافة المعتصم تولى ولاية دمشق) .

(٣) ابن رستة : المصدر السابق (ص ١٧٦) ، ابن كثير: المصدر السابق (١٠ : ٢٩٤) ، سعد الواشد : شخصيات اسلامية اسهمت في عمارة دربزبيدة ، كلية الاداب ، جامعة الرياض ، المجلد الخامس ١٩٧٧م (ص ٦٢) .

(٤) قدامه بن جعفر : المصدر السابق (ص ١٨٦) .

وفي العمق ايضا توجد بئر برمكية ، تعرف باسم الروحاء[١] .

والى الفضل بن الربيع تنسب بئر واحدة في فيد[٢] .

والى حسين الخصي وهو احد موالي الرشيد وثقاته[٣] تنسب بركتان على طريق الحج بين للبطان والثعلبية احداهما مربعة الشكل وتدعى سقيا . كما ينسب اليه بناء ثلاثة احبسة على بعد ميلين من توز وقد زودها بمصفاة[٤] .

ومن اعمال مسرور احاجب الرشيد[٥] في طريق الحج العراقي بناء بركة في المسلح ، وبئر في الاجفر ، يطلق عليه اسم المسروري نسبة اليه[٦] .

واما الخيزران بنت عطاء الجرشية[٧] ، زوج الخليفة المهدى وام ولديه الهادى والرشيد ، والتي لعبت دورا كبيرا في خلافتهما[٨] . فاليها

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٨٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٣٢) .
(٢) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٠٩) .
(٣) الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٤٩١) .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٢٩٢-٢٩٣ ، ٣١٢) .
(٥) عن مسرور الخادم ومكانته لدى الرشيد والمأمون والمعتصم انظر : الطبرى : المصدر السابق (٦ : ٥١١ ، ٥٢٨) ، (٧ : ١٢٠ ، ٢٣٢) .
(٦) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٠٢ ، ٣٤٤) .
(٧) نسبة الى جرش - انظر عمر رضا كحالة : المرجع السابق (١ : ٤٠١) .
(٨) الخطيب البغدادى : المصدر السابق (١٤ : ٤٣٠) ، ابن كثير : المصدر السابق (١٠ : ١٦٣) .

تنسب بعض الاعمال فى مكة المكرمة وفى طريق الحج العراقى ، فقد اشترت دار الارقم بن الارقم فى مكة المكرمة ، كما ينسب اليها علم الخيزران فى زبالة ، وبركة مربعة فى الوصيف[1] .

كما قامت خالصة جارية الخيزران والتى نالت حظوة كبيرة لدى الخليفة المهدى وابنه الهادى[2] بالكثير من المشاريع الخيرية فى طريق الحج ، وفى مكة المكرمة والمدينة المنورة . ففى طريق الحج انشأت كثيرا من الابار والبرك والقباب ، فمن ذلك انشاء قباب لجمع الماء فى القاع وفى الطليحة وهى على مسافة عشر اميال من الشقوق . كما انشأت ايضا بركا فى البطان ، بعضها زوّد بمصفاة وبعضها مربعة الشكل[3] .

كما امرت برصف الطريق من بطن الاغر الى الاجفر ، اذ ان الارض ـ هناك كان فيها طين اخضر يتأذى منه الحجاج عند نزول المطر ، وقد جندت لهذا العمل مائة عبد اطلقتهم احرارا بعد انتهائهم منه[4] .

---

(١) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٠١) .
(٢) ابن كثير : المصدر السابق (١٠ : ١٥٨) .
(٣) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٧) .
(٤) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٠١ - ٣٠٥) .

(جـ) اعمال السيدة زبيدة بالدرب .

هذه الشخصيات التي ذكرناها قام كل منها باعمال عظيمة وجليلة في هذا الدرب، الا ان كل اعمالهم لم ترق الى مستوى اعمال السيدة زبيدة العمرانية والخيرية فيه .

فالسيدة زبيدة قامت باعمال ضخمة في هذا الدرب، فاقت بها كل من اتى قبلها ممن قاموا باعمال فيه كالتي اشرنا اليها سابقا ، كما انها فاقت ايضا كل من جاء بعدها ، ونسبت اليه اعمال في هذا الدرب كالخليفة المأمون(1) ، والخليفة المتوكل(2) ، والخليفة المقتدر(3) ، وعمر بن فرج والمسيب بن سليمان المخزومي وبدر بن حسنويه ، وجمال الدين بن منصور الاصفهاني وغيرهم(4) .

---

(١) في سنة ٢١٢ هـ حج الخليفة المأمون ، وقد بنيت له القصور في الطريق ليقيم فيها ، سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، رسالة ماجستير لم تطبع (ص ٦٧) .

(٢) في سنة ٢٤٠ هـ امر الخليفة المتوكل باضاءة الطريق بالشموع . ابن الاثير: المصدر السابق (٥ : ٣٠٥) .

(٣) Saad A. Al-Rashid: Op. cit., pp.26-28.

(٤) سعد الراشد :شخصيات اسلامية اسهمت في عمارة درب زبيدة كلية الاداب جامعة الرياض، المجلد الخامس ١٩٧٧م (ص٦٦-٧٠)

لهذا فالسيدة زبيدة تنفرد دونهم بتسمية هذا الدرب باسمها ونسبة معظم مافيه من منشآت عمرانية اليها(١) .

ولا نغالي اذا ماقلنا ان معظم مافي هذا الدرب من آبار وبرك ومصانع ينسب اليها . فالرحالة ابن جبير، وابن بطوطة اللذان سلكا هذا الدرب ينسبان كل مافيه من مصانع وآبار وبرك الى السيدة زبيدة .

فابن جبير الذى سلك هذا الدرب اثناء ذهابه من المدينة المنورة الى العراق ، بعد ان ادى فريضة الحج سنة ٥٨٠هـ وصف مراحل الدرب من المدينة المنورة الى الكوفة على هذا النحو : (من المدينة المنورة الى وادى العروس ثم الى العسيلة ، ثم الى النقرة ، وبالنقرة آبار ومصانع كالصهاريج العظام . ثم الى ماء القارورة ، وهى مصانع مملوءة بماء المطر ، ثم الى الحاجر والماء فيها بمصانع ثم الى سميره ، ثم الى الجبل المخروق ، ثم الى وادى الكروش ثم الى فيد والمياه فيها بمصانع كثيرة ثم الى الاجفر وهو يشتهر عندهم بموضع جميل وبثينة العذريين ، ثم الى

---

(١) يذكر الدكتور سعد الراشد فى اطروحته ان الحربى ينسب للسيدة زبيدة احدى عشر مكانا امدتها بالبرك والابار، وان ياقوت ينسب اليها اعمالا متعددة مابين قصور وبرك وآبار فى تسع منازل للطريق وان بعضها اشار اليه الحربى فيما نسبه اليها . انظر :

Saad A. Al-Rashid: op. cit., pp.32-33.

لبيداء، ثم الى زرود ، ثم الى الثعلبية وفيها مصنع كبير الدور، من
اوسع ماتكون الصهاريج واعلاها والمهبط اليه على ادراج كثيرة من ثلاثة
جهات . ثم الى بركة المرجوم . وهذه البرك والمصانع والابار ومالمنازل من
آثار زبيدة . ثم الى الشقوق وفيه مصنعان واحد هذين المصنعين
صهريج عظيم الدائرة كبيرها لايكاد يقطعه السابح الا في جهد ومشقة .ثم
الى التنانير وفيه مصنع للماء ، ثم الى زبالة وفيها مصنعان ، ثم الى
الهيثمين وفيها مصنعان للماء ، والطريق كلها مصانع، ورضى الله عن
التي اعتنت بسبيل وفد الله هذا الاعتناء ، ثم الى واقصة وفيها مصانع للماء
ثم الى القرعاء وفيه ايضا مصنع ماء وله ستة مخازن ، وهي صهاريج صغار
تؤدى الماء الى المصانع ثم الى منارة القُرون وبجانبه قصر ومصنع عظيم للماء
ثم الى العذيب، ثم الى الرحبة ثم الى القادسية ثم النجف ثم الى الكوفة (١)).

كما يشارك ابن بطوطة الذى عبر هذا الدرب سنة ٧٢٥ هـ ابن جبير
في نسبة معظم مافي الدرب من اعمال الى السيدة زبيدة ، ففي هذا
الصدد يقول ابن بطوطة : (واقمنا بالمدينة ستة ايام ، واستصحبنا منها
الماء لمسيرة ثلاث ، ورحلنا عنها ، فنزلنا في الثالثة بوادى العروس ، فتزودنا
منه الماء من حسيات يحفرون عليها من الارض ، فينبطون ماء عذبا معينا

---

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير (ص ١٨١ - ١٩٣) .

ثم رحلنا من وادى العروس الى العسيلة ، ثم الى ماء يعرف بالنقرة فيه آثار ومصانع كالصهاريج العظيمة ، ثم الى ماء يعرف بالقارورة ، وهى مصانع مملوءة بماء المطر ، مما صنعته زبيدة ابنة جعفر ، رحمها الله ونفعها . ثم رحلنا من القارورة ، ونزلنا بالحاجر وفيه مصانع للماء ، وربما جفت فحفر عن الماء في الجفار ، ثم الى سميرة ، ثم الى الجبل المخروق ، ثم الى وادى الكروش ، ثم الى حصن فيد ، وهو نصف الطريق من مكة الى بغداد . ثم رحلنا الى الاجفر ، ويشتهر باسم العاشقين جميل وبثينة ثم رحلنا الى البيداء ، ثم الى زرود ، ثم رحلنا ونزلنا الثعلبية ولها حصن خرب بازائه مصنع هائل ، ينزل اليه من درج ، وبه من ماء المطر ما يعم الركب ، ومن هذا الموضع الى الكوفة ثلاث مراحل ، ثم رحلنا فنزلنا ببركة المرجوم ، وبهذا الموضع مصنع كبير ، يعم جميع الركب ، مما بنته زبيدة رحمة الله عليها . وكل مصنع او بركة او بئر بهذه الطريق التي بين مكة وبغداد ، فهي من كريم آثارها ، جزاها الله خيرا ووفى لها اجرها ولولا عنايتها بهذه الطريق ، ماسلكها احد . ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالشقوق ، فيه مصنعان بهما الماء العذب ، ثم رحلنا الى موضع يعرف بالتنانير ، وفيه مصنع ممتلىء بالماء ، ثم الى زبالة ، وهى قرية معمورة فيها قصر للعرب ، ومصنعان للماء وآبار كثيرة ، ثم رحلنا الى الهيثمين وفيه مصنعان للماء ، ثم رحلنا الى العقبة المعروفة بعقبة

الشيطان ، ثم الى واقصة وفيها قصر كبير ، ومصانع للماء ، وهو آخر مناهل هذا الطريق ، ثم الى بلورة وفيه مصنع كبير للماء ، ثم نزلنا موضعا يعرف بالمساجد ، فيه ثلاث مصانع ، ثم نزلنا بموضع يعرف بمنارة القرون ، وهي منارة في بيداء من الارض ، بائنة الارتفاع ، مجللة بقرون الغزلان ، ولا عمارة حولها ، ثم نزلنا موضعا يعرف بالعذيب ، ثم نزلنا القادسية ، ثم رحلنا الى مدينة مشهد)(١) .

اما الجزيرى صاحب كتاب درر الفوائد المنظمة ، فيذكر انه في سنة ٢٠٨ هـ ، حجت السيدة زبيدة ، بنت ابى جعفر ، زوجة هارون الرشيد وامرت بحفر الابار بين واقصة والثعلبية ، واصلحت بئر الاجفر ، وامرت كذلك ببناء البرك على طول طريق الحج العراقى لتجمع مياه الامطار في هذه البرك ، من اجل الاستفادة منها في سقى الحجاج ، على طول الطريق وقامت بتوزيع اعطيات وهدايا على سكان المدينة(٢) .

وفي الحقيقة ان السيدة زبيدة قامت بالكثير من المشاريع العمرانية في هذا الدرب من حيث انشاء القصور والمساجد والبرك والمصانع والابار . واذا كنا قد اوردنا بعض النصوص نقلا عن ابن جبير

---

(١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (ص١٧٣-١٧٦) .
(٢) الجزيرى : درر الفوائد (ص ٢٢٦) ، زينى دحلان : خلاصة الكلام (ص ٤٨) .

وابن بطوطة والجزيرى والتى تنسب اليها معظم مافى الدرب من اعمال فان هذه المصادر اسعفتنا بتحديد ماينسب اليها فيه من اعمال على وجه اليقين .

فمن القصور العديدة التي انشأتها السيدة زبيدة على طول الدرب قصرٌ بين المغيثة والعذيب .(١)

وقصرا فى الهَيْثَمُ ، والهيثم موضع بين زبالة والقاع ويبعد عن القاع بحوالى ستة اميال . وقصْر يبعد عن الشقوق بمسافة ثلاثة اميال وقصر عند البريد فيبطان . وقصْر يبعد عن الخزيمية باربعة اميال.(٢) كما يوجد فى فَزْوَرَتى قصر ينسب الى السيدة زبيدة ايضا . وعلى مسافة ستة اميال من النقرة يوجد قصر لام جعفر فى المحدث .(٤)

ومن المساجد التي امرت السيدة زبيدة بانشائها مسجدٌ فى الزبيدية وهى موضع بين المغيثة و العَذيب .(٥) ومسجدٌ فى الهيثم ، ومسجد فى الرُستمية .(٦)

---

(١) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ١٣٢) .
(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨) .
(٣) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٤ : ٣٣٤) .
(٤) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٥ : ٦٠) .
(٥) ياقوت : المصدر السابق (٣ : ١٣٢) .
(٦) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٨٢ ، ٢٨٩) .

كما اهتمت السيدة زبيدة ببناء البرك على طول الطريق المؤدى الى مكة المكرمة .

فقد أمرت ببناء بركة بين المَغيثة والعُذَيبَ وقد اصبح يطلق على هذه البركة وماجاورها من مواضع اسم الزُّبَيْديّة (١) .

كما امرت ببناء بركة لها مصفاة فى الهيثم (٢) .

وفى الشقوق نفسها بنت السيدة زبيدة بركة مدورة بمصفاة . وعلى بعد ستة اميال من الشقوق ، وفى منطقة تدعى الرستمية بنت بركة اخرى يطلق عليها اسم الزُّبَيْديّة (٣) .

وفى منطقة البِطان هناك بركة يقال انها للسيدة زبيدة ذات شكل دائرى ولها مصفاة (٤) .

وعلى بعد ثلاث اميال من الثعلبية بنت السيدة زبيدة بركة مدورة تدعى القنعة او القُنَيْعَة كما يذكرها ياقوت (٥) . وينسب اليها بركة اخرى على بعد ثمانية اميال من الأجفر يقال لها البلة (٦) .

---

(١) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٣ : ١٣٢) .
(٢) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٨٢) .
(٣) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٣ : ٤٣) ، الحربى : المصدر السابق (ص ٢٨٩) .
(٤) الحربى : المصدر السابق (ص ٢٩٣) .
(٥) ياقوت : المصدر السابق (٤ : ٤١٠) .
(٦) الحربى : المصدر السابق (ص ٣٠٢) .

كما يوجد بتوز بركة مدورة تعرف بالطارفية للسيدة زبيدة ، ولها ايضا بركة اخرى تبعد عن توز حوالي خمسة اميال يطلق عليها اسم العنابة كما توجد بركة زبيدية مدورة في سميراء[١] . وفي قروري توجد بركة مدورة امرت ببنائها السيدة زبيدة[٢] .

وعلى بعد ستةاميال من قروري هناك بركة اخرى للسيدة زبيدة تدعى الحسنى[٣] .

وبعد قروري بميل توجد بركة لام جعفر . وفي معدن الماوان توجد بركة مدورة للسيدة زبيدة . وفي معدن بني سليم توجد بركة مدورة تنسب اليها ايضا . كما ينسب اليها بركة مدورة في ذات عرق[٤] .

هذا وتجمل لنا ارجوزة احمد بن عمرو التي اشاد فيها باعمال السيدة زبيدة على طول طريق الحج والتي عرفت بتنزيلة ام جعفر ماينسب اليها ـ على وجه اليقين ـ من اجراء الماء وتيسيره للحجاج على طول الطريق في المنازل الاتية :

---

(١) الحربي : المصدر السابق (ص ٣١٢ ، ٣١٦) .
(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٤ : ٣٣٤) .
(٣) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٠) .
(٤) الحربي : المصدر السابق (ص ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٥٢) .

العقبة ـ الشُّقوق ـ الاجفُر ـ تَوّز ـ سَمِيراء ـ النِقَرَة ـ السَّلِيلة ـ العُمْق
المَعْدِن ـ أُفيعِية ـ الصَّلح ـ الغَمْرة ـ المَشَاش ـ قُدَيد ـ الجُحفة ـ الأُبواء
السُّقيا ـ الروحاء ـ الطَّرَف ـ العُسَيلة ـ المحدث .

ثانياً : عين زبيدة

ثانيا : عــين زبيــدة .

ايمان بالله عظيم .. وحب للخير شديد ، وعطاء بلا حدود ، وهمة عالية وعزيمة صادقة ونفس لا يعرف الملل او اليأس اليها سبيلا .

هذا ماكانت عليه السيدة زبيدة وقد لمسنا حبها للخير فـــــــي مساعدتها لحجاج بيت الله الحرام ، عندما جعلت درب الحج العراقـــي امنا ممهدا مزودا بكل اسباب الراحة . وقد تحدثنا فيما سبق عن اعمالهـا العظيمة في هذا الدرب .

كل هذا حبا منها في الخير ، ومساعدة حجاج بيت الله الحـــرام ولان عطاءها بلا حدود ، فهي لم تقتصر في رعايتها للحجاج بالعنايـــة بدرب الحج فقط وانما شملت رعايتها لهم الاهتمام بهم وهم في الاراضـــي المقدسة ايضا .

فقد لمست السيدة زبيدة عندما حجت سنة ١٩٠هـ النقص فـــــي موارد الماء ومدى مايعانيه الحجاج وسكان مكة من شح في المياه . لـــذا قررت ان تقوم بعمل من شأنه ان يخفف عنهم هذه المعاناة ،

ويذكر اليعقوبي انها امرت بحفر بئر زمزم ، فعملوا على زيادة عمقهـا عدة اذرع ، ولكن دون جدوى . ولم يحقق هذا العمل الغاية المرجـــوة منــــه (١) .

---

(١) اليعقوبي : المصدر السابق (٢ : ٤٢٨-٤٢٩) .

فقررت ان تقوم بعمل آخر من شأنه ان يوفر المياه للسكان والحجاج فأمرت سنة ١٩٤ هـ بعمل بركة في مكة واجرت لها عينا في الحرم، الا ان هذا العمل ايضا لم يكن مجديا بالرغم من كثرة تكاليفه، وبعد البحث والرأي امرت ان تجلب المياه الى مكة من خارج الحرم (١). وهكذا كان مشروع عين زبيدة، وهذا العمل الذي قامت به السيدة زبيدة من ايصال المياه الى مكة من خارجها وهو مايزال قائما حتى الان، ويستفيد منه سكان مكة المكرمة، وحجاج بيت الله وهانحن بصدد الحديث عنها . الا اننا قبل الدخول في تفاصيل هذا العمل يجب ان نوضح ولو بصورة موجزة اعمال القرشيين والخلفاء والامراء الذين سبقوا السيدة زبيدة في العناية بامر المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

اننا نعرف جميعا ان مكة المكرمة تعاني من نقص في المياه منذ امد بعيد . فهي كما قال عنها باني البيت العتيق ابراهيم عليه السلام " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " (٢) .

---

(١) الازرقي : اخبار مكة (٢ : ٢٣٠ - ٢٣١) .
(٢) سورة ابراهيم : ٣٧ .

ففي بداية الامر كانت بئر زمزم المصدر الوحيد للمياه في مكة ولما كثر عدد سكانها وازدادت أعداد الوافدين إليها في موسم الحج قامت قريش بحفر الابار فيها بحثا عن المياه .

ولما كان منسوب المياه في الأبار يقل في بعض السنين بسبب عدم نزول الأمطار، فقد قام اهالي مكة بعمل مصانع (أحواض) على رؤوس الجبال وفي داخل الشعاب لتخزين مياه الأمطار فيها لسقاية انفسهم و لسقاية الحجاج . وقد حفر القرشيون الابار الاتية :

بئر العجول : التي حفرها كلاب بن مرة، وجعلها لسقاية الناس . وتقع هذه البئر في دار ام هاني بنت ابي طالب، عند باب الوداع، ولهذه البئر اهمية كبرى عند العرب في الجاهلية حيث كانوا يأتون اليها اذا قدموا مكة ويتراجزون عندها .

بئر جبير : حفرها قصي بن كلاب ثم ردمت فجدد بناءها جبير بن مطعم بن عدي فنسبت اليه (١) .

بئر بذر : حفرها هاشم بن عبد مناف وجعلها لسقاية الحجاج غير ان ياقوت الحموي يذكر ان الذي حفر هذه البئر هو عبد الدار، ومعنى بذر من التبذير وهو التفريق وتعرف باسم بئر الحمام (٢) .

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢١٥) .
(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (١ : ٣١٦) .

بئر سجله : وحفرها هاشم بن عبد مناف وهى بين الصفا والمروة وقد وهبها عبد المطلب لمطعم بن عدى عند ما حفر بئر زمزم . وتعرف ايضا باسم بئر جبير بن مطعم بن عدى .

بئر طوى : وحفرها عبد شمس بن عبد مناف وتقع فى مدخل مكة وجعلها لسقاية الحجاج .

بئر الجفر : وحفرها امية بن عبد شمس وتقع بطرف اجياد وجعلت لسقاية اهل مكة[١] .

بئرا حم ورم : حفرهما عبد شمس بن عبد مناف وجعلهما لسقاية اهل مكة والحجاج[٢] .

بئر السنبلة : حفرها خلف بن وهب بأسفل مكة . ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم بصق فيها ولهذا تعرف باسم بئر التفلة[٣] .

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢١٨) ، الفاسي : شفاء الغرام (١ : ٢٠٢) ، سليمان مالكي : موافق الحج والخدمات المدنية فى الاراضي المقدسة . رسالة ماجستير لم تطبع (ص ١٠٦-١٠٨) .

(٢) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢١٩) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية (٢ : ١٩٣) .

وهناك آبار اخرى متعددة مثل بئر السيدة ميمونة ، وبئر أم حردان والسقيا ، والثريا ، والنقع وغيرها (١) .

كما قام عبد المطلب باعادة حفر بئر زمزم ، واقامة الاحواض داخل الحرم لتوفير المياه للحجاج .

ولما تم فتح مكة اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفير المياه فيها حيث امر عامله عتاب بن أسيد باصلاح وتجديد هذه الابار السابقة الذكر (٢) .

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى اهتم الخلفاء الراشدون بهذه الابار ايضا لتوفير المياه للحجاج والسكان .

وفي سنة ٣٨هـ وبعد الانتهاء من التحكيم حفر ابو موسى الاشعري بئرا بالمعلاة فنسبت اليه (٣) .

وبعد ان تولى معاوية بن ابي سفيان الخلافة امر بتوفير المياه في مكة المكرمة فاجرى عشرة عيون الى الحرم وجعل لها قنوات وكانت كلها حوائط فيها نخل وزرع . وهذه العيون هي حائط الحمام الذى بالمعلاة وحائط عوف ، وحائط الصفي ، وحائط مورش ، وحائط خرمان ، وحائط مقيصرة

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٢٠) .

(٢) الازرقي : المصدر السابق (١ : ١٨٥) ، (٢ : ١٥١-١٥٣) سليمان مالكي : المرجع السابق (ص ١٠٢ ، ١٠٩) .

(٣) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٢٥) ، سليمان مالكي : المرجع السابق (ص ١٠٩) .

وحائط حراء ، وحائط ابن طارق ، وحائط بلدح .

كما قام عبد الله بن عامر بن كريز بجمع العيون وصرفها في عين واحدة واتخذ الحياض بعرفة واجرى اليها ماء هذه العين فنعم الناس بوفرة الماء في مكة وفي عرفة زمن الحج واستمر هذا الحال مدة طويلة من الزمن (١) .

كما اهتم الوليد بن عبد الملك باصلاح الابار الموجودة في مكة وحفر بئرين واحد منهما بثنية طوى والثاني بالحجون ، وبنى احواضا حول المسجد الحرام لوضع المياه فيها لسقاية الحجاج (٢) .

ولم يقتصر الاهتمام بتوفير المياه على الخلفاء وولاة الامور فقط وانما شاركهم في ذلك العمل سكان مكة انفسهم . حيث نجد مجموعة من الابار مثل بئر الشركاء والتي تنسب الى بني مخزوم ، وبئر عكرمة بن خالد بن العاصي ، وكلا البئرين يقعان في اجياد (٣) .

الا انه في اواخر عهد بني امية تخربت وتعطلت العيون التي

---

(١) الزواوي : بغية الراغبين وقرة عين اهل البلد الامين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة ام الامين (ص٥) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام (٢ : ١٧٠) ، سليمان مالكي : المرجع السابق (ص ١١٠) .

(٣) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٢٤ - ٢٢٥) ، الفاسي : شفاء الغرام (٢ : ١٦٨) .

كانت تصب في العين الواحدة ، والتي صنعها عبد الله بن كريز بامر معاوية بن ابي سفيان ، وانقطع الماء عن اهالي مكة واصبحوا في ضيق وشدة من امر الماء ، ووصلت قيمة القربة وهي البدرة الصغيرة عشرة دراهم او اكثر في بعض الاوقات .

وعندما آل الحكم الى الدولة العباسية تابع الخلفاء العباسيون اهتمامهم بتوفير المياه في الاراضي المقدسة فقد امر الرشيد واليه على مكة باجراء عين الوشا او الوشاد - التي تقع في اعلى مكة - في داخل شعب الخرمانية وان تفتح قنوات من هذه العين الى القنوات التي عملها معاوية من قبل بعد ان امر الرشيد ايضا بتجديد هذه القنوات لتصل مياه كل هذه القنوات مجتمعة الى البركة التي قام بعملها قرب المسجد الحرام .(١)

الا ان كل هذا لم يف بالغرض وظل الحجاج والسكان يعانون من المشقة في سبيل الحصول على الماء . فلما بلغ ذلك ام جعفر قررت ان تقوم بعمل من شأنه ان يخفف من حدة هذه الازمة فامرت كما ذكرنا

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٣٠) ، الفاسي : شفاء الغرام (٢ : ١٧٠) ، الفاكهي : المنتقى (٢ : ٣٣) ، الزواوي : المرجع السابق (ص ٥) ، احمد السباعي : تاريخ مكة (١ : ١٥٦) .

سابقا بعمل بركة في مكة واجرت اليها عينا من الحرم، فجرت بماء قليل لم يحقق الغاية التي ترجوها ام جعفر رغم التكاليف الباهظة التي انفقتها في هذا السبيل[1] .

فلما سمعت السيدة زبيدة بعدم وفاء هذا العمل بالغرض، امرت والي مكة بدراسة مصادر المياه في مكة وبكيفية الاستفادة منها ، فكانت نتيجة هذه الدراسة هي استحالة دخول مياه الحل الى الحرم بسبب صعوبة تضاريس مكة والمنطقة المحيطة بالحرم .

ولكن السيدة زبيدة كانت مصرة على حل هذه المعضلة في مكة فامرت جماعة من المهندسين والصناع من بغداد ببحث هذه المشكلة وايجاد الحلول لها . وبعد دراسة مطولة وبحث وتنقيب تبين انه بالامكان الاستفادة من العيون التي خارج الحرم مثل عين حنين ، وعين وادي النعمان ، والتغلب على وعورة التضاريس بشق الجبال وحفر القنوات فيها[2] .

واشارت الدراسة الى ان المشروع يحتاج الى اموالٍ ضخمة فلم يفت ذلك في عضد السيدة زبيدة اذ كانت قوية العزيمة والتصميم على

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٣١) ، انور شكري : لوحان اثريان (ص ٩) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب (٤ : ٤٢٢) .

ايصال الماء الى مكة والمشاعر الحرام، ويظهر ذلك في قولها لوكيلها " اعملها ولو كانت ضربة الفاس بدينار"[١] .

وعين حُنَيْن هذه التي اشارت اليها الدراسة تنبع من ذيل جبل شامخ يقال له طاد ، وهو من جبل الثقبة في طريق الطائف ويجري ماؤها الى ارض يقال لها حُنَيْن ، وحنين وادى بين مكة والطائف، وقع فيه قتال بين النبي صلى الله عليه وسلم وقبيلة هوازن . وكانت عين حنين يسقى بها نخل ومزارع للاعراب القاطنين بجوارها ، وتسمى هذه المنطقة بحائط حنين ، اى بساتين حنين ، وحُنَيْن في اللغة تصغير الحنان وهو الرحمة ويجوز ان يكون تصغير الحن وهو حيّ من الجن ، وقيل انه سمى بذلك نسبة الى حنين بن قانية بن مهلايل من العماليق[٢] .

وقد اشترت السيدة زبيدة هذه المواضع وابطلت تلك المزارع والنخيل ، وشقت للماء قناة في الجبال وجعلت الشماحيذ عند كل جبل يعتقد ان الماء يتجمع عند سفحه ثم جعلت فيها قناة تتصل بمجرى العين الرئيسي ، وتمدها بالماء، فصار كل شحاذ عينا تمد القناة بالماء مثل عين مشاش، وعين ميمون ، وعين الزعفران ، وعين البرود ، وعين الصرفة او الطارفي ، وعين ثقبة ، وعين الخريبات .

---

(١) الجزيري : المصدر السابق (ص ٧٠٣) .
(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٢ : ٣١٣) ، البلادي : معالم مكة (ص ٨٧ - ٨٩) .

وتنصب مياه جميع هذه العيون في دبل عين حنين حسب كمية الامطار التي تسقط عليها ، ومن ثم تصل الى مكة المكرمة على هذا النحو.(١)

وبنت السيدة زبيدة البرك المختلفة على امتداد مجرى القناة حتى وصلت المياه الى الحرم . وكذلك وضعت البزانات في كل حي من احياء مكة حتى الحرم .(٢)

وفي سنة ٢١٠هـ شكا اهل السوق والمسفلة واجياد الى والي مكة صالح بن العباس ان مياه عين زبيدة لا تصل اليهم . ولما رفع والي مكة شكواهم الى الخليفة المأمون ، امره بعمل بازانات لهذه الاحياء وان تغذى هذه البزانات من القناة الرئيسية لعين زبيدة . وبذلك العمل اكتملت سقاية جميع احياء مكة من ماء عين زبيدة .

ولما علمت السيدة زبيدة بما قام به والي مكة صالح بن العباس

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٣١ ، ٢٣٢) ، الفاكهي : المصدر السابق (ص ٣٣-٣٤) ، اليعقوبي : المصدر السابق (٢ : ٤٣٤) محب الدين القطيبي : تاريخ البلد الحرام (ص٩٨) حاشية رقم (١) ابن دحلان : المرجع السابق (ص ٣٣٧) ، احمد السباعي : المرجع السابق (١ : ١٥٦) ، انور شكري : المرجع السابق (ص٩-١٠) ، الزواوي : المرجع السابق (ص ٦ - ٧) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام (١ : ١٥١) ، المسعودي : مروج الذهب (٤ : ٤٢٣) ، سليمان مالكي : المرجع السابق (ص١١٣-١١٤) .

قائلا : ان ماقمت به من عمل ماهو إلا اكمالاً لعملك الخيري[1] .

كما اجرت ام جعفر عين وادي النَعْمَانُ الى عرفة ومنى لما علمت بمعاناة الحجاج في المشاعر المقدسة من اجل الحصول على الماء .

ونَعْمَانُ على وزن فُعلان من نعمة العيش وهو غضَارته وحسنه وهو وادي بين مكة والطائف . ولشعراء العرب تشوقات وتغز لات فيه حيث يقول القائل :

اياجبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها[2]

وعين نعمان هذه تنبع من ذيل جبل كري ، وهو جبل شامخ اعلاه ارض الطائف وينصب الماء من ذيل جبل كري في قناة الى موضع يقال له الاوجر في وادي النعمان ، ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين من علو ارض عرفات حيث عملت فيه القنوات التي اوصلت ماء وادي نعمان الى ارض عرفة . وفي عرفة اقامت زبيدة عدة برك للاستفادة من مياه عين النعمان

---

(١) الفاكهي : المنتقى (ص ٧١) ، سليمان مالكي : المرجع السابق (ص ١١٣ ١١٤) ، الزواوي : المرجع السابق (ص ٩) ، انور شكري : المرجع السابق (ص ١١-١٤) .

(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ٢٩٣) ، احمد دحلان المرجع السابق (ص ٣٣٧-٣٣٨) ، عاتق البلادي : معالم مكة (ص ٣٠٤ ٣٠٧) ، صادق باشا : دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج (ص ٦١) .

عند تجمعها فى عرفة وقت الحج .

ثم تسير مياه العين هذه فى قناة الى جبل الرحمة فتدور حوله وتصب فى بركة تقع فى الجهة الشمالية منه ، وفى قناة جبل الرحمة ميازيب تصب فى حياض فى سفح الجبل من اجل الدواب[1] . وتستمر القنوات ممتدة الى جهة الشام ، وهناك بازان اسمه فقير الذئب الاعلى والمسافة بينه وبين جبل الرحمة حوالى الف وثلثمائة وثمانية وسبعون مترا وبعده بازان فقير الذئب الثانى والمسافة اليه اربعمائة وخمسة امتار ، ثم ينعطف الدبل نحو الغرب الى وادى المُغمّس ، وينتهى الى حوض البقر والمسافة بينهما الف واربعمائة وعشرون متر .

كما اقيمت على القناة فيما بين عرفة وحوض البقر خمس وعشرون خرزة من اجل سقاية الحجاج .

وتمتد القناة الى خلف جبل من وراء المأزمين يقال له طريق ضب وهو المعروف الان بالقناطر . والمأزِمَان مثنى مأزم ، وهو الطريق الضيق فى الجبلين ونحوه[2] .

ثم يصل الماء منها الى مزدلفة ومن جبل خلف منى الى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب . ويسمى

---

(١) الزواوى : المرجع السابق (ص ٨) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق (٥ : ٤٠) ، البلادى : المرجع السابق (ص ٢٤١ - ٢٤٢) .

حوض البقر الثاني .

وهكذا تنتهي مياه هذه القناة فتتجمع تحت الارض في بئر عظيمة مطوية باحجار ضخمة ، وتسمى بئر زبيدة ، وهي من الابنية العظيمة الهائلة التي يتوهم البعض انها من بناء الجن او العمالقة [١] .

وبوصول الماء الى هذه البئر ينتهي هذا العمل الذي كانت السيدة زبيدة ترغب في ايصاله ايضا الى مكة المكرمة لولا وعورة التضاريس الممتدة من حوض البقر الى مكة . لذا صارت عين النعمان خاصة بعرفة ومنى منذ ذلك الحين وعرفت باسم عين زبيدة .

وان ماذكرناه عن عين زبيدة يثبت وبدلالة قاطعة صحة ماقلناه عن السيدة زبيدة وحبها للخير ، اما مثابرتها وتصميمها على تنفيذ هذا المشروع رغم وعورة التضاريس ، فهو يبرهن على انها فعلا كانت عالية الهمة ولا تعرف لليأس او الملل سبيلا . وان عطاءها حقا كان بلا حدود فقد انفقت في هذا المشروع اموالا طائلة صرفتها عليه والتي قدرها المسعودي بحوالي الف الف وسبعمائة الف دينار [٢] .

---

(١) عبد الكريم القطبي : تاريخ البلد الحرام (ص٩٨-٩٩) ، حاشية رقم ١ الزواوي : المرجع السابق (ص٧) ، انور شكري : المرجع السابق (ص١٠) ، دحلان : المرجع السابق (ص ٣٣٧-٣٣٨) ، صادق باشا : المرجع السابق (ص ٦١) .

(٢) المسعودي : المصدر السابق (٤ : ٢٢٥ ، ٢٢٦) ، الفاسي : المصدر السابق (١ : ٣٤٧) .

" ويذكر الازرقي ان ام جعفر انفقت في ذلك من الاموال مالم تكن تطيب به نفس كثير من الناس، كما يذكر انه طابت نفسها بالنفقة فيه بما لم تكن تطيب نفس احد غيرها به، فاهل مكة والحاج انما يعشون بها بعد الله عز وجل" (١) .

ويذكر انه لما تم واكتمل عملها اجتمع المباشرون عند السيدة زبيدة ومعهم دفاترهم ليبرئوا ذممهم مما كان لديهم من اموال، وكانت في قصر يشرف على دجلة،

فامرت بان تلقي الدفاتر في النهر وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من المال فهو له، ومن بقي له عندنا شيء اعطيناه، ثم منحتهم الخلع الثمينة (٢) .

وفي الحقيقة ان عمل قناة وادي النعمان يعد من الاعمال الهندسية الرائعة، اذ انه يدلنا على مدى تقدم العمارة الاسلامية في ذلك الوقت .

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٣١-٢٣٢)، الزواوي : المرجع السابق (ص٦)، انور شكري : المرجع السابق (ص١٠) .

(٢) الزواوي : المرجع السابق (ص٦)، انور شكري : المرجع السابق (ص١٠)، احمد دحلان : خلاصة الكلام (ص ٢٣٦)، صادق باشا المرجع السابق (ص ٦١) .

فالقناة لاتسير في خط مستقيم واحد ، بل في تعاريج اقتضتها طبيعة الارض، وان انحدار الماء في داخل القناة جعل خفيفا خوفا من عوامل الحت التي يمكن ان تحفر الارض، اذا كان الماء شديدا[١] .

ولكي نقدر اهمية ماقامت به السيدة زبيدة في هذا الصدد يكفي ان نذكر ان عين زبيدة لاتزال حتى يومنا الحاضر المصدر الرئيسي للمياه لاهل مكة ولحجاج البيت الحرام .

ونظرا لاهمية هذا المشروع الضخم فقد حرص الخلفاء والسلاطين والملوك على استمرار جريان مياه عين زبيدة الى المشاعر والى مكة المكرمة وذلك باصلاح وتعمير مايخرب او يتصدع من اجزاء القناة او العيون او البرك والبازانات المتصلة بها على طول امتدادها .

ففي العصر العباسي اجريت عدة اصلاحات للعين ، من قبل الخلفاء العباسيين المتوكل ، والمعتز، والمعتمد ، والناصر لدين الله والمنتصر بالله ، كما عمرها الامير جوبان نائب سلطان المغول بالعراق ومن سلاطين المماليك المؤيد شيخ ، وبرسباي وجقمق ، وقايتباي والغوري .

كذلك تناولتها يد الاصلاح والتعمير في عهود سلاطين العثمانيين سليمان القانوني ، وسليم الثاني ، والسلطان احمد الثاني ، والسلطان محمد خان الرابع[٢] .

---

(١) سليمان مالكي : المرجع السابق (ص ١٥٣ - ١٥٥) .
(٢) الزواوي : المرجع السابق (ص٩-١٠) ، (١٥-٢٠) ، محمد انور شكري المرجع السابق (ص ١١-١٤ ، ١٥-١٦ ، ١٧-٢٥) .

كما والت الاسرة السعودية وعلى رأسها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، الاهتمام بعين زبيدة والعمل على ايجاد مصادر اخرى للمياه في مكة المكرمة .

فعلى سبيل الذكر كانت هناك مشاريع عديدة مثل مشروع عين العزيزية، الواقعة في الشمالي الشرقي من مكة في وادي نخلة . وسحبت مياه عين المضيق التي في النخلة الشامية ومياه سولة ايضا .

كما ازدادت العناية بهذه العيون والمياه في مكة في عهد المغفور له جلالة الملك فيصل رحمه الله، الذي امر بانشاء شبكة جديدة للمياه من المواسير المعدنية وانشاء محطة ضخ في العزيزية، وخزانات المياه في منى وعرفة ومزدلفة[1] .

وفي عهد جلالة الملك خالد - حفظه الله - اعلنت حكومة المملكة عن عزمها على تنفيذ مشروع ايصال مياه البحر الاحمر المحلاة من جدة الى مكة لتمد اهل مكة وحجاج بيته الحرام بحاجاتهم من المياه النقية .

---

(١) الزواوي : المرجع السابق (ص ٢٣-٢٥) ، انور شكوى : المرجع السابق (ص ١٩ - ٢٥) .

ثالثاً : الأعمال العمرانية الأخرى للسيدة زبيدة

أ - فى مكة المكرمة (دور السيدة زبيدة - مسجد ذى طوى)

ب - فى المدينة المنورة (دار السيدة زبيدة)

جـ - فى الطائف (عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم)

د - فى العراق (قصيعة أم جعفر - سويقة زبيدة - قصر القرار - منتزه زبيده - مساجد السيده زبيده فى بغداد

هـ - فى طرسوس والثغر الشامى وخراسان (دور السبيل والخانات والبيمارستانات)

ثالثا : الاعمال العمرانية الاخرى للسيدة زبيدة .

(أ) في مكة المكرمة :

دور السيدة زبيدة :

كان للسيدة زبيدة دورا بمكة المكرمة ، اشترتها من اصحابها واوقفتها على اعمال الخير . ومن هذه الدور دار الارقم بن الارقم والتي يقال انها كانت للخيزران زوجة الخليفة المهدي ، وام الخليفتين الهادي والرشيد الا ان هذا غير صحيح ، فالازرقي والقطبي يذكران ان دار الخيزران ، كانت حول دار الارقم وليست هي نفسها[(1)] .

اما دار زبيدة الكبرى فقد بنتها في الناحية الغربية من المسجد الحرام ، عند باب بني جُميح وكانت لها بابان يخرجان الى زقاق بين المسجد الحرام والدار الاخرى التي صارت لها ، والتي نحن بصدد الحديث عنها فيما بعد[(2)] .

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٠٠) حاشية رقم (٤) ، احمد السباعي : تاريخ مكة (ص ١٥٧) .

(٢) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٤٩) ، الحربي : المصدر السابق (ص ٤٧٧) ، حاشية رقم ٣ ، الفاكهي : المنتقى (ص١٤) .

كما ضمت زبيدة الى دارها الكبرى دار ابى البخترى بن هاشم بن اسد ، ودار على بن منبه ، والتى كانت ملاصقة للمسجد الحرام عند باب الخياطين (١) .

اما الدار الاخرى فهى دار جعفر بن يحيى ، التى استقطعها فى موضع الرحبة ، التى كانت عند سقاية الخيزران . وهى عند باب البقالين والخياطين (٢) .

وقد استمر هذان البابان ، اى باب بنى جميح وباب الخياطين الى سنة ٣٠٦ هـ حيث غيرها الخليفة جعفر المقتدر بالله ، وجعل هذين البابين بابا كبيرا هو باب ابراهيم ، وجعل الساحة التى بين دارى زبيدة ضمن المسجد الحرام فاتسع المسجد للمصلين (٣) .

وفى سنة ٥٨٠ هـ قامت طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة المستضيء بالله العباس ، فكان دار زبيدة مدرسة لتدريس الفقه على المذهب الشافعى ، واوقفتها على عشر من فقهاء الشافعية المقيمين فى مكة المكرمة (٤) .

---

(١) الازرقى : المصدر السابق (٢ : ٢٤٩ ، ٢٥١) ، ابن رستة : الاعلاق النفيسة (ص ٥١) .
(٢) الازرقى : المصدر السابق (٢ : ٩٥-٩٦) .
(٣) الازرقى : المصدر السابق (٢ : ٩٢) ، حسين باسلامة : عمارة المسجد الحرام (ص ٦٣ - ٦٤) .
(٤) الفاسى : العقد الثمين (٨ : ٢٦١ - ٢٦٢) .

مسجد ذي طُوىً :

تذكر المصادر انه هو المسجد الذى بنته السيدة زبيدة بأزَج[1] ، بين ثنية المدنيين (الحجون) وبين الثنية التي تهبط على الحصحاص[2] . ومن المعروف ان وادى طوى يمتد من ثنية المدنيين والتي تعرف باسم كُدَا ء او الحجون الثاني في الوقت الحاضر،[3] الى ريع الكحل التي تعرف قديما باسم الثنية الخضراء، ثم الى الحصحاص .

والحصحاص جبل مشرف على وادى طوى وتوجد بسفحه مقبرة المهاجرين ، التي يقال لها المختلع، او اضاة بنى غفار[4] .

وبين ذى طوى والمسجد الحرام حوالى نصف ميل وهو لايزال الى يومنا معروفا في حي جرول احد احياء مكة[5] .

---

(١) الأَزَجّ هو ضرب من الابنية ، اى طراز معين في البناء .

(٢) الازرقى : اخبار مكة (٢ : ٢٠٣) ، الحربى : المصدر السابق (ص٤٦٧) حاشية رقم ٥ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف (ص٣٣٨) ، الطبرى : المكى : المقرى لقاصد ام القرى (ص ٦٦٥) ، الفاسى : شفاء الغرام (٢ : ٨٣) ، السمهودى : وفاء الوفاء (٣ : ١٠٢١-١٠٢٢) ، البلادى : معجم معالم الحجاز (٢ : ٩١-٩٢) ، معالم مكة (ص٢٢٧) .

(٣) الحجون الاول هو مايعرف بالحجون الجاهلي وهو واقع في محلة الرشيدى وشعبة الجن في طرف الخندمة (الازرقى : المصدر السابق (٢ : ٢٧٣ ، حاشية رقم ١) .

(٤) الازرقى : المصدر السابق (٢ : ٢١٢-٢١٣ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧) .

(٥) الحربى : المصدر السابق (ص ٤٦٧ ، ٤٦٨) حاشية رقم (١) .

ويقول الازرقي : حدثني جدى اخبرني الزنجي عن ابن جريج عن موسى بن عقبة ، ان نافعا حدثه ان عبد الله بن عمر اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طوى حين يعتمر وحين حج جلس تحت شجرة في موضع المسجد . حدثنا ابو الوليد قال : وحدثني جدى اخبرنا مسلم عن ابن جريج ، قال : وحدثني نافع ان عبد الله بن عمر حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان ينزل بذى طوى فيبيت به حتى يصلي الصبح حين يقدم مكة . ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك على اكمة غليظة ليس بالمسجد الذى بَنَى ثَمّ ، ولكن اسفل من الجبل الطويل الذى قبل الكعبة ، يجعل المسجد الذى بَنَى بيسار المسجد بطرف الاكمة . ومصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسفل منه على الاكمة السوداء ، تدع من الاكمة عشرة اذرع او نحوها يمينى ، ثم يصلي مُستقبلَ الفرضتين من الجبل الطويل ، الذى بينه وبين الكعبة .(١)

ويفهم من هذا الحديث الذى يروى عن عبد الله بن عمر ، ان المسجد الذى بُني بذى طوى لم يكن في مكان مُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الازرقي : المصدر السابق (٢ : ٢٠٣) ، الحربي : المصدر السابق (ص ٤٢٥) حاشية رقم ١ ، الفاسي : شفاء الغرام (٢ : ٨٣) ، الطبرى المكى : المصدر السابق (ص ٢٥٢-٢٥٣ - ٦٦٥) ، المراغي : تحقيق النضرة (ص ١٦١-١٦٢) .

تماما وانما كان يقع على يساره، بطرف الاكمة السوداء، وبينه وبين مصلى الرسول صلى الله عليه وسلم عشرة اذرع او نحوها .

ولا يمكننا القول ان المسجد الذى بنته السيدة زبيدة بذى طوى قد بُنى مكان ذلك المسجد الذى كان يقع على مقربة من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف الاكمةالسوداء، والذى يفهم من نص الحديث انه بنى فى صدر الاسلام، او انه بنَى مكان المسجد الحالى بذى طوى فى حى جرول (١) .

---

(١) المسجد الحالى بذى طوى لا يقع بطرف الاكمةالسوداء، وانما يقع امامها فى منبسط من الارض . وواضح ان دواعى العمران وكثرة عدد المصلين عبر العصور هى التى ادت الى بناء مسجد ذى طوى فى مكانه الحالى .

(ب) في المدينة المنورة :

دار السيدة زبيدة :

ويذكر السمهودي ان للسيدة زبيدة دارا بالمدينة المنورة كانت سابقا داراً لال ابي سفيان بني حرب، ثم انتقلت ليزيد بن عبد الملك ثم الى السيدة زبيدة[1] .

---

(١) السمهودي : وفاء الوفاء (٢ : ٧٢١) .

(جـ) في الطائف :

عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم :

لم تقتصر اعمال السيدة زبيدة على مكة المكرمة ، والمدينة المنورة فحسب ، وانما امتدت اعمالها الكريمة ايضا الى الطائف . والطائف من المدن القديمة والشهيرة في الجزيرة العربية ، والمصيف الذى يتجمع فيه اغنياء مكة واثرياؤها منذ القدم . لذا كانت موضع عناية ورعاية الخلفاء الامويين والعباسيين وكذلك عناية السيدة زبيدة ، التي اعادت فيها بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

والفاسي يذكر انه وجد في الجدار القبلي من مسجد ابن عباس نقشا نصه : (امرت السيدة ام جعفر بنت ابى الفضل ، ام ولاة عهد المسلمين اطال الله بقاءها ، بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف ، وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة)(1) .

ومسجد الرسول هذا كان في العقيق ، في موضع القبتين اللتين كانتا لزوجتي الرسول صلى الله عليه وسلم ام سلمة وزينب حيث كان يصلى الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما ، في اثناء حصاره لمدينة الطائف

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام باخبار البلد الحرام (٢ : ٧٦) ، سعاد ماهر الطائف ووج وحابها في آثار ، الداره ، العدد الثالث ، السنة ٦ جمادى الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م (ص ٥٠) .

هذا الحصار الذى أستغرق فترة من الزمن .

وكان ذلك بعد غزوة حنين حين اراد الرسول فتح الطائف، وتحطيم مركز اللات فيها ، الا ان ثقيف تحصنت في حصونها القوية ، فلم يتمكن المسلمون من فتحها .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاثناء ، يصلي بين القبتين ، فلما دخلت ثقيف في الاسلام ، بنت في هذا الموضع مسجدا بناه عمرو بن امية بن معتب بن مالك الثقفي ، ثم جددت بناءه السيدة زبيدة سنة ١٩٢هـ .

ومسجد الرسول هذا هو الان ضمن بناء مسجد عبد الله بن العباس، المعروف في الوقت الحاضر .

(د) فى العـــراق :

كما اننا ذكرنا اعمالا عظيمة قامت بها السيدة زبيدة فى درب زبيـدة والدور والمساجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف،فمن الطبيعـــى ايضا ان يكون لها اعمال حيث مركز خلافتها . ومن الاعمال التى قامت بهـا فى العراق :

قطيعة ام جعفر :

وكانت قطيعة أم جعفر فى الجانب الغربى من بغداد ، وتمتد مــن شارع الرقيق المجاور لباب التبن ، والذى فيه مشهد موسى بن جعفـــر الى باب خراسان ، وفيها كان يسكن خدم أم جعفر وحشمها ، وتدعـــى الزبيدية .

كما يذكر انه كان باسفل بغداد ، وفى الجهة الغربية ايضـــا قطيعة اخرى لام جعفر تدعى الزبيدية ايضا (١) .

---

(١) ياقوت الحموى : المصدر السابق (٣ : ١٣٢) ، (٤ : ٢٧٦) البغدادى تاريخ بغداد ، المجلد الاول (ص ٨٩-١١٠) ، الفقيه الهمدانى بغداد مدينة السلام (ص ١٣٧-١٣٨ ، ١٤٧) .

سويقة زُبيدة :

كما كانت توجد للسيدة زبيدة سويقة تعرف بها ، وكانت في السابق اقطاعا ليحيى بن خالد بن برمك ، ثم صارت لها ، ثم لطاهر بن الحسين عند ما اقطعه اياها المأمون (١) .

قصر القرار :

ومن اهم القصور التي امرت السيدة زبيدة ببنائها دار القرار وكانت من القصور الفخمة في بغداد ، ونموذجا لما كانت عليه القصور آنذاك . فقد كانت محاطة بحديقة غناء كبيرة ، فيها انواع من الطيور والحيوانات ، والوحوش النادرة كما كانت بها قاعة استقبال يبلغ طولها ثمانون ذراعا ، مفروشة ببساط واحد ، مرصع بالاحجار الكريمة .

وموضع هذا القصر كان اقطاعا لعبد الله بن مالك الخزاعي ثم لمحمد بن يحيى بن خالد ، ثم صار للسيدة زبيدة في ايام الرشيد والامين (٢) .

---

(١) الخطيب البغدادي : المصدر السابق (١ : ٩٣) ، الفقيه الهمداني المصدر السابق (ص ٥٥) .

(٢) الخطيب البغدادي : المصدر السابق (١ : ٨٧) ، الهمداني المصدر السابق (ص٤٧) ، عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيد (١٨٩:١) .

هذا ويعطي لنا المسعودي صورة عما كانت عليه قصور السيدة زبيدة من روعة وفخامة، فيذكر انها كانت اول من اتخذ القباب من الفضة والابنوس والصندل . وان كلاليبها كانت من الذهب والفضة، وملبسه بالوشي والسمور، والديباج، وانواع الحرير، من الاحمر والاصفر والاخضر والازرق، كما يذكر انها اتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر.(١)

ويذكر الابشيهي انه صُنع لها بساط من الديباج جمع صور كل الحيوانات من جميع الاجناس وكانت صور الطيور فيها من الذهب، واعينها من اليواقيت والجواهر، وان نفقات ذلك البساط بلغت حوالي الف الف دينار.(٢)

منتزه زبيدة :

يذكر ابن جبير انه كان للسيدة زبيدة حصن يعرف بالمَعْشُوق وانها كانت تتنزه فيه مع زوجها الرشيد، وان هذا الحصن يقع على شط دجلة، بين بغداد والموصل(٣) . غير ان ياقوت الحموي يذكر ان الذي

---

(١) المسعودي : مروج الذهب (٤ : ٢٢٦) ، جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام في دار السلام (ص ٨٨) .

(٢) الابشيهي : المستطرف (١ : ١٦٤) .

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير (ص ٢٠٧) .

عمر حصن المعشوق هذا هو المعتمد على الله العباس[1] .

مساجد السيدة زبيدة في بغداد :

ينسب الى السيدة زبيدة مسجد ببغداد ، يسمى مسجد زبيدة خاتون ، بجوار مسجد الشيخ معروف الكرخي ، وقد اندثر سنة ١١٩٥هـ ، وكان هذا المسجد واسعاً رصين البناء استعملت انقاضه في بناء سور بغداد الغربي ، ولم يبق منه سوى قبر زبيدة وعليه قبة مخروطية الشكل تعد من نوادر الفن المعماري[2] .

الا ان الدكتور مصطفى جواد ينفي نسبة هذا القبر والمسجد الى السيدة زبيدة ، ويؤكد نسبتهما الى السيدة زمردة خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله ، وان مادرجت عليه العامة من تسميته بمسجد زبيدة غير صحيح[3] .

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق (٥ : ١٥٦) ، الخطيب

(٢) البغدادي : المصدر السابق (١ : ١١٠) ، عمر رضا كحالة : اعلام النساء (٢ : ٢٨) ، جميل نخلة المدور : المرجع السابق (ص١٢٠) .

(٣) لمزيد من التفصيل عن هذا المسجد انظر مصطفى جواد : العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر ، ج ١ كانون الثاني ١٩٤٧م ، المجلد الثالث (ص ٣٨ - ٤٩) .

ومن ابرز الادلةالتي ساقها لتأكيد وجهة نظره ان السيدة زبيدة دفنت بمقابر قريش، وان الكتابة المنقوشة على شاهد القبر الموجود بالمسجد المذكور الذى ينسب اليها تجعلنا نتشكك في صحة هذه النسبة، فقد نقش على الشاهد مانصه (الى روحها الفاتحة، هذا قبر المغفورة الموفقة للخيرات الجارية ست زبيدة بنت جعفر منصور الدوانيقي وزوجة هارون الرشيد من خلفاء بني العباس . توفيت سنة مائتين وست عشر) . ومن المعروف ان السيدة زبيدة لم تكن جارية، وانما كانت سيدة عربية هاشمية.(1)

هذا وينسب الى السيدة زبيدة مسجد ثانٍ في قطيعتها المشار اليها سابقا يعرف بمسجد سامي الحسن، فيما بين باب خراسان وشارع دار الرقيق، ومسجد ثالث على ضفة دجلة، بالقرب من دار الخلافة.(2)

---

(١) مصطفى جواد : المقال السابق (ص ٤٨) حاشية ٣٠ .
(٢) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام (ص ١٢٠) .

(هـ) فى طرسوس والثغر الشامي وخراسان
(دور السبيل والخانات والبيمارستانات) :

يقصد بالثغر الشامي منطقة الثغور المحصنة على حدود الدولة الاسلامية والروم، والتي اضطر الخلفاء لاقامة العديد من الحصون والاربطة فيها لكثرة الغارات التي كان يقوم بها الروم على حدودهم، مثل طرسوس، واذنه، ومرعش، وملطية، والمصيصة، وغيرها .

وهذه المدن كانت محل اهتمام الخلفاء العباسيين وخاصة ابو جعفر المنصور الذى حصنها، واحكم بناءها، ولما تولى الرشيد الخلافة انشأ فى هذه المنطقة ولاية جديدة، اسماها ولاية الثغور بعد ان كانت تابعة لولاية قنسرين ومنحها حكما ذاتيا وجعل لها نظاما عسكريا خاصا بها كما اقام فيها العديد من الحصون، التي امدها بالحاميات[1]. وقد امتدت اعمال السيدة زبيدة الخيرية الى اهالي هذه المنطقة، والى المجاهدين المرابطين فى اربطتها . فيذكر لنا المسعودى ان السيدة زبيدة بنت دوراً للسبيل فى طرسوس، وفى الثغر الشامي كما بنت قصراً داخل مدينة بغراس . وينسب اليها ايضا

---

(١) عن ولاية او اقليم الثغور انظر :
شاكر مصطفى : دولة بني العباس (١ : ٣٢٩-٣٣٣)، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى (٣ : ٢٨٤)، عبد المنعم ماجد : =

بناء الدور للسبيل ، والخانات والبيمارستانات في باد خكشهان ، من اقليم خراسان . وكان دافعها الى بناء هذه الدور والخانات والبيمارستانات ان تيسر على المسافرين الفقراء عبورهم لطرق هذه الاقاليم التي تقع على اطراف الدولة ، وقد اوقفت لرعاية هذه الاماكن اوقافاً تغل في كل سنة مائة الف دينار (١) .

وفي نهاية ذكرنا لاهم الاعمال العمرانية التي قامت بها السيدة زبيدة نكون قد ضربنا اسمى مثل لحب الخير للناس، اينما كان ولاى كان فهي اعمال نبيلة قامت بها هذه السيدة الجليلة ولا يقصد منها سوى وجه الله . لذا فانها تستحق ان يخلد التاريخ ذكرها .
وان يذكرها الناس بالخير حتى يومنا هذا . .

= العصر العباسي الاول (ص ٢٨٤-٢٨٥) ؛ حسن احمد محمود واحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي (ص ١٦٢ - ١٦٣) .

(١) المسعودى : مروج الذهب (٤ : ٢٢٥) .

Saad A. Al-Rashid: Op. cit. p.35, note 101.

الخاتمة

الخـــاتمــة

قبل التعرض لذكر اهم النتائج التي توصلت اليها من دراسة الاعمال السياسية والعمرانية للسيدة زبيدة يجدر بي ان اوضح النقاط الرئيسية التي اشتمل عليها هذا البحث . وكذلك مدى اهمية الجهد الذي بذل في معالجة هذه النقاط لابراز الدور السياسي والعمراني الذي قامت به السيدة زبيدة ، فلنبدأ بالنقطة الاولى وهي سيرة السيدة زبيدة ، وقد خصصت لها الباب الاول من الرسالة . وفي دراستي سيرة السيدة زبيدة كان علي ان اجمع معلومات حول اهم الجوانب في شخصيتها كي استطيع تحليل هذه الشخصية الفذة وبالتالي اطلع على العوامل النفسية التي مكنتها من القيام بدورها السياسي الذي لعبته في الدولة العباسية حفاظا على مكانتها ونفوذها لدى زوجها الرشيد ، وبالتالي تحقيقا لاطماعها في تولية ابنها محمد الامين الخلافة ، هذا الدور الكبير الذي كان من نتائجه ايضا احداث نكبة البرامكة وفي احداث الفتنة بين الامين والمأمون . كما كان علي ان اركز في دراستي لسيرتها على العوامل الكامنة في شخصيتها والتي دفعتها الى القيام بالكثير الكثير من اعمال الخير والبر، التي نسبت اليها في كثير من المدن الاسلامية ، وفي مقدمتها مكة المكرمة والمدينة المنورة .

هذا واحب ان اشير هنا الى ان الاحداث السياسية التيشهدتها الدولة العباسية في الفترة التي عاصرتها السيدة زبيدة قد تناولتها بالدراسة والتحليل كثير من مصادر ومراجع التاريخ الاسلامي سواء منها القديمة والحديثة ، وان دوري في عرض هذه الاحداث انما اقتصر فقط على ابراز الدور السياسي ، الذي لعبته السيدة زبيدة في تسيير هذه الاحداث لتحقيق اهدافها .

اما الدور العمراني للسيدة زبيدة فهو الذي تطلب مني جهدا ووقتا كبيرا ، ذلك ان المعلومات عن اعمال البر والعمران التي قامت بها السيدة زبيدة - حتى كتابة هذا البحث - تكاد تقتصر وتهتم بصفة عامة حول قيامها باجراء الماء في كثير من مواضع طريق الركب العراقي من الكوفة الى مكة المكرمة ، بقصد تيسير سفر حجاج المشرق من هذا الطريق الامر الذي ادى الي ان يعرف هذا الطريق او هذا الدرب باسمها ومنذ ذلك الحين اطلق عليه اسم زبيدة .

وكان علي ان اقوم بدراسة درب زبيدة دراسة مفصلة من خلال المصادر القديمة للمؤرخين والرحالة المسلمين ، للتعرف على وصف مراحل هذا الدرب الذي يبلغ طوله من الكوفة الى مكة المكرمة حوالي الف واربعمائة كيلو مترا .

وللاطلاع على الاعمال التي قام بها الخلفاء وكبار رجال الدولة

الاسلامية ونساؤها وخاصة السيدة زبيدة ، من منشآت تمثلت في القصور والمساجد والبرك والاحواض والابار والعيون ، وضرب المنار وتحديد الاميال ، وذلك بقصد تيسير عبوره لحجاج بيت الله الحرام .

وكان القصد في كل هذه الدراسة المفصلة لهذا الدرب هو التعرف على ماينسب الى السيدة زبيدة ، من اعمال عمرانية به جعلته يعرف بها ، ولم تكن دراسة درب زبيدة بالامر اليسير فقد استغرقت مني معظم الوقت المخصص لهذه الرسالة .

واما قيام السيدة زبيدة بامرار الماء من عين حنين وعين النعمان الى المشاعر والى مكة المكرمة بقصد تأمين المياه لاهالي مكة المكرمة وحجاج بيته الحرام . وهو مايعرف الان بعين زبيدة ، فقد تناولته كثير من المراجع الحديثة بالدراسة واقتصر دوري في هذا الصدد في ابراز هذا العمل للسيدة زبيدة ، من خلال دراسة مشكلة المياه التي يعاني منها اهل مكة منذ الجاهلية وحتى يومنا هذا .

واما اعمالها العمرانية الاخرى التي قامت بها في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والطائف ، وبغداد وبعض المدن العراقية الاخرى وفي الثغر الشامي ، وفي خراسان ، وربما في مدن اخرى غير هذه المدن والاقاليم ، فقد استغرق مني البحث عنها جهداً كبيرا ايضاً .

ذلك ان كل هذه الاعمال العمرانية قد اندثرت ولا وجود لها

الان ، كما ان المصادر لم تتحدث عنها الا حديثا عابرا ، وكان على استقراء معظم المصادر التاريخية القديمة على اظفر بخبر هنا او هناك عن عمل من هذه الاعمال التى تنسب للسيدة زبيدة ، واعتقد اننى وفقت فى اعطاء القارئ صورة واضحة بقدر المستطاع عن اعمال البر والعمران التى قامت بها السيدة زبيدة .

وبعد هذا العرض للنقاط الرئيسية التى اشتمل عليها هذا البحث وللجهد الذى اسهمت به فى دراستها ينبغى على ان اشير الى اهم النتائج التى توصلت اليها من دراستى هذه .

وهذه النتائج تتعلق بشخصية السيدة زبيدة نفسها ، فالسيدة زبيدة كما يتراءى لى كانت سيدة قوية الارادة صادقة العزيمة اذا ارادت شيئا سعت الى الحصول عليه ، دون ان تبالى بالمتاعب التى تعترضها او المال الذى يكلفها فى سبيل تحقيق الامر الذى تصبو اليه .

واكبر مثال على ذلك سعيها لنيل ولاية العهد لابنها محمد الامين رغم صغر سنه ومجابهة الفرس والاسرة البرمكية لها وقد رأينا كيف استطاعت ان تحقق ذلك الامر متخطية جميع المصاعب والعوائق التى واجهتها .

ويتبين لنا حزمها وصلابتها اثناء الحروب الاهلية التى وقعت بين ابنها الامين واخيه المأمون . ورأينا كيف وقفت الى جانبه تؤيده وتناصره

وتضحي بنفسها من اجله الى آخر لحظات حياته .

وثباتها على الرأى وتحملها الصعاب وانفاق المال فى تحقيق اهدافها اتضح لنا عندما ارادت ايصال المياه الى مكة المكرمة والمشاعر الحرام وكيف حققت هذا المشروع رغم نصيحة المشيرين عليها بالتوقف عنه لصعوبته وتكاليفه الباهظة .

كما رأينا حدة ذكاء السيدة زبيدة فى قيامها بادوارها السياسية مع حرصها على الا تظهر على مسرح الاحداث بصورة علنية وواضحة لتعلن عن رغباتها ومطامحها ، وانما كانت تعمل فى سبيل ذلك بطريق خفى اى كما يقال من وراء الستار . فهى عندما ارادت ولاية العهد لابنها محمد الامين لم تفصح عن رغبتها تلك بصفة علنية ، وانما اعلنت ذلك عن طريق الايعاز والتلميح ، وعن طريق الشعر والشعراء ، وعن طريق المقربين اليها من بنى هاشم امثال اخيها عيسى بن جعفر ، وجعفر بن موسى الهادى وغيرهم .

وكذلك فيما قامت به من ايغار صدر الرشيد على البرامكة الامر الذى انتهى بنكبتهم .

كما كانت السيدة زبيدة ذات اباء وشمم واعتزاز كبير بالنفس ، فهى لم تكن تسمح لاى كائن من كان فى الدولة ان يتدخل فى شئونها الخاصة فعندما رأت تدخل البرامكة فى شئون قصرها وخدمها رفضت ذلك الامر

واخذت فى مقاومتهم .

ومن النتائج التى توصلت اليها ايضا وتتعلق بشخصية السيدة زبيدة ، حبها الشديد لعمل الخير والاحسان لجميع المسلمين . فهى عند ما رأت التعب والجهد والمشاق التى يعانى منها المسافر اوالحاج من العراق الى مكة المكرمة في سبيل الحصول على الماء فى هذا الطريق الذى يمر معظمه فى اراضى صحراوية ، امرت بعمل البرك والمصانع والاحواض على طول هذا الطريق الممتد من الكوفة الى مكة المكرمة والذى نسب اليها فيما بعد بفضل ماقامت بهمن اعمال فاقت كل مانسب من اعمال الى غيرها به ، فمعظم المصانع والقصور والمساجد التى فى هذا الدرب انما تنسب اليها كما اوضح ذلك معظم المؤرخين والرحالة المسلمين . فالمنشآت التى فى العقبة ، الشَّقوق ، الاجفر ، تَوزْ، سمِيرا ، النَّقِرة ، السَّليلة ، العُمْق ، المَعْدِن ، افُيعيَّة ، المَسْلح ، الغمَرة المشَّاش، قُدَيدَ ، الجُحفة ، الابواء ، السَّقيا ، الروحاء ، الطّرف ، العُسيلة المحدث . . انما ثبت صحة نسبتها اليها .

كما امرت بتوفير المياه للحجاج فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة حيث قامت بايصال مياه عين النعمان وحنين الى مكة والمشاعر ليسقى منها السكان والحجاج ، اضافة الى توزيعها الهبات والاموال على سكان الحرمين والفقراء .

هذا اضافة الى ماقامت به من اعمال البر والخير فى المدن الاسلامية الاخرى التى سبق ان اشرنا اليها .

واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت فيما توصلت اليه من نتائج فـــــــى هذه الدراسة .

والله ولى التوفيـــــــق ..

درب الحاج العراقي: المسافات التقديرية بين المنازل الرئيسية: الكوفة. مكة المكرمة

اسم المنزل	تقدير الحربي م.	تقدير ابن خرداذبة م.	تقدير المقدسي م	تقدير ابن قدامة م.	تقدير ابن رستة م.	تقدير موزل كم.	المرجح كم
الكوفة							
القادسية	—	١٥	—	١٥	١٥	٢٧	٢٧
العذيب	—	٦	—	٦	٦	٨	٨
المغيثة	—	٢٤	—	١٤	٢٤	٣٤	٣٤
القرعاء	—	٣٢	٢٢	٣٢	٣٢	٤٢	٤٢
واقصة	—	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٤٦	٤٦
العقبة	—	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٥٠	٥٠
القاع	—	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٤٧	٤٧
زبالة	١٨	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٤٣	٣٦
الشقوق	١٧	٢١	٢١	١٨	٢١	٣٩	٣٩
بطان	٢٢½	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٥٠	٥٠
الثعلبية	٢٢½	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٥٠	٤٥
الخزيمية زرود	٢٣	٣٢	٣٢	٣٣	٣٢	٦٠	٤٦
الأجفر	٢٠½	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٦٠	٤١
فيد	٢٧	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٧٢	٦١
توز	٢٤½	٣١	٣١	٣٢	٣١	٦٤	٦٤
سميراء	١٥½	٢٠	٢٠	١٦	٢٠	—	٣٠
الحاجر	٢٣½	٣٣	٣٣	٣٣	٣٤	—	٥٦
النقرة	٢٧½	٣٤	٣٤	٢٧	٣٤	—	٥٦
مغيثة الماوان	٢٧	٣٣	٣٣	٢٧	٣٤	—	٥٦
الربذة	٢٠	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	—	٥٩
السليلة	٢٣½	—	—	—	٢٦	—	٤٧
العمق	١٨	—	—	—	٢١	—	٤٠
معدن بني سليم	٢٢	—	—	—	١٩	—	٤٤
الأفيعية	٢٦½	—	—	—	٣٢	—	٥٣
المسلح	٢٦	٢٤	٢٤	٣٤	٢٨	—	٥٢
غمرة	١٧	١٨	١٨	١٨	١٨	—	٣٤
ذات عرق	٢٠	٢٦	—	٢٦	٢٩	—	٤٠
بستان بن عامر	٢١	٢٢	—	—	٢٢	—	٤٢
مكة المكرمة	٢٨	٢٤	—	—	٢٤	—	٥٦
المجموع	٧٤٥ ميلا ١٢٦٦,٥ كيلومترا تقريبا ١٣٠١ كيلومترا تقريبا						

ملاحظات:

لم تذكر الأميال بين الكوفة والقادسية في كتاب المناسك

الميل العربي في تقدير موزل : ١,٧ كيلومترا

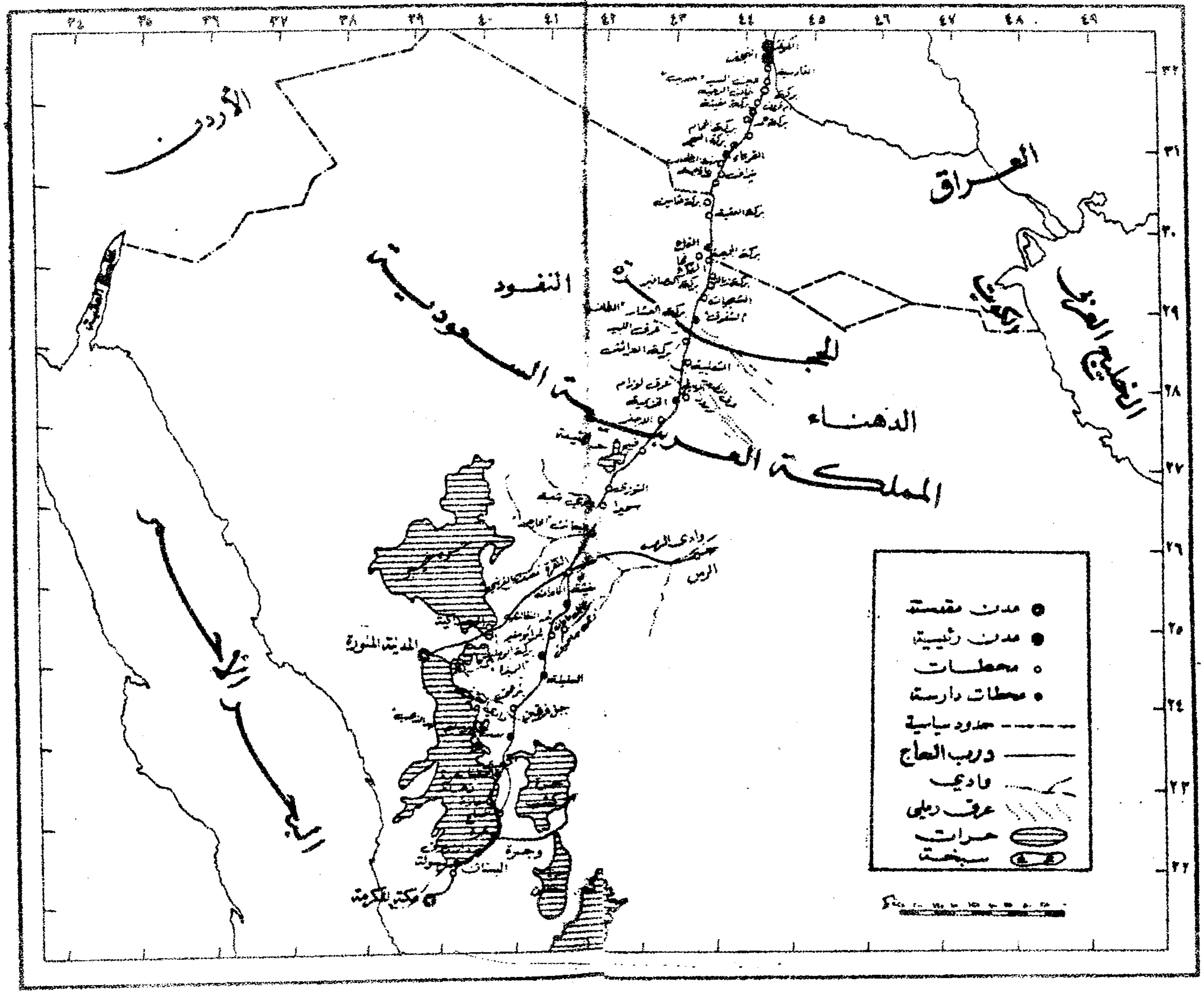
التشابه في ذكر الأميال فيما سجله كل من ابن خرداذبة وغيره قد يكون نتيجة النقل من بعضهم البعض. مجموع الكيلومترات المرجح يقترب من نتيجة تحويل مجموع الأميال في تقدير ابن رستة في الأعلاق.

يوجد خلط في ذكر المنازل بين الربذة والأفيعية عند كل من ابن خرداذبة والمقدسي وقدامة. لهذا أهملت ذكر الأميال بين هذه المواضع.

مصادر الجدول

١) الحربي / المناسك ٢) ابن خرداذبة / المسالك والممالك
٣) أبو الفرج قدامة / الخراج ٤) ابن رستة / الأعلاق النفيسة
٥) مجلة العرب / طريق الحج العراقي لموزل
٦) خرائط ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٠ / ابحاث جيولوجية مختلفة ١ : ٥٠٠,٠٠٠

درب الحاج العراقي
درب زبيدة



فهرس المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

(أ) المصادر :

(١) ابو اسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)
المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة
تحقيق حمد الجاسر - الناشر دار اليمامة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م الرياض

(٢) الابشيهي (ت ٨٥٠هـ)
المستطرف في كل فن مستظرف
دار احياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الاخيرة .

(٣) ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ)
رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الامصار
وعجائب الاسفار
دار بيروت - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٤) الاتليدى
اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس
مكتبة المؤيد - الطائف .

(٥) ابن الاثير (ت٦٣٠هـ)
الكامل في التاريخ ٩ اجزاء
دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٦) الاربلي (ت ٧١٧هـ)
خلاصة الذهب المسبوك
الطبعة الثانية ـ مكتبة المثنى ـ بغداد .

(٧) الازرقي (ت ٢٢٣هـ)
تاريخ مكة وماجار فيها من الاثار
جزءان ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة دار الثقافة ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٨) الاصبهاني (ت ٣٥٦هـ)
الاغاني
٧ اجزاء ـ دار الفكر ـ بيروت .

(٩) البلخي (ت ٣٢٢هـ)
البدء والتاريخ
الجزء الخامس ـ طبع في شالون ـ مطبعة برجلدند ١٩١٦م.

(١٠) ابن تغري بردي (ت ٨٧٣هـ)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
الجزء الثاني ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة .

(١١) ابن جبير (ت ٦١٤هـ)
رحلة ابن جبير
دار بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(١٢) الجزيرى (ت ٩٤٤هـ)
در الفوائد المنظمة في اخبار الحج وطريق مكة المعظمة
المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٤هـ ؛
(١٣) الجهشيارى (ت ٣١٠هـ)
الوزراء والكتاب
تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى
الطبعة الاولى ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة
١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .
(١٤) ابن الحائك الهمدانى (ت ٣٣٤هـ)
صفة جزيرة العرب
تحقيق محمد على الاكوع ـ منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٩٤هـ
(١٥) الخطيب البغدادى (ت ٤٥٣هـ)
تاريخ بغداد
١٤ جزءا ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت .
(١٦) ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)
الاحاطة في اخبار غرناطة
الجزء الاول ـ طبعة القاهرة ١٩٠١م .

(١٧) ابن خرداذبه (القرن الرابع)
المسالك والممالك
ليدن ١٩٦٧م ـ دار الكتب بمصر .
(١٨) ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)
المقدمة
دار احياء التراث العربي ـ بيروت .
(١٩)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت ١٣٩١هـ/١٩٨١م .
(٢٠) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)
تاريخ خليفة بن خياط
تحقيق اكرم ضياء العمرى ، ساعدت جامعة بغداد على نشره
الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ دار العلم ـ دمشق
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
(٢١) ابو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ)
الاخبار الطوال
تحقيق عبد المنعم عامر، جمال الدين الشيال ـ الطبعة الاولى
دار احياء الكتب المصرية ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٠م

(٢٢) ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان
دار الثقافة - بيروت
(٢٣) دحلان (ت ١٣٠٤هـ)
خلاصة الكلام في بيان امراء البيت الحرام
طبعة مكتبة الكليات الازهرية - القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
(٢٤) ابن رسته (ت ٣٦٠هـ)
الاعلاق النفسية
المجلد السابع - ليدن ١٨٩٠م.
(٢٥) ابن الساعي (ت ٦٧٣هـ)
نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء
تحقيق مصطفى جواد - دار المعارف - مصر.
(٢٦) السمهودى (ت ٩١١هـ)
وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى
جزءان - الطبعة الثانية - دار احياء التراث - بيروت ١٣٩٣هـ
(٢٧) السيوطي (ت ٩١١هـ)
تاريخ الخلفاء
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٢٨) الشابشتي (ت ٣٨٨هـ)
الديارات
تحقيق كوركيس عواد - الطبعة الثانية - مطبعة المعارف - بغداد
(٢٩) ابن طباطبا (ت ٧٠٩هـ)
الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية
دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
(٣٠) الطبري (ت ٣١٠هـ)
تاريخ الرسل والملوك
٨ اجزاء - مطبعة الاستقامة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
(٣١) محب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ)
القرى لقاصد ام القرى
تحقيق مصطفى السقا - مطبعة البابي - الطبعة الثانية
القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
(٣٢) ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ)
بغداد في تاريخ الخلافة العباسية
مكتبة المثنى ببغداد - مكتبة دار بالمعارف - بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
(٣٣) ابن ظهيره (ت ٩٨٦هـ)
الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف
الطبعة الثالثة - دار الفكر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٣٤) ابن عبد ربه (ت ٣٤٩هـ)
العقد الفريد
٧ اجزاء ـ الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

(٣٥) ابن عذاري (القرن السابع)
البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب
تحقيق ج .س. كولان ـ اليفي بروفنسال ـ ج ٢ ـ بيروت .

(٣٦) ابن العمراني (ت ٥٨٠هـ)
الانباء في تاريخ الخلفاء
تحقيق قاسم السامرائي ـ ليدن ١٩٧٣م .

(٣٧) العصامي (ت ١١٠١هـ)
سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي
الجزء الثالث ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة .

(٣٨) ابو علي الهجري (ت القرن الرابع)
ابحاثه في تحديد المواضع
تحقيق حمد الجاسر ـ دار اليمامة ـ الرياض ١٣٨٨هـ .

(٣٩) الفاسي (ت ٨٣٢هـ)
شفاء الغرام باخبار البلد الحرام
جزءان ـ مكتبة النهضة الحديثة ١٩٥٦م .

(٤٠) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين
الجزء الثامن - روائع التراث العربي - بيروت .

(٤١) الفاكهي (ت ٢٨٥هـ)
المتقي في اخبار ام القرى - ج٢ - روائع التراث العربي - بيروت .

(٤٢) ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ)
المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفداء)
ج ٢ - دار المعرفة - بيروت .

(٤٣) ابن الفقيه الهمداني (ت ٢٨٩هـ)
بغداد مدينة السلام
الطبعة الاولي - العراق وسلسلة التراث .

(٤٤) ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)
الامامة والسياسة
جزءان - تحقيق طه الزيني - مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة .

(٤٥) المعارف
الطبعة الثانية - دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٠هـ .

(٤٦) قدامه ابن جعفر (ت ٣٣٧هـ)
الخراج وصنعة الكتابة
ملحق كتاب ابن خرداذبه

(٤٧) القلقشندي (ت ٨٢١هـ)
صبح الاعشى في صناعة الانشاء
نسخة مصورة عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ٠

(٤٨) القفطي (ت ٦٤٧هـ)
تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات
في كتابة اخبار العلماء باخبار الحكماء
مكتبة المثنى ـ بغداد ـ الخانجي ـ القاهرة ٠

(٤٩) القطبي (ت ١٠١٤هـ)
تاريخ البلد الحرام المعروف باعلام العلماء الاعلام ببناء
المسجد الحرام
تحقيق احمد محمد جمال، عبدالعزيز الرفاعي ـ الطبعة الاولى
مكتبة الثقافة ـ دار الكتاب العربي ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ٠

(٥٠) القيرواني (ت ٤٨٨هـ)
زهرة الاداب وثمرة الالباب
الطبعة الرابعة ـ مكتبة المحتسب ـ عمان ١٩٧٢م ٠

(٥١) ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية
١٤ جزءا ـ الطبعة الاولى ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ مكتبة النصر
الرياض ١٩٦٦م ٠

(٥٢) المراغي (ت ٨١٦هـ)
تحقيق النضرة بتلخيص معالم دار الهجرة
صححه محمد عبد الجواد الاصمعي ـ الطبعة الاولى ـ المكتبة
العلمية ـ المدينة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

(٥٣) مؤلف مجهول
العيون والحدائق
الجزء الثالث ـ مكتبة المثنى ـ بغداد .

(٥٤) المسعودي (ت ٣٤٦هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
٤ اجزاء ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ١٩٦٥م .

(٥٥) التنبيه والاشراف
دار التراث اللبناني ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٥٦) ياقوت الحموي (ت ٦٢٧هـ)
معجم البلدان
دار صادر ـ بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٥٧) اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ)
تاريخ اليعقوبي
دار صادر ـ بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥٨) البلدان

ملحق ابن رستة الاعلاق النفسية

المجلد السابع ـ طبع مدينة ليدن المحروسة ١٨٩١م.

(ب) المراجـــع :

(١) ابراهيم احمد العدوى
التاريخ الاسلامى آفاقه السياسية وابعاده الحضارية
مكتبة الانجلو المصرية .

(٢) احمد ابراهيم الشعراوى
الامويون امراء الاندلس الاول
القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) احمد الباعى
تاريخ مكة
الطبعة الرابعة - دار مكة للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤) احمد شلبى
موسوعة التاريخ الاسلامى
الطبعة السادسة - مكتبة النهضة - القاهرة ١٩٧٨م.

(٥) فى قصور الخلفاء العباسيين
مكتبة الانجلو المصرية .

(٦) السيد عبد العزيز سالم
تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس
طبعة دار المعارف - لبنان ١٩٦٢م .

(٧) اطلال
حولية الاثار العربية السعودية ، مشروع استكشاف درب زبيدة
العدد الاول، والثانى ، والثالث .

(٨) انور شكرى
لوحان اثريان
مكتبة الثقافة - مكة .

(٩) جميل نخلة المدور
حضارة الاسلام فى دار السلام
المطبعة الاميرية ١٩٣٧م .

(١٠) حسن ابراهيم حسن
تاريخ الاسلام السياسى
الجزء الثانى - الطبعة السابعة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م .

(١١) حسن احمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف
العالم الاسلامى فى العصر العباسى
الطبعة الثانية - دار الفكر العربى ١٩٧٣م .

(١٢) حسين عبد الله باسلامة
عمارة المسجد الحرام
الطبعة الثالثة - سلسلة الكتاب العربى السعودى
الناشر تهامة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٣) حمد الجاسر
المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
٣ اجزاء ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض.
(١٤) الربذه
مقال في مجلة العرب العدد ١ ، ٢ في السنة العاشرة
رجب، شعبان ١٣٩٥هـ .
(١٥) طريق الحيرة الى مكة .
مقال في مجلة العرب العدد ٥ ، ٦ ـ السنة الرابعة عشرة
ذى القعدة، ذى الحجة ١٣٩٩هـ .
(١٦) خير الدين الزركلي
الاعـــلام
٨ اجزاء ـ دار الفكر ـ بيروت .
(١٧) زينب بنت يوسف فواز العاملي
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور
الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت .
(١٨) سعد الراشد
شخصيات اسلامية اسهمت في عمارة طريق الحاج من الكوفة الى مكة
مقال في مجلة كلية الاداب ـ جامعة الرياض ـ العدد الخامس ١٣٧٧هـ

(١٩) برك المياه على طريق الحج
مقال في مجلة اطلال - حولية مديرية الاثار العربية السعودية
العدد الثالث ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
(٢٠) درب زبيدة في العصر العباسي
مقال في مجلة الدارة، العدد ٤/١ - ١٣٩٨هـ .
(٢١) سعاد ماهر
الطائف ومابها من آثار
مقال في مجلة الدارة - العدد الثالث - السنة السادسة
جمادى الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٢٢) سليمان مالكي
مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة
رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاداب جامعة القاهرة ١٣٩٨هـ/
١٩٧٨م (لم تطبع) .
(٢٣) سهيل ذكار
تاريخ العروبة والاسلام
الطبعة الثالثة - دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
(٢٤) سيد بكر عبد المجيد
الملامح الجغرافية لدروب الحج
الطبعة الاولى - سلسلة الكتاب الجامعي - الناشر تهامة
١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٢٥) شاكر مصطفى
دولة بني العباس
جزءان ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٦م .

(٢٦) شوقي ابو خليل
هارون الرشيد
الطبعة الاولى ـ دار الفكر ـ دمشق ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٢٧) صلاح الدين المنجد
في قصور الخلفاء
منشورات دار المكشوف ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٤٤م .

(٢٨) صادق باشا
دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج
الطبعة الاولى ـ بولاق الكبرى الاميرية ١٣١٣هـ .

(٢٩) عبد الله محمد الزواوى
بغية الراغبين وقرة عين اهل البلد الامين فيما يتعلق بعين
الجوهرة السيدة زبيدة ام الامين
الطبعة الاولى ١٣٣٠هـ .

(٣٠) عبد العزيز البشرى
هارون الاديب ـ مقال في مجلة الهلال ـ العدد العاشر من
المجلد الثامن والاربعين .

(٣١) عاتق بن غيث البلادى
معجم معالم الحجاز
٥ اجزاء - الطبعة الاولى - دار مكة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
(٣٢) معالم مكة التاريخية والاثرية
الطبعة الاولى - دار مكة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٣٣) عبد الجبار الجومرد
هارون الرشيد
جزءان - المكتبة العمومية - بيروت ١٩٥٦م .
(٣٤) عبد المنعم ماجد
العصر العباسي الاول
ج ١ - الطبعة الثانية - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٣م .
(٣٥) على ابراهيم حسن
التاريخ الاسلامى العام
مكتبة النهضة المصرية - وكالة المطبوعات - الكويت .
(٣٦) عمر ابو النصر
الهوى والشباب فى عهد الرشيد
الطبعة الثانية - سوريا ١٩٧٠م .
(٣٧) عمر رضا كحالة
اعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام
الطبعة الثالثة - ٦ اجزاء ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٣٨) فاروق عمر
العباسيون الاوائل
الجزء الثانى ـ ساعدت جامعة بغداد على طبعه ـ لا يوجد مكان النشر او التاريخ .

(٣٩) مصطفى جواد
سيدات البلاط العباسي
دار الكتاب ـ بيروت ١٩٥٠م .

(٤٠) العمارات الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد
مقال في مجلة سومر، ج١ ، كانون الثانى ـ المجلد الثالث ١٩٤٧م .

(٤١) محمد الخضرى
محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية)
الطبعة التاسعة ١٩٥٩م .

(٤٢) محمد بن عبد الله بن بلهيد
صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار
الطبعة الثانية ـ خمسة اجزاء ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٤٣) محمد العبودى
الربذة ، مقال فى مجلة العرب، العدد ٣ ـ ٤ ، السنة الحادية عشرة ، رمضان ـ شوال ١٣٩٦هـ .

(٤٤) محمد العبودى
الشيعة والشيعية ، مقال فى مجلة العرب ج ٥ - ٦ السنة ١٤
ذى القعدة وذى الحجة ١٣٩٩ هـ .
(٤٥) محمد عبد الله عنان
تراجم اسلامية شرقية واندلسية
الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
(٤٦) منصور فهمى
الرشيد زعيم من زعماء الحضارة الاسلامية
مقال فى مجلة الهلال ، العدد العاشر من المجلد الثامن والاربعين
(٤٧) دائرة المعارف الاسلامية
ترجمة محمد ثابت الفندى ، احمد الشنتناوى ، ابراهيم خورشيد
١٤ جزءا ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .
(٤٨) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى - طبع بمطبعة
دائرة المعارف - ١٠ اجزاء - ١٩١٧م .

فهرس الموضوعات

الفهرســــت

صفحة

صفحة

الباب الثالث
الدورالعمراني للسيدة زبيدة

صفحة